ولد الإمام الهادي عليه السلام. وكانت مواقفه صلبة تجاه الظالمين فما كانت تفوته المصلحة الإسلامية العامة للمسلمين في سيرته أبداً، ففي سنة ١٦١ هـ أمر المهدي بتوسعة المسجد الحرام، وامتنع أرباب الدور من ذلك. فسئل الإمام عليه السلام عن هذا الموضوع، فكان جواب الإمام ما نصه: إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس، فالناس أولى ببنائهم، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها. ولما انتهى الجواب إلى المهدي أمر بهدم الدور، ثم كتب الإمام رسالة بوجوب ترضية أصحاب الدور، وكان الإمام عليه السلام يسعى سعياً جاداً في إنعاش الحالة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي. فإذا بلغه عن الرجل ما يكره من ضعف أو سوء المعاش في حياته، بعث إليه بصرة دنانير، وكانت صرره تعد، مثلاً، ففي مقاتل الطالبيين قال: إذا بلغه عن الرجل ما يكره، بعث إليه بصرة دنانير، وكانت الصرة ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ ديناراً. وكانت صرر موسى مثلاً، وهذا النص يفيدنا أن الإمام عليه السلام كان دوماً يسعى سعياً جاداً في إيصال الحقوق الشرعية إلى أصحابها المحتاجين وصيانة المجتمع الإسلامي اقتصادياً، ومواقفه مع الطغاة والظالمين كانت من أصلب وأروع المواقف وقال في حديث له لهارون الرشيد: أنت إمام الأجساد، وأنا إمام القلوب. مع أن هارون هو الذي يقول عنه الأندلسي كان شديد الوطء على العلويين وشيعتهم يتتبع خطواتهم ويقتلهم كما جاء في العقد الفريد المجلد الأول ص ١٤٢. وقال ابن الأصير عن هارون، كان يكره الشيعة منذ صباه، وهم يخافونه من قبل الخلافة، فلما تولى الخلافة أمر بإخراج الطالبيين جميعاً من بغداد إلى المدينة. (الكامل لابن الأثير المجلد السادس ص ٤٧).

وذكر المؤرخون أن هارون الرشيد زار قبر الرسول صلى الله عليه وآله مع جماعة من قريش وأعيان القبائل وكان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام منهم فلما انتهى إلى القبر. قال هارون: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي مفتخراً بذلك على من حوله، فقال الإمام الكاظم عليه السلام: السلام عليك يا أبي فتغير وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن. (الشذرات الذهبية لابن طولون ص ١٠١).

ثانياً: هل يصح أن ينفي وجود جسد النبي الأطهر صلى الله عليه وآله والصحابة بين القبور اليوم استناداً إلى هذا الاستدلال الواهي بأن بناءها كان متأخراً؟ بمثل هذا المنطق ينفي وجود الرأس وهذا مما لا يقوله من يخاف الله أو يرعى منطق العلم، ولا أقل من أن يحتمل الحق فيتوقف ولكن العصبية تعمي القلوب والأبصار ولا حول ولا قوة إلا بالله.

توضيح ذلك: إن بناء القبر وتجديده شيء ووجود القبر في مكان شيء آخر، وإن إنشاء القبر والمشهد لا يستلزم دفن المقبور في نفس الوقت. فإن المشاهد إنما تبنى بعد الدفن لإحياء ذكر الميت ولم تظهر إقامة المشاهد إلا بعد مئات السنين حتى بالنسبة إلى قبر النبي الأطهر صلى الله عليه وآله والصحابة، فإن المشاهد أُقيمت لهم بعد وفاتهم بمئات السنين وهل كان يتوقع ابن تيمية أن يقام المشهد فور مقتل الحسين عليه السلام وفي زمن الطاغية يزيد بالذات؟

مع كثرة أعداء أهل البيت الذين كانوا ولا يزالون يسعون ليلاً ونهاراً لإطفاء نور الله. ﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون﴾، فإن هؤلاء ما أرادوا إحقاق الحق ولا اتقوا الله في كلامهم ولسانهم، وإنما غاضهم إكرام المسلمين لأهل البيت النبوي وأرادوا التمويه، ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه فإن المسلمين يعلمون أن الواجب عليهم إكرام الروضة المطهرة الحاوية على الرأس الشريف، وأن تعظيم هذا المقام هو تكريمٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله وتعظيم للحق الذي من أجله استشهد الحسين عليه السلام.

* * *

ولما سأله الرشيد يوماً: أتقولون بأن الخمس لكم أجاب عليه الإمام عليه السلام: نعم، قال الرشيد: إنه لكثير، فقال الإمام: إن الذي أعطاه لنا، علم أنه غير كثير. (البحار المجلد ١١ ص ٢٨٠).

قال الخطيب البغدادي في تاريخه (بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس رسالة جاء فيها أنه لن ينقض عني يومٌ من البلاء، إلا ينقضي عنك يومٌ من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء. يخسر فيه المبطلون). وروى الزمخشري في ربيع الأبرار، أن هارون كان يقول لموسى: خذ فدكاً، وهو يمتنع فلما ألح عليه قال: ما آخذها إلا بحدودها. قال هارون: وما حدودها، قال الإمام: الحد الأول عدن فتغير وجه الرشيد، قال: والحد الثاني قال سمرقند قال والحد الثالث، قال: أفريقيا فاسود وجهه، قال والحد الرابع قال سيف البحر.

وبذلك أراد الإمام الكاظم عليه السلام أن فدكاً ليست إلا رمزاً للحق المغتصب ولا ترجع إلى أهلها إلا بالحكومة الإسلامية العادلة، ولما وجه هارون الخطاب إلى الإمام عليه السلام قائلاً: لِمَ جوزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم إلى رسول الله، ويقولون لكم: يا بني رسول الله، وأنتم بنو علي وإنما المرء ينسب إلى أبيه وفاطمة إنما هي وعاء النبي جدكم من قبل أمكم، أجابه الإمام الكاظم عليه السلام: لو أن النبي نشر فخطب إليك كريمتك، هل كنت تجيبه. قال الرشيد: سبحان الله ولم لا أُجيبه بل افتخر على العرب والعجم وقريش بذلك، قال الإمام عليه السلام: لكنه لا يخطب إليَّ ولا أُزوجه لأنه ولدني ولم يلدك، فقال الرشيد: أحسنت، ثم قال الرشيد: كنتم قلتم أنكم ذرية النبي، وإنما العقب للذكر لا للأُنثى وأنتم ولد الإبنة ولا يكون لها عقب، ولا أعفيك من كل ما أسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله. قال الإمام الكاظم عليه السلام: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿**ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى**﴾، من أبو عيسى، فقال هارون: ليس لعيسى أب. فقال الإمام عليه السلام: إنما ألحقناه بالأنبياء عن طريق مريم وكذلك أُلحقنا بالنبي من قبل أُمنا فاطمة. ثم قال الإمام: يا هارون أزيدك قول الله عز وجل: ﴿**فمن**

بحزامين من الحديد محافظة على بقائها، أما المئذنة الثانية فتقع في مؤخر المسجد وهي مرتفعة ورشيقة على الطراز العثماني الذي يشبه المسلة أو القلم الرصاص وعليها لوحان بخط السلطان عبد المجيد خان كتبهما سنة ١٣٦٦ هـ أحدهما من سورة الأنعام الآية ٦: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكر للعالمين**﴾.

وآخر (أحب أهل بيتي إليّ الحسن والحسين).

وقالت أيضاً: في سنة ١٩٥٣ م (فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين وزيارة مساحته وفرشه وإضاءته حتى يتسع لزائريه والمصلين به، فقد كان المسجد القديم يضيق بهم وخاصة في المواسم والأعياد فزيدت مساحته حتى بلغت مساحته ٣٣٤٠ متراً مربعاً بعد أن كانت ١٥٠٠ متراً أي بإضافة ١٨٤٠ متراً مربعاً إليه) إلى آخر الكلام الطويل.

شبهة مدحوضة:

قال الحافظ السخاوي المتوفى سنة ٩٠٣ هـ في المقاصد المحسنة ص ٤٨١ ما نصه:

(والمكان المعروف بالمشهد الحسيني بالقاهرة ليس الحسين مدفوناً فيه باتفاق وإنما فيه رأسه فيما ذكره بعض المصريين ونفاه بعضهم قاله شيخنا (ابن حجر) ومنهم ابن تيمية فقد رأيت له جواباً بالغ في إنكار ذلك وأطال به)، انتهى.

ومن العجب من ابن تيمية أن نجد فيه النصب والعداء لأهل البيت الذين طهرهم الله من الرجس فإنه قد نفى وجود الرأس الشريف استناداً إلى ما تقتضيه هذه العداوة بعيداً عن منطق العلم حيث قال ما نصه:

(إن أهل العلم اتفقوا على أن مشهد عسقلان أُنشيء بعد قتل الحسين بأكثر من ٤٣٠ سنة)، انتهى. فيرد عليه:

أولاً: من هؤلاء الذين وصفهم بأهل العلم فإنه لم يذكر أحداً منهم.

وفي سنة ١٠٠٤ هـ أمر السلطان سليم العثماني بتوسيع المسجد فاستمر حتى عام ١٠٠٦ هـ.

وفي سنة ١١٧٥ هـ قام الأمير عبد الرحمٰن كتخدا بإعادة بناء المسجد الملحق بالروضة وأضاف إليه إيوانين ورتب للسدنة مرتبات.

وفي سنة ١٢٧٩ هـ زار السلطان عبد العزيز العثماني الروضة الحسينية.

وأمر الخديو أن يقوم بالعمارة التي استمرت حتى عام ١٢٩٠ هـ.

وفي سنة ١٢٩٠ هـ أُضيف عباس حلمي الثاني قاعة الآثار النبوية بها.

وفي سنة ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣ م وسعت الحكومة المصرية المساحة المحيطة بالروضة والمسجد حتى بلغت المساحة الكلية لها: ٣٣٤٠ متراً مربعاً.

وفي سنة ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م في أول شوال أهدت طائفة البهرة الإسماعيلية مقصورة شباك من الفضة المرصعة بفصوص من الألماس إلى المشهد الشريف، وقد رأيت حجراً تذكارياً يفيد ذلك منصوباً هناك.

وقد أطالت الدكتورة المعاصرة سعاد ماهر في وصف الروضة والمسجد بما لا يستغني عنه ومما قالت ما نصه:

وبالجامع منبر خشبي بديع مطليّ بطلاء مذهب وهو في الأصل منبر جامع ازبك الذي كان عند العتبة الخضراء، فلما تخرب المسجد نقل إلى مشهد الحسين وفي مؤخرة المسجد دكة تبليغ كبيرة أما صحن الجامع فيحتوي على أربعة وأربعين عمودا عليها بوائك حاملة للسقف، وهو من الخشب المطلي بزخارف نباتية وهندسية متعددة الألوان ومذهبة غاية في الدقة والإبداع وفي وسط السقف ثلاث مناثر مرتفعة مسقوفة كذلك. وفي جدران المسجد الأربعة يوجد ثلاثون شباكاً كبيراً من النحاس المطلي بالذهب يعلوها شبابيك أخرى صغيرة دوائرها من الرخام، وللمسجد مئذنتان إحداهما قصيرة وقديمة وهي التي بناها أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور سنة ٦٣٤ هـ (١٢٣٦ م) فوق القبّة ـ كما سبق أن أشرنا إليه ـ وقد طوقتها جمعية حفظ الآثار

حاجك فيه من بعدما جاءك به من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين﴾. ولم يدع أحد أن النبي أدخل تحت الكساء عند مبايعة النصارى إلا علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. فكان تأويل قوله عز وجل أبناءنا الحسن والحسين ونساءنا فاطمة وأنفسنا علي بن أبي طالب عليه السلام. وهكذا كانت مواقف الإمام عليه السلام في الحد من المحاولات والدعايات العباسية المعادية في التشكيك في قيادة أهل البيت، بالرغم من نص النبي ﷺ بقوله: لكل بني آدم عصبة إلا بني فاطمة. أنا وليها وعصبتها فإن نسل النبوة في التاريخ قد انتشر وامتازت سيرة هذا النسل بأروع وأمجد المثل الإسلامية ويكفينا من النصوص المأثورة قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ وقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ وقول الرسول ﷺ: «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجى ومن تخلف عنها غرق.

إن أهل البيت هم وحدهم الذين جسدوا الإسلام عملياً للناس بصمودهم وتضحيتهم لقلع أطماع المفسدين، وأناروا السبيل بهداهم، إذ هم خير فرع لخير أصل. ويحتفظ التاريخ الإسلامي من هذه التضحيات بالشيء الكثير، فليراجع مقاتل الطالبيين، كما ذكرنا في المعجم بطولاتهم النادرة في بدر وأُحد والكوفة وكربلاء.

فأهل البيت قاموا بأعظم دور في تاريخ الإسلام، وتحملوا الكثير من العنت والإرهاق من الذين أقاموا دولهم على حساب دمائهم من الأمويين، ولم يكتفوا بذلك حتى أمعنوا بالكيد والافتراء عليهم.

تراث الإمام عليه السلام:

والإمام الكاظم عليه السلام، بالرغم من الرقابة العباسية الشديدة للأُمة، نشر التراث الإسلامي بالطرق المتيسرة آنذاك، قال الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه الفقه الإسلامي ص ١٦٠، ونستطيع أن نذكر أن أول من كتب في الفقه هو

الإمام الكاظم الذي مات سجيناً سنة ١٨٣ هـ، وكان ما كتبه إجابة عن مسائل وجهت إليه تحت اسم الحلال والحرام.

وهذا العطاء الفكري من الإمام الكاظم عليه السلام كان بالرغم من كل أنواع الرقابة كما ظهر من كلمات الرواة عنه، قال هشام بن سالم: كنا بالمدينة بعد وفاة جعفر الصادق، فقعدنا في بعض أزقة المدينة إلى قوله.... ونحن كذلك إذ رأيت شيخاً يومىء إليَّ بيده فخفت أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر المنصور (إرشاد المفيد)، وأيضاً كلما جاء من يسأل الإمام من أصحابه فقال له الإمام عليه السلام: سل تخبر ولا تذع، فإن أذعت فهو ذبح، قال الإمام نفسه لسائل إذا هدأ الرجل وانقطع الطريق فأقبل. وبالرغم من هذه الرقابة ساهم الإمام عليه السلام مساهمة فعالة بما يتيسر له في نشر الثقافة الإسلامية الأصيلة.

قال ابن طاووس في مهج الدعوات، عند ذكره دعاء الجوشن، روى أبو الوضاح بإسناده عن أبيه عبد الله بن زيد الذي كان من أصحاب الإمام الكاظم، قال عبد الله انه كان جماعة من خاصة أبي الحسن عليه السلام من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه ومعهم في أكمامهم ألواح من آبنوس لطاف وأميال، فإذا نطق بكلمة أو أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوه منه في ذلك. وآثاره عليه السلام من الرسائل وأجوبة المسائل منتشرة، وخاصة وصيته لهشام وهي وصية طويلة أوردها الحراني في التحف والكليني في الكافي بإسناده، ومن أقواله عليه السلام قوله اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات، ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان الثقاة الذين يعرفوكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطل، وساعة تخلون فيها بلذائذكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات.

وكان الإمام الكاظم عليه السلام في سيرته متمسكاً بطريقته المثلى ونكتفي من الآثار المنتشرة في بطون الكتب والتواريخ، بذكر بعض أحاديث المسند الذي رواه أبو حمران موسى بن ابراهيم المروزي عن الإمام عليه السلام مباشرة، فقد عثرت على نسخة من هذا المسند في سنة ١٣٨٨ هـ في المكتبة الظاهرية بدمشق ونشرته عام ١٣٨٩ هـ، وإليك نص الأحاديث مجردة من الاسناد، وكلها تنتهي

نصه: المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه). وهو في تابوت من فضّة مدفون تحت الأرض قد بني عليه حفيل يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع الديباج محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض ومنه ما دون ذلك قد وضع أكثره في أنوار فضة طالعة ومنها مذهبة، وعلقت عليه قناديل فضة وحف أعلاه كله بأمثال التفاحيح ذهباً في مصنع شبيه الروضة يقيد الأبصار حسناً وحمالاً، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيّلون والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد مثالها في التأنق والغرابة، وحيطانها كلّها رخام على الصفة المذكورة وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها وهما أيضاً على تلك الصفة بعينها والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع)، انتهى.

وفي سنة ٦٣٤ هـ أنشأ أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكري منارة على باب المشهد والمتبقي اليوم قاعدتها وعليها ما نصه:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم: الذي أوصى بإنشاء هذه المأذنة المباركة على باب مشهد السيد الحسين تقرباً إلى الله ورفعاً لمنار الإسلام الحاج إلى بيت الله أبو القاسم ابن يحيى بن ناصر السكري المعروف بالزرزور تقبل الله منه وكان المباشر بعمارتها ولده لصلبه الأصغر الذي انفق عليها من ماله بقية عمارتها خارجاً عما أوصى به والده المذكور وكان فراغها في شهر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة).

وفي سنة ٦٤٠ هـ احترق المشهد في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بسبب أن أحد خزّان الشمع دخل ليأخذ شيئاً فسقطت منه شعلة، فوقف الأمير جمال الدين نائب الملك الصالح بنفسه حتى أطفىء كما يرويه المقريزي.

وفي سنة ٦٦٢ هـ زاد فيه الملك الظاهر ركن الدين بيبرس المملوكي، وفي سنة ٦٨٤ هـ بنى فيه الملك الناصر محمد بن قلاوون إيواناً وبيوتاً للفقهاء العلوية.

وفي سنة ٧٤٠ هـ احترق المشهد كما نقله جرجي زيدان فأُعيد بناؤه.

من تاريخ المشهد:

قال الشبلنجي رضي الله عنه في نور الأبصار ص ١٣٤ ذهبت طائفة إلى أن يزيد بن معاوية أمر بأن يطاف به البلاد (أي رأس الحسين عليه السلام) فطيف به حتى انتهى به إلى عسقلان فدفنه أميرها بها، فلما غلب الفرنج على عسقلان افتداه منه الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى للقائه من عدة مراحل ووضعه في كيس حرير أخضر على كرسي من الأبنوس وفرش تحته المسك والطيب وبنى عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة قريباً من خان الخليلي، انتهى.

ونقل المقريزي أن المشهد في عسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وأكمله ابنه الأفضل سنة ٤٩١ هـ قال المقريزي في خططه ج ٢، ص ٢٨٣: (في شعبان سنة ٤٩١ هـ خرج الأفضل بن أمير الجيوش إلى بيت المقدس - إلى قوله - فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس، فيه قبر رأس الحسين بن علي بن أبي طالب فأخرجه وعطره وحمله في سفط إلى أصل دار بها وعمّر المشهد، فلما تكامل حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحلّه في مقبرة.

وفي سنة ٥٤٨ هـ كان قد نقل رأس الحسين من عسقلان الشام إلى القاهرة وقد وصل بالرأس الشريف الأمير سيف المملكة تميم والي عسقلان في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (١١٥٣ م) كما يقوله المقريزي، وقد وصف ذلك المقريزي بقوله: (فقدم به الأستاذ مكنون في عشاريّ من عشاريّات الخدمة وأنزل به إلى الكافوري ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرد ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة)، انتهى.

وفي سنة ٥٤٩ هـ بنى الملك الصالح طلائع بن رزيك جامعه خارج باب زويلة ليدفن الرأس فيه فيفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر وقالوا: لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا هذا المكان (المعروف اليوم بمشهد رأس الحسين) وبنوا له ونقلوا الرخام إليه وذلك في خلافة الفائز على يد الملك الصالح.

وفي سنة ٥٧٨ هـ وصف المهد، الرحالة ابن جبير فقال في (رحلته) ما

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين عليه السلام:

قال الإمام الكاظم عليه السلام بإسناده: من أصبح وأكبر همه غير الله فليس من الله.

وقال بإسناده: من حدث عليّ بحديث وهو يعلم أنه كذب فهو أحد الكاذبين.

وقال: نهى رسول الله أن يجلس الرجل بين الرجل وابنه.

وقال: ثلاث يحببن على المسلم يوم الجمعة، الغسل والسواك والطيب.

وقال: كان النبي يعجبه أن يكون الرجل خفيف الصوت ويكرهه أن يكون الرجل جهير الصوت.

وقال: من رضي من الله بالرزق اليسير، رضي الله عنه بالعمل القليل.

وقال: إن سركم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم.

وقال: إن رسول الله كان يعرف بالطيب إذا أقبل.

وقال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقال: نعم العون الغنى على طاعة الله.

وقال: إذا أحب أحدكم أخاه، فليسأله عن اسمه وكنيته ولقبه واسم قبيلته.

وقال: من حافظ على الصلوات الخمس في جماعة، لم يكتب من الغافلين.

وقال: ما ازداد عبد من الشيطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً.

وقال: رحم الله امرءاً قال فغنم، أو سكت فسلم.

وقال: اصنع المعروف إلى من هو أهله، ومن ليس أهله فإن لم يكن من أهله تكن من أهله.

وقال: المصافحة أثبت للمودة.

وقال: إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين، وبصره بعيوب خلقه، وزهده في الدنيا.

وقال: من قال إني عالم فهو جاهل.

وقال: إن أفضل أخلاق المؤمنين العفو.

وقال: من عفى عن أخيه المسلم عفى الله عنه.

وقال: خير النساء من إذا أُعطيت شكرت وإذا منعت صبرت.

وقال: الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان.

وقال: لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالقدر خيره وشره، ويؤمن بالبعث بعد الموت.

وفاة الإمام الكاظم عليه السلام:

كانت وفاة الإمام الكاظم عليه السلام في بغداد، في سنة ١٨٣ هـ في أحد سجون الحكم العباسي على يد السندي بن شاهك الذي حبس الإمام بأمر من هارون الرشيد في سرداب لا يعرف فيه الليل من النهار. وقد ضيق عليه غاية الضيق، كل ذلك خوفاً من القوة الروحية الممتدة في حياة المسلمين الذي كان يتمتع به هذا الإمام العظيم، وفي نهاية المطاف قتله بالسم. فقضى عليه السلام شهيد الحق صابراً محتسباً، في ٢٥ رجب سنة ١٨٣ هـ كما جاء في الرواية:

وكان قد قبض على الإمام عليه السلام في ٢٠ شوال سنة ١٧٩ هـ وهو يصلي في مسجد جده رسول الله، وقيد وهو يقول مخاطباً جده: إليك أشكو يا رسول الله، كما في المناقب المجلد الثاني ص ٣٨٥. وحبس ببغداد في سجن عيسى سنة كاملة إلى سنة ١٨٠ هـ ولما جاءه أمر الرشيد بقتل الإمام امتنع عيسى عن ذلك. وكتب رسالة يطلب العفو من ذلك، جاء في رسالة عيسى ما نصه:

يا أمير المؤمنين قد اختبرته طويلاً طول مقامه بمن حبسته معه عيناً عليه

وهي لا تحصل عادة إلا بالخفاء فلا بد أن يستلزم اختفاء الحقيقة من العامة إن صحت الرواية.

الثالث: إن مدفن الرأس في القاهرة وهو المشهور بين الجمهور ويساعده الاعتبار فإن من الثابت تاريخياً أن عدو الله يزيد نكت بمخصرته وجهه الشريف وفعل ما فعل وقال ما تقشعر منه الأبدان كما هو مفصل في المقاتل، وأيضاً طلب الإمام زين العابدين عليه السلام للرأس، وامتناع يزيد من ذلك خوفاً من غضب جمهور المسلمين، كل ذلك يدلّ على أن الرأس الشريف كان في الشام ولم تتحقق السرقة قبل ذلك والقول بتحقق ذلك فيما بعد بعيد فإن صحت الرواية بحفظه وحراسته عند الأُمويين ثم نقله إلى عسقلان ومنها إلى القاهرة.

ولو صحت رواية السرقة فإن الرأس الشريف الموجود اليوم بالقاهرة لا شك أنه من رؤوس شهداء كربلاء الذي استشهدوا مع الحسين عليه السلام عام ٦١ للهجرة.

ولنعم ما قاله المقريزي في خططه ج ٢ ص ٢٨٥ من أن لحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار ما أن طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور.

وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية وهي بصحة الدعوى ملية. قال الجلالي: والأهم هو الاعتبار بالأهداف التي قتل من أجلها الحسين عليه السلام والتي من أجلها يكرم المسلمون هذا المكان الذي دفن فيه رأس الحسين عليه السلام، ولأجل نسبته إلى الحسين أو أحد شهداء واقعة كربلاء الرهيبة، ولنعم ما قال سبط ابن الجوزي: ففي أي مكان كان رأس الحسين فهو ساكن في القلوب والضمائر قاطن في الأسرار والخواطر، انتهى. واقتبس ذلك أبو بكر الآلوسي فقال:

لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا نحوي فمشهده بقلبي

«قال (يزيد) لعلي بن الحسين عليه السلام اذكر حاجتك الثلاث اللاتي وعدتك قضاءهن، قال: الأول: أن تريني وجه سيدي ومولاي أبي الحسين فأتزود منه، والثانية: أن ترد علينا ما أُخذ منا، والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن تُوجِّه مع هؤلاء النسوة من يردّهن إلى حرم جدّهن عليه السلام.

فقال يزيد: أما وجه أبيك فلا تراه أبداً...» إلخ.

فنرى أن يزيد قَبِلَ طلب الإمام زين العابدين ما عدا رد الرأس وذلك علماً منه بأن رد الرأس إليه يكون سبباً للنياح والبكاء المستلزم لفضح أمره وكشف الواقعة وأسبابها وهو إنما يريد أن يُنسى أهل البيت ومواليهم ذلك.

الثاني: إن مدفن الرأس في النجف فقد روى المجلسي في البحار المجلد ١٠٠ ص ٣٤١ إن مولى من موالي أهل البيت سرقه ودفنه في النجف ولا يزال يوجد في النجف في يومنا هذا موضع يعرف بمسجد الحنانة، والمشهور عند العوام أنها موضع رأس الحسين عليه السلام وله مقام وشباك خاص ويدّعي العوام أنها حنّت للرأس الشريف وهذا غلط في التسمية، فإن الموضع إنما كان يسمى بالجبانة (بالجيم المعجمة بعدها باء معجمة من تحت) وقد شاع هذا التصحيف في اللفظ وتبعه التحريف في المعنى. وقد شرحت ذلك في مقالة لي (جُبّانة لا حَنّانة) وكيف كان فقد روى عبد الله بن طلحة النهدي عن الصادق أنه بعدما زار أمير المؤمنين في النجف قال لإسماعيل قم فسلم على جدك الحسين. فقلت: جعلت فداك أليس الحسين بكربلاء؟

قال نعم، ولكن لما حمل رأسه سرقه مولى لنا فدفنه بجنب أمير المؤمنين رواه في التهذيب ج ٢، ص ١٢ وفي فرحة الغري ص ٥٢ بأسانيدهما. وعقد الحر العاملي في الوسائل ج ١٠، ص ٣٠٩ باباً لذلك وأورد فيه ثمانية روايات كلها مروية عن الصادق عليه السلام واللفظ في بعضها (موضع رأس الحسين)، وعليه قد يكون المراد أن الرأس كان قد وضع في ذلك الموضع في مسير سبايا أهل البيت إلى الكوفة.

نعم بعضها ظاهره أو صريحة في الدفن وبما أن المستند فيها إلى السرقة

لينظروا حيلته وأمره وطويته ممن له المعرفة والدراية ويجري من الإنسان مجرى الدم فلم يكن له منه سوء قط، ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ولم يكن عنده تطلع إلى ولاية أو خروج ولا شيء من أمر الدنيا، ولا دعا قط على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس، ولا يدعو إلا بالمغفرة له ولجميع المسلمين، مع ملازمته للعبادة والصلاة فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره، أو ينفذ من يتسلمه مني، فإني منه في غاية الحرج. كما ورد هذا النص في الفصول المهمة لابن الصباغ ولما رأى هارون الرشيد تأثير شخصية الإمام أمر بإشخاص الإمام إلى بغداد وحبسه عند الفضل بن الربيع برهة من الوقت ولما أمر بقتله، امتنع، فأطلق هارون سراحه مع الإقامة الجبرية في بغداد، وكان يدخل على الرشيد في كل أسبوع في يوم الخميس، ولما شاع ذكر الإمام واجتمع به الخاص والعام أُلقي عليه القبض مرة أُخرى عند الفضل بن يحيى البرمكي، وقد أكرم الإمام لما رأى فيه من عظيم المقام ولما بلغ الرشيد ذلك، كتب إلى مسرور الخادم، ان السبب الوحيد هو الخوف على الملك، كما صرح هارون لابنه المأمون قائلاً: لو نازعتني فيه لفقأت عينيك. وكان هارون بحكم سيطرته يريد من الإمام أن يكون آلة في يده فيحلل ما حرم الله، وموقفه عليه السلام كان صلباً وكلما حاول الجهاز الحاكم كل المحاولات والمضايقات بالنسبة للإمام، والتخلص من وجوده والنيل من مقامه، كان الأمر بالعكس، فالناس يعرفون حيل أصحاب السياسات وأقبلوا على الإمام أكثر وأكثر. وعلى سبيل المثال، أرسل الحاكم العباسي مرة جارية إلى محل سجن الإمام عليه السلام ظناً منهم أنهم ينالون من سمعة الإمام ولكن الجارية وجدت نفسها أمام الإمام، إمام الورع والتقوى فانقلبت مصلية خاشعة، باكية، تائبة إلى الله، ولما بلغ الخبر هارون الرشيد قال: لقد سحرها والله موسى بن جعفر وعمد الحكم العباسي مرة أُخرى إلى تفريق أصحاب الإمام عنه، حتى أقرب الناس إليه وهو ابن أخيه محمد بن إسماعيل بن جعفر كي يقف حجر عثرة في طريق الإمام. ولكن كانت الأخبار تنتشر بين الوسط الاجتماعي المسلم والمجتمع الإسلامي يرفض كل هذه المحاولات اليائسة حتى أمر هارون الرشيد بسجن الإمام أخيراً.

السجن الأخير:

وكان سجن السندي بن شاهك مولى المنصور الدوانيقي، وهذا هو الذي وكل إليه بحراسة دور البرامكة لما أراد الرشيد الانتقام منهم، فسجن السندي الإمام عليه السلام في داره الواقعة قرب باب الكوفة من أبواب بغداد، وقد تفرغ الإمام إلى العبادة في السجن، حتى تولت أُخت السندي خدمة الإمام، وكانت تنظر إليه وتبكي وتقول: (خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل) كما في تاريخ بغداد المجلد ١٣ ص ٣١، وكان للسندي ولدان الحسين وإبراهيم، وقد اهتدى حفيد السندي بن شاهك هذا المسمى كشاجم، وأصبح من شعراء أهل البيت عليهم السلام.

جاء في مقاتل الطالبيين، أنه لما غضب على الفضل بن يحيى لموقفه المشرف تجاه الكاظم حينما كان في سجنه، أمر هارون بجلده، وقد هاج الناس واضطربوا لبيان المعارضة من المجتمع المسلم، وفي البحار، أن الرشيد أوعز إلى السندي فأخذ رطباً ووضع فيه السم، وقدمه إلى الإمام، فأكل الإمام عليه السلام منه رطبات، فقال له السندي: زد على ذلك، فرمقه الإمام عليه السلام بطرفه، وقال له: حسبك قد بلغت ما تحتاجه إليه، وفي روضة الواعظين، أراد السندي تبرئة نفسه فطلب ٨٠ شخصاً، وقال لهم: انظروا إلى هذا الرجل، هل حدث له حدث، فإن الناس يزعمون أنه قد فعل به مكروه، ويكثرون من ذلك، وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيق، ولم يرجه أمير المؤمنين (ويعني هارون) سوءاً، فقال: وسأل أحدهم الإمام فأجاب الإمام عليه السلام، أما ما ذكر من التوسعة وما شابه ذلك، فهو على ما ذكر، غير اني أُخبركم أيها النفر إني قد سُقيت السم في تسع تمرات وإني بعد غد أموت، ولما سمع السندي اضطرب مثل السعفة، ولما بلغ الرشيد موت الإمام عليه السلام قال: وآسوءتاه من رسول الله، كما في ابن الأثير، المجلد الخامس ص ١٣٠.

ولكن الدعاية العباسية هذه وهذا الحزن الذي أظهره هارون لم ينخدع بها المجتمع الإسلامي واستدعى السندي فقهاء بغداد المأجورين لينظروا إلى الإمام وهو ميت لا أثر به وشهدوا على ذلك، كما في مقاتل الطالبيين ص ٥٠٤

رأس الحسين عليه السلام

جاؤوا برأسك يا بن بنت محمد ... مترملاً بدمائه تترميلا
وكأنما بك يا بن بنت محمد ... قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولمّا يرقبوا ... في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا

قاله خالد بن معدان التابعي رضي الله عنه لما رأى رأس الحسين عليه السلام في الشام وكان قد حمله شمر بن ذي الجوشن الكلابي وهو أحد قتلة الحسين.

لقد وقع الخلاف بين المؤرخين في موضع دفن رأس سيد الشهداء الحسين عليه السلام في كربلاء ودمشق والقاهرة وغيرها ولعل السبب في هذا الخلاف أن الحكومة الأموية أمرت بأن يطاف بالرؤوس في البلدان كما ينص عليه التاريخ وفي كل موضع وضع الرأس الشريف كان المسلمون المؤمنون بأهداف الحسين يتخذونه مقاماً يرمز إلى التضحية والجهاد، وعمدة الأقوال في الباب ثلاثة:

الأول: إن الرأس المقدس دفن مع الجسد بكربلاء قاله ابن حجر في الإصابة: ج ٢ ص ٧: ولهذا السبب يعبر البعض عن يوم الأربعين بيوم مرّد الرأس في العراق، وفي رواية أبي مخنف أن غلاماً من خاصة يزيد اشترى رأس الحسين عليه السلام بمائة ألف دينار وردّه إلى كربلاء.

قال السيد ابن طاووس: (فأما رأس الحسين فروي أنه أُعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف وكان عمل الطائفة على هذا ورويت آثار كثيرة مختلفة على ما ذكرناه)، انتهى.

وهذه قد تكون معارضة بما نقله ابن طاووس في المقتل فقد جاء ما نصه:

على رسول الله ﷺ بما تحملت من دماء ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم ﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ وحسبك بالله حاكماً وبمحمد ﷺ خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً وسيعلم من سوّل لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً، ولئن جرّت عليَّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وتوبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرّى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تنحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتنابها العواسل وتعفرها أُمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلاّم للعبيد، فإلى الله المشتكى وعليه المعول، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولن تميت وحينا ولا تدرك أمرنا ولن ترحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند وأيامك الاّ عَدَد وجمعك إلا بَدَد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد لله رب العالمين الذي ختم لإوَّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل).

* * *

ووضعت جنازة الإمام عليه السلام على الجسر، ونادى المنادي هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت، فانظروا إليه ميتاً، كما في الفصول المهمة ص ٥٤. وبقي ثلاثة أيام لم يوار جثمانه المقدس كما جاء في الرواية ص ١٨٥.

ولما رأى عم هارون الرشيد المسمى سلمان بن أبي جعفر المنصور المتوفى سنة ١٩٩ هـ جنازة الإمام الكاظم عليه السلام على ذلك الوجه، ثار وصاح بولده، انزلوا معكم مالكم فخذوا من أيديهم، فإن مانعوكم فاضربوهم، واخرقوا ما عليهم من سواد وأمر أن ينادي ألا من أراد أن يحضر جنازة الطيب ابن الطيب موسى بن جعفر فليحضر وجهزه وكفنه بحبرة قد كتب عليها القرآن. وتقدم النعش المبارك، وسار خلفه جماهير المسلمين في بغداد، وكان يوماً عظيماً ساد فيه الحزن والمواكب تسير، والذي دعا سلمان إلى ذلك، قد تكون رابطة الرحم، وقد تكون هذه الفعلة الشنيعة قد أولدت الحقد على العباسيين الحاكمين ولعلهم رأوا أن الثورة في المجتمع انبثقت والاضطراب الداخلي قد ظهر لهذا العم المجرب، فاستدرك الأمر بهذه الصورة، ويظهر مدى الضيق الذي لاقاه الإمام عليه السلام في أدعيته المأثورة التي منها دعاء الجوشن الكبير وقد روي في وفيات الأعيان المجلد الرابع ص ٣٩٤ وشذرات الذهب المجلد الأول ص ٣٠٤ قوله عليه السلام:

«يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً ومنشئها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى وبإسمك الأكبر المخزون المكنون الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، ياذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، فرج عني يا الله».

وكان هارون الرشيد شخصياً يراقب السجن ويشرف على الحبس فيراه ساجداً، وقال يوماً للربيع وهو ينظر إلى داخل السجن، ما ذلك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع فيخبره أنه ليس بثوب وإنما هو الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

كان الإمام الكاظم عليه السلام يرعى مصلحة الأُمة الإسلامية حتى في اللحظات الأخيرة من حياته الكريمة، فكتب وصيته وإليك نصها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، إن موسى يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور وأن البعث بعد الموت حق، وأن الوعد حق وأن الحساب حق، وأن الوقوف بين يدي الله حق، وأن ما جاء به محمد ﷺ حق، وأن ما أُنزل به الروح الأمين حق، على ذلك أحيى وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله وأشهد أن هذه وصيتي بخطي، وقد نسخت وصية جدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ووصية محمد بن علي قبل ذلك نسختها حرفاً بحرف، ووصية جعفر بن محمد على مثل ذلك، وإني قد أوصيت بها إلى علي وبني من بعده معه وإن شاء وأنس منهم رشداً، وأحب أن يقرهم فذلك له، ولا أمر لهم معه وأوصيت إليه بصدقاتي وأموالي وموالي وصبياني الذين خلفتهم وولدي إلى إبراهيم وعباس وقاسم وإسماعيل وأحمد وأم أحمد وإلى علي أمر نسائي دونهم، وثلث صدقة أبي يضعه حيث يرى ويجعل فيه ما يجعل ذو المال في ماله، فإن أحب أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدق بها على من سميت له وعلى غير من سميت فتلك له، وهو أنا في وصيتي وفي مالي وفي أهلي وولدي وأن يرى أن يقر إخوته الذين سميتهم في كتابي هذا أقرهم وإن كره فله يخرجهم غير مشرب عليه ولا مردود. فإن أنس منهم غير الذي فارقتهم عليه، فأحب أن يردهم في ولاية فذلك له، وإن أراد رجل منهم أن يزوج أُخته فليس له أن يزوجها إلا بإذنه وأمره، فإنه أعرف بمناكح القوم، وأي سلطان أو أحد من الناس كفه عن شيء أو حاله بين شيء مما ذكرت، فهو من الله ومن رسوله بريء، وإن الله ورسوله منه براء، وعليه لعنة الله وغضبه ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين والنبيين والمرسلين وجماعة المؤمنين، وليس لأحد من السلاطين أن يكفه عن شيء وليس لي عنده تبعة ولا تباعة ولا لأحد من ولدي له من قبلي مال، فهو مصدق فيما ذكرت، فإن أقل فهو أعلم، وإن أكثر فهو الصادق كذلك. وإنما أردت بإدخال الذين أدخلتهم معه من ولدي التنويه بأسمائهم والتشريف لهم وأُمهات أولادي من أقامت منهن في منزلها وحجابها، فلها ما كان يجري عليها في حياتي، إن رأى ذلك وأما من خرجت منهن إلى زوج فليس لها أن ترجع إلا أن يرى علي غير ذلك وبناتي بمثل ذلك، ولا يزوج بناتي أحد من اخوتهن، أحد من أُمهاتهن، ولا سلطان ولا عم إلا برأيه ومشورته فإن فعلوا غير ذلك، فقد

علي فلم أرَ والله خَفِرَةً أنطَقَ منها، ومن أشدّ خطبها حماساً وتأثيراً في المجتمع الإسلامي آنذاك خطبتها في مجلس يزيد نورد هنا نص الخطبة:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم الحمدُ لله رب العالمين وصلّى الله على رسوله وآله أجمعين صدق الله سبحانه كذلك يقول: **﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوءى أن كَذَّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن﴾**.

أظننتَ يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الاسراء إن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامةً؟ وإن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك حين رأيت الدينا لك مستوثقة والأمور متّسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى: **﴿ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾**.

أمِنَ العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء، وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالثقب والشنآن والأحن والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلـــوا واستهلـــوا فـــرحـــاً ثـم قـالـوا يـا يـزيـد لا تشـل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمد ﷺ ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن إنّك شللت وبكمت ولم تقل ما قلت وفعلت ما فعلت، اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا واحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا فوالله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ولتردن

توسيع الميدان، وعند عمليّة التوسيع اكتشفت واجهة جامع السيدة زينب الذي كان الوالي العثماني علي باشا قد جدده سنة ٩٥١ هـ ـ ١٥٤٧ م ثم أعاد تجديده الأمير عبد الرحمٰن كتخدا سنة ١١٧٠ هـ ـ ١٧٦٨ م، ومنذ اكتشاف واجهة الجامع في القرن التاسع عشر أصبح يطلق على الميدان بل والحي كله اسم عقيلة بني هاشم، وقد أقامت وزارة الأوقاف سنة ١٩٤٠ م المسجد الموجود حالياً ويتكون من سبعة أروقة موازية القبلة يتوسطها صحن مربع مغطى بقبة، ويقابل القبلة قبة ضريح السيدة زينب ويتقدم المسجد من الواجهة الشمالية رحبتان يوجد بينهما مدخلان رئيسيّان يفصل بينهما مستطيل تعلوه (شخشيخة)، وفي الطرف الشمالي الغربي يوجد ضريح سيدي العتريس وقامت وزارة الأوقاف بعد ذلك بإضافة مساحة تبلغ ١٧ × ٣٢ م إلى المسجد الأصلي وفي سنة ١٩٦٩ م أضافت وزارة الأوقاف مساحةً ثانيةً مماثلةً تماماً للمسجد الأصلي وبنفس مساحته، بحيث أصبحت الإضافة الأولى تفصل بين المسجد الأصلي والتوسعة الأخيرة لذلك فقد عمل في منتصف التجديد الأول محراب يتوسط المسجد الجديد مع الإبقاء على المحراب القديم.

ويقابل ضريح السيدة زينب في التجديد الثاني رحبة مماثلة للصحن مغطاة أيضاً. وفي الواجهة الغربية يوجد مدخلان أحدهما يتوسط التجديد الأول والثاني في التجديد الأخير)، انتهى.

هذا ما توصلت إليه من تاريخ العمارات للمرقد الشريف والمسجد المجاور له ولا يزالا مورداً لزيارة عامة المسلمين والحمد لله رب العالمين.

من تراث السيدة زينب:

جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام أن زينب الكبرى كانت تدرّس تفسير القرآن في الكوفة وكانت حلقة درسها خاصة بالنساء، وكانت ممن حضرت هذه الجلسة زوجة يزيد بن معاوية أيام إقامتها بالكوفة ومن تراثها، خطبتها البليغة التي ارتجلتها بعد مقتل أخيها الحسين في حادثة كربلاء الرهيبة عام ٦١ هـ. فقد روى خزيمة الأسدي قال: دخلت الكوفة بعد مقتل الحسين فرأيت زينب بنت

خالفوا الله ورسوله وجاهدوا في ملكه وهو أعرف بمناكح قومه. وإن أراد أن يزوج زوج، وإن أراد أن يترك ترك، وقد أوصيتهن بما ذكرت في كتابي هذا، وجعلت الله عز وجل عليهن شهيداً، وهو وأم أحمد شاهدان وليس لأحد أن يكشف وصيتي ولا ينشرها وهو منها على غير ما ذكرت وسميت فمن أساء فعليه، ومن أحسن فلنفسه، وما ربك بظلام للعبيد، وصلّى الله على محمد وعلى آله، وليس لأحد من السلطان أو غيره أن يفض كتابي هذا الذي ختمت عليه من أسفل، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله وغضبه، ولعنة اللاعنين والملائكة المقربين وجماعة المرسلين والمؤمنين».

وبهذه الوصية أكد الإمام الكاظم عليه السلام على أهمية التوعية الإسلامية في الدعوة الإسلامية وكان جهد الحكم العباسي تفريق كلمة المسلمين، لذلك كانت الاتجاهات مختلفة، وكان الاتجاه الأول المتمثل في الإمام الرضا عليه السلام هو الاتجاه الذي يمثل اتجاه الإمام نفسه والاتجاه الثاني اتخذ سبيل الثورة المسلحة، من دون اهتمام بالغ للتوعية الإسلامية، وكان يمثل هذا الاتجاه ابن الإمام أحمد الذي خرج مع أبي السرايا في ثورة ابن الطباطبا، والاتجاه الثالث كان الابتعاد عن مسؤولية القيادة الإسلامية نهائياً، وكان ممثلاً في ابن الإمام العباس الذي اختفى واعتزل المسؤولية نهائياً، ونجد هذه الاتجاهات الثلاث في كثير من الأحداث الإسلامية والتاريخ يعيد نفسه ومرة أُخرى في التاريخ الإسلامي التزم الجمهور بوصايا الإمام واقتدوا بالإمام الرضا عليه السلام ليؤكدوا من جديد على أهمية الأهداف التي قتل من أجلها الإمام عليه السلام.

لمحة عن حياة الإمام الجواد عليه السلام

كان موقف الإمام الجواد عليه السلام من أصعب المواقف التي تقتضي المحافظة على الكيان الإسلامي، والصمود واليقظة وتوعية المسلمين من خطط الأعداء الذين اتخذوا جانب اللين والمراوغة والدهاء في القضاء على الوعي الإسلامي. لقد ولد الإمام عليه السلام في ليلة الجمعة العاشر من رجب ١٩٥ هـ وفي ذلك ورد النص: (اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني، وابنه علي بن محمد المنتجب) والإمام الجواد هو محمد بن علي المكنى

بأبي جعفر الثاني، وأبو جعفر الأول هو الإمام الباقر عليه السلام وعلي بن محمد هو الإمام الهادي عليه السلام المكنى بأبي الحسن الثالث فإنه ولد في شهر رجب أيضاً. فميلاد الإمامين عليهما السلام كان في شهر واحد ولما دس المأمون السم عام ٢٠٢ هـ للإمام الرضا عليه السلام، كان المأمون الداهية هو أول من لبس العزاء على الإمام ليوهم المجتمع الإسلامي ببراءته من دم الإمام عليه السلام، ومن ناحية أخرى خشي المأمون أن يثور ابنه الجواد في المدينة، فخطط الداهية باستدعائه إلى بغداد وجعله تحت الرقابة العباسية، وزاد الرقابة بعرضه الزواج من ابنته، ورأى الإمام عليه السلام أن في ذلك مصلحة للإسلام والمسلمين حيث لم تجتمع شروط القيام، وفي نفس الوقت وفي مختلف المناسبات كان الإمام عليه السلام يفضح خططهم بالطرق المتيسرة آنذاك، كما لا يخفي على المتأمل في سيرته، وإن خفيت هذه الخطط على بعض المؤرخين أيضاً.

قال في أعلام الورى: (كان المأمون مشغوفاً به لما رأى من علو رتبته وعظم قدمه في جميع الفضائل وزوجه بنته، وكان متوفراً على إعظامه وتوقيره وتبجيله ـ إلى أن قال ـ فلما بلغ ذلك العباسيين غضبوا عليه وخافوا أن ينهي الأمر معه إلى ما انتهى إليه مع الرضا، واجتمع إليه منهم أهل بيته الأدنون منه وحاولوا صرفه عن ذلك ولكن المأمون أصر على ذلك).

قال السيد الأمين نقلاً عن تاريخ بيهق أن (التقي ـ يعني الإمام الجواد عليه السلام عبر البحر من طريق طبس مسينان لأن طريق قومس لم يكن مسلوكاً في ذلك الوقت جاء من ناحية بيهق ونزل في قرية ششتمد وذهب من هناك إلى زيارة أبيه علي بن موسى الرضا عليه السلام سنة ٢٠٢ هـ) ثم قال السيد الأمين إن هذا يقتضي أنه حضر لزيارة أبيه في حياته سنة موته أو قبلها بسنة أو لزيارة قبره بعد موته للخلاف الواقع في عام وفاته أنه سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣ هـ.

إمامته:

وصفه الشيخ المفيد بقوله: (وكان الإمام بعد الرضا عليه السلام بالنص عليه والإشارة من أبيه وتكامل الفضل فيه)، (الإرشاد/ ٢٦٣)، فإن الإمامة والقيادة

والاستانبولي على الهيئة الموجودة الآن بأمر الخديوي محمد توفيق باشا.

وفي سنة ١٢٩٧ هـ أمر بتجديد القبّة والمسجد والمنارة، فتمّ ذلك في شهور ١٣٢٠ هـ وكتب على أبواب القبة الشريفة:

باب الشفاعة عند قبة زينب ... يلقاه غاد للمقام ورائح
من يجني توفيق العزيز مؤرخ ... نور على باب الشفاعة رائح

وأيضاً:

قف توسل بباب بنت علي ... بخضوع وسل إله السماء
يحظ بالعز والقبول وأرخ ... باب أخت الحسين باب العلاء

وأيضاً:

رفعوا لزينب بنت طه قبّةً ... عليها محكمة البناء مشيدة
نور القبول يقول عن تاريخها ... باب الرضا والعدل باب السيدة

قلت: وهذا التاريخ كما تراه ١٢٩٣ هـ وهو ينقص واحداً عن تجديد الباب بأمر الخديوي محمد توفيق ١٢٩٤ هـ.

قال: وفي عصر هذا التاريخ نقشت القبة والمشهد بنقوش بديعة أكستها ثوباً جديداً وأنيرت أرجاء المسجد والمشهد بالأنوار الكهربائية. انتهى كلامه.

قال الجلالي: راجعت كثيراً مما ذكره النقدي فوجدته، صحيحاً وأوردته هنا بطوله لاستيفائه تاريخ المرقد حتى عصره وقد جاء وصف المسجد في كتاب مساجد مصر للدكتورة سعاد ماهر بما يستدرك به على النقدي وإليك نص كلامها:

(يقع جامع السيدة زينب في الميدان الذي يعرف باسمها وكان يعرف قبل ذلك باسم قنطرة السباع نسبة إلى نقش السباع الموجودة على القنطرة التي كانت مقامة على الخليج الذي كان يخرج من النيل عند فم الخليج وينتهي عند السويس وكانت السباع (رنك) شارة الظاهر بيبرس الذي أقام القنطرة وفي عام ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٨ م تم ردم الجزء الأوسط من الخليج وبردمه اختفت القناطر ومع الردم تم

وعلي وأنشأ به ساقية وحوضاً وبنى أيضاً مقام الشيخ محمد العتريس.

وفي سنة ١٢١٠ هـ جدّدت المقصورة الشريفة من النحاس الأصفر وكتب فيه على بابها (يا سيدة زينب ابنة فاطمة الزهراء مددك ١٢١٠ هـ).

وفي سنة ١١١٢ هـ ظهر الصدع في حوائط المسجد وبنائه فندبت حكومة المماليك عثمان بك المرادي لتجديده وإنشائه فابتدء بالبناء فيه وما لبث أن توقف العمل لدخول الفرنسيّين القطر المصري فأكمله بعد ذلك يوسف باشا الوزير في شهور ١٢١٦ هـ وأرخ ذلك بأبيات خطت على لوح في المقام ونصّها:

نـور بنـت النبـي زينـب يعلـو ... مسجـداً فيـه قبـرهـا والمـزار
قـد بنـاه الـوزيـر صـدر المعـالـي ... يـوسـف وهـو للعلـى مختـار
زاد إجـلالـه كمـا قلـت أرخ: ... مسجـد مشـرق بـه أنـوار

قلت: هذا التاريخ كما تراه لا يوافق العدد المذكور ولعلّه كان متقدماً على تاريخ الإكمال.

قال: ثم حالت دون اتمام عمارته موانع فأكملها المغفور له محمد علي باشا الكبير جدّ الأُسرة العلوية وأراد عباس باشا أيام حكومته أن يجدد هذا المسجد ويوسعه وشرع في ذلك ووضع الأساس بيده عام ١٢٧٠ هـ ولكنه عاجله الأجل فانقطع العمل فأتمّه بعده المرحوم سعيد باشا وأمر بتجديد الواجهة الغربية والبحرية ومقام العتريس والعيد روس وكان ذلك سنة ١٢٧٦ هـ وبعد تمام هذه العمارة كتب على لوح تاريخها في أبيات نصها:

فـي ظـل أيـام السعيـد محمـد ... رب الفخـار مليـك مصـر الأفخـم
مـن فـائض الأوقـاف اتحف زينبـا ... عـون الـورى بنـت النبـيّ الأكـرم
مـن بـات ينـوي للـوضـوء مـؤرخـاً ... يسعـد فـإن وضـوءه مـن زمـزم

وكتب على باب المقام هذا البيت:

يـا زائريهـا قفـوا بـالبـاب وابتهلـوا ... بنـت الرسـول لهـذا القطر مصباح

وفي سنة ١٢٩٤ هـ جدد الباب المقابل لباب القبّة من المرمر المصري

في الإسلام إنما تثبت لمن اجتمعت فيه مؤهلاتها من دون أي اعتبار للعادات والتقاليد الجاهلية، كالنسب والعرق والعمر وما شابه. وقد حاول المرجفون التشكيك في إمامة الإمام عليه السلام استناداً إلى بعض العادات والأعراف التي لا توجد في الإسلام بل صبغوها بصبغة دينية، ومن ذلك التشكيك من ناحية العمر (ولا بد) من الإشارة إلى ناحيتين عقلية وفقهية:

أولاً: فإن القيادة إنما يستحقها من اجتمعت فيه مؤهلاتها من العلم والقدرة على التطبيق ومسألة العمر لا قيمة لها إطلاقاً. لذلك نجد الرسول القائد صلى الله عليه وآله يأمر على جيش الإسلام صبياً مثل أُسامة بن زيد، وبالرغم من محاولة بعض الصحابة التنقيص منه بسبب صغره في العمر، أكد النبي قائلاً: (انفذوا جيش أُسامة لعن الله من تخلف عن جيش أُسامة) مؤكداً على هؤلاء المعارضين وهم أكبر في العمر من أُسامة أن يتبعوه. وحتى الدعوة الإسلامية في بدايتها لم تسلم من هذا الاتهام فقد عارضها المشركون على أنها (صبوة) أي دعوة صبيان ولقبوا المسلم بالمتصابي، وكان أول من أسلم من الرجال علي بن أبي طالب عليه السلام وكان صبياً في التاسعة من عمره، ولما أسلم عمر بن الخطاب قيل: إنه تصابى، فالنبي صلى الله عليه وآله بسيرته وسنته العملية هدم كل المفاهيم التي يعتمد عليها المشركون والتي تعتمد على المؤهلات الجاهلية.

والإمام الجواد عليه السلام قد تربى في مدرسة النبوة ورضع من ثدي الإيمان وورث العلم من أبيه وكتبه، فهو خريج مدرسة الإمام الرضا عليه السلام، وقد وجد أهم مؤهلات القيادة ألا وهو العلم، وهذا السبب الرئيسي في محاولة الطغاة لتغيير مسيرته وتحريفها، وقد قام الإمام عليه السلام بقدر ما تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين ببيانها في المناسبات.

ثانياً: إن النصوص الشرعية في صلاحية القيادة لمن يستحقها من دون اعتبار للعمر ويكفينا ما قاله الله تعالى في يحيى: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً﴾ مريم - ١٢.

فنجد بوضوح أن القرآن لا يعتبر مسألة العمر والشيخوخة والأعراف الجاهلية وإن الحكم لمن يستحقه ولو كان صبياً، وقال الله تعالى أيضاً عن عيسى

الذي تكلم بالمهد قائلاً: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ مريم ـ ٣٠.

أليست النبوة أعظم من الإمامة وقد حصلت بالنسبة للنبوة وفي سن المهد أفلا تحصل للإمامة؟ وقد ذكر القرآن الكريم أنه عليه السلام تكلم في المهد، قال سبحانه: ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين﴾ آل عمران ـ ٤٦.

وقال: ﴿إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا﴾ المائدة ١١٠.

وفي هذه الآيات نكتة بديعة غفل عنها المفسرون وهي أن المراد من الكلام ليس فقط المحادثة وإنما هو تحمل المسؤولية الرسالية وذلك لأن الله جعل الكلام في المهد مساوياً للكلام في الكهولة، والمقصود هنا أن الرسالة التي يتحملها واحدة في حالتي الصباوة والكهولة لا تفترق هذه الرسالة لأنها نابعة من مصدر إلهي واحد، (هذا) بالإضافة إلى النصوص الكثيرة المروية في إمامته عليه السلام وقد رواها الكافي (١/ ٣٢١) منها بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام بقوله: (هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته في مكاني)، (وانا أهل بيت يتوارث أصاغرنا من أكابرنا القذة بالقذة)، وبإسناده عن الخيراتي قال: كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان فقال له قائل: يا سيدي، إذا كان كائن فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر ابني، فاستصغر القائل سن أبي جعفر عليه السلام. فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولاً ونبياً صاحب شريعة مبتدأة بأصغر من السن الذي فيه أبو جعفر عليه السلام، (الكافي ١/ ٣٢٢).

تراث الإمام عليه السلام:

كانت السلطة العباسية بتخطيط المأمون وبواسطة عملائها يحاولون مضايقة الإمام عليه السلام بكثرة الأسئلة له عليه السلام في مختلف المناسبات، كي يأخذوا نقطة ضعف منه عليه السلام، وقد رووا أن المأمون عقد الكثير من الاجتماعات والمناسبات لهذا الغرض ولم يكن خافياً على أحد كما لم يكن الإمام عليه السلام غافلاً عن الغرض من هذه الإجتماعات ولكنه عليه السلام كان يدفعها بالتي هي أحسن.

لوحة تذكارية منصوبة تفيد أنّ توسعة المسجد حصلت في عهد جمال عبد الناصر بتاريخ يوم الجمعة ٢٤ من جمادي الآخرة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م.

وقال السيد حسن محمد قاسم في كتابه (السيدة زينب) ص ٧٨: إن أوّل من بنى عليه أبو تميم معد بن نزار بن المعز لدين الله عام ٣٦٩ هـ، وقد وصف الرحالة أبو عبد الله محمد الكوهيني الفاسي المتوفى ٤١٨ هـ زيارته للروضة بتاريخ ١٤ ـ محرم ـ ٣٦٩ هـ بما نصه:

(ثم دخلنا مشهد زينب بنت علي ـ على ما قيل لنا ـ فوجدناه داخل حجرة كبيرة وهوي في طرفها البحري يشرف على الخليج فنزلنا إليه بدرج وعالياً الضريح وجدنا عليه ـ در نورا ـ قيل لنا أنه من القماري فاستبعدنا ذلك لكن شممنا منه رائحة طيبة ورأينا بأعلى الضريح قبة بناؤها من الجص، ورأينا في صدر الحجرة ثلاث محاريب أطولها الذي في الوسط وعلى ذلك كله نقوش في غاية الاتقان ويعلو باب الحجرة زليخة قرأنا فيها بعد البسملة ﴿إن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ هذا ما أمر به عبد الله ووليّه أبو تميم أمير المؤمنين الإمام العزيز بالله صلوات الله تعالى عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين، أمر بعمارة هذا المشهد على مقام السيدة الطاهرة بنت الطاهرة بنت الزهراء البتول زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب صلوات الله تعالى وعلى آبائها الطاهرين وأبنائها المكرّمين)، انتهى.

وقد أود الشيخ جعفر النقدي في كتابه زينب الكبرى ما يأتي: (وفي القرن السادس أيام الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن أيوب أجرى في هذا المشهد عمارة أمير مصر ونقيب أشراف الزينبين بها الشريف فخر الدين ثعلب الجعفري الزينبي صاحب البساتين التي عرفت بمنشأة ابن ثعلب ومنشىء المدرسة الشريفيّة التي تعرف الآن بجامع العربي بالجودرية، وما برج هذا المشهد على هذه العمارة إلى أن كان في القرن العاشر الهجري فاهتمّ بعمارته وتشييده وجعل له مسجداً يتصل به الأمير باشا الوزير والي مصر من قبل السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم الفاتح، وكان ذلك من شهور ٩٥٦ هـ.

وفي سنة ١١٧٤ هـ أعاد بناءه وشيّد أركانه الأمير عبد الرحمٰن كتخدا الفاز

روى ابن حجر (أنه لما عزم المأمون على تزويجه بنته أم الفضل وصمم على ذلك منعه العباسيون خوفاً من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه، ولما ذكر لهم إنه إنما لتميزه على كل أهل الفضل علماً ومعرفة مع صغر سنه فتنازعوا في ذلك، ثم تواعدوا أن يرسلوا إليه من يختبره، وأرسلوا إليه يحيى بن أكثم ووعدوه بشيء كثير وحضر معه خواص الدولة، فأمر المأمون بفرش لمحمد عليه السلام فجلس عليه فسأله يحيى عن مسائل أجاب عنها بأحسن جواب - إلى أن يقول - ثم زوجه بنته.... إلخ).

وروى الطبرسي في الاحتجاج (ص ٢٤٠) رواية مشابهة عن الريان بن شبيب وهو خال المعتصم العباسي والتأمل في الرواية يفيد أن المخطط الأول لهذه الاجتماعات كان المأمون نفسه بالرغم من محاولته نسبة الدعوة إلى أفراد في المجتمع غيره وقد ذكره الطبرسي في مختلف الروايات بهذه المحادثات، وسنكتفي بطرح بعضها.

قال يحيى بن أكثم: ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي أنه: نزل جبريل على رسول الله ﷺ قال: (يا محمد إن الله عز وجل يقرأك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راضٍ فإني عنه راضٍ).

فقال الإمام الجواد عليه السلام: (لست بمنكر فضل أبي بكر، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأتي مثال الخبر الذي قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: (قد كثرت عليَّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب عليَّ متعمداً فليتوبأ مقعده من النار فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به، وليس موافق هذا الخبر كتاب الله)، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (ق - ١٦)، أُخفي على الله عز وجل رضا أبي بكر من سخطه حتى يسأل من مكنون سره، وقد أكثر يحيى بن أكثم من هذه الأسئلة التي كان يقصد منها تفريق كلمة المسلمين، وكان الإمام عليه السلام يجيبه بما يقتضيه المنطق العلمي للمحافظة على الوحدة ويخطئه في الدعوى

صفحة ٢٤١.

والسبب في هذا الوهم أيضاً ما تقدم، فإن العبيدلي ذكر هذه أيضاً قائلاً: (زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد الحنفية بن علي بن أبي طالب، ذكر لنا جعفر بن الحسن أنّها دخلت مصر هي وأخ لها يدعى محمد في سنة ٢١٢ مائتين وإثني عشرة، أو قال وثلاثة عشرة)، انتهى.

وقد ذكر الأستاذ المصري (حسن قاسم) موضع قبرها قائلاً:

(خارج باب النصر ويعرف بمعبد السيدة زينب وهي بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد الحنفية بن علي بن أبي طالب ذكر العبيدلي أنها قدمت مصر وعرف عن مشهدها المقريزي في الخطط)، انتهى.

(وبالجملة) الزينبان المذكورتان هما غير زينب الكبرى وأنّهن جميعاً نزلن مصر وإن موضع تربة الزينبين المذكورتين معروفة ولا توهم أو اشتباه أو التباس في تربتهن وإنما ذهب كل من العلمين الأمين وكمونة بالرغم من رسوخ قدميهما إلى المذهب بسبب عدم اطلاعهما على رسالة العبيدلي التي تعتبر أقدم مصدر معتمد في هذا الباب وإنما العصمة لأهلها.

من تاريخ المرقد:

يقع الضريح الطاهر - اليوم - في الميدان المعروف (بميدان السيدة زينب) وهو واقع في الحي المعروف (بحي السيدة زينب) وبقرب الضريح قبران لعالمين جليلين من الأشراف الحسينيين هما العتريس واسمه محمد ابن أبي المجد ابن قريش الحسيني، والعيدروس وهو وجيه الدين أبو المراحم عبد الرحمٰن الحسيني اليمني المتوفى ١١٩٢ هـ وحدثني إمام الحضرة الزينبية عام زيارتي للقاهرة ١٣٩٦ هـ في طريقي إلى الحج وهو الشيخ إبراهيم جهلوم أنهما اختارا جوار السيدة زينب حياً وأوصيا عندها ميتاً وهما القبران الظاهران في الروضة الزينبية الطاهرة ولا قبر ظاهر غيرهما، وبجنب الروضة الزينبية مسجد كبير تنعقد فيها حلقات الدرس والذكر والصلاة في مواقيتها وكان يؤمّها آنذاك الشيخ جهلوم، وهناك

والهدف، وفي النهاية أراد الإمام الجواد عليه السلام أن يبين له وللجمهور أن المرتزقة من الحكام ليسوا إلاّ آلة بأيديهم وإنهم بعيدون عن أُصول العلم وفي نفس الوقت كشف للمأمون أهدافه في تفريق كلمة المسلمين لما طلب من الإمام عليه السلام أن يناقض ابن أكثم فسأله الإمام مسائل فقهية ليبين مدى ارتباطهم بالسلطة ولم يتعرض الإمام لأية مسألة عقائدية تمس وحدة المسلمين.

فقال المأمون: أحسنت يا أبا جعفر، أحسن الله إليك فإن رأيت أن تسأل يحيى في مسألة كما سألك.

فقال أبو جعفر ليحيى أسألك؟ (وأراد الإمام أن يبين أدب الإسلام وذلك بالاستئذان منه)، قال: (ابن أكثم): ذلك إليك جعلت فداك...

فقال الإمام عليه السلام: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كانت الشمس حرمت عليه، فلما دخل وقت العشاء الآخرة حلت له فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له، ما حال هذه المرأة ولم حلت له وحرمت عليه؟.

فقال له يحيى بن أكثم: لا والله لا أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه فإن رأيت أن تفيدنا.

فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه أمة لرجل من الناس نظر إليها في أول النهار فكانت نظرته لها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلت له فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له.

قال: فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته، وقال لهم: فيما قال ـ ويحكم أن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل..... إلى آخر كلامه.

المشهد هي زينب بنت علي بن أبي طالب، ثم يتساءل أنها كيف جاءت إلى مصر ولم يذكر ذلك أحد؟

ويجيب بأنه يمكن أن تكون نقلت جثتها أو جاءت بطريق غير مألوف ولا معروف أو نحواً من ذلك فتأمل وأعجب)، انتهى.

فإنه مجرد توهم، فإنه رحمه الله مع جلالة قدره لم يقف على رسالة العبيدلي وكان غير عالم بها ولا بوجودها وإلا لما كان يكتفي بذكر كتاب لا يتذكر اسمه ولا اسم مؤلفه ويعرض عن كتاب العبيدلي النسابة المعتمد في هذا الباب، فإن العبيدلي الذي ذكر زينب الكبرى كما تقدم كذلك أيضاً ذكر في كتابه المذكور (أخبار الزينبات) زينب بنت يحيى المتوّج المذكور وإليك نص كلامه:

(زينب بنت يحيى بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب أمها أم ولد، حدثني أبو جعفر الحسين عن محمد بن يحيى العثماني، قال: كنت بمصر حين قدمت زينب بنت يحيى مع عمتها نفيسة بنت الحسن قال، وسألتها كم لك في خدمة عمتك نفيسة؟ قالت: أربعين سنة، ماتت زينب بنت يحيى بمصر ولا عقب لها)، انتهى.

وأما عن موضع قبرها فيقول الأستاذ قاسم المصري:

(في قرافة قريش شرقي مقام الشافعي مشهورة بالسيدة زينب بنت يحيى المتوج أخي السيدة نفيسة بنت السيد حسن المدني أمير المدينة في خلافة أبي جعفر المنصور، دخلت مصر ١٩٣ هـ كما ذكره العبيدلي)، انتهى.

وهم آخر:

ومثل هذا الوهم ما حصل لنسابة النجف اليوم السيد الجليل السيد عبد الرزاق كمونة دام فضله فاحتمل أن صاحب القبر هي زينب بنت أحمد بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد المعروف بابن الحنفية ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: (فنسبتها إلى علي بن أبي طالب بوسائط) قاله في مشاهد العترة

مسألة الزواج:

إن المأمون زوج بنته أُم الفضل للإمام الجواد عليه السلام لدوافعه السياسية والتي من أهمها رقابة حركات الإمام عليه السلام، وكان قصد الإمام عليه السلام من الموافقة على ذلك المحافظة على المصلحة الإسلامة، وإن اختلف المؤرخون في أن الزواج هل وقع في حياة الإمام الرضا عليه السلام أم بعد وفاته، قال ابن الجوزي: (لما توفي الرضا عليه السلام أقبل ابنه محمد الجواد على المأمون فأكرمه وأعطاه ما كان لأبيه واختلفوا هل زوجه بنته أم الفضل قبل وفاة أبيه أو بعدها).

قال المسعودي: (لما توفي الرضا توجه المأمون إلى ولده الجواد فحمله إلى بغداد وأنزله بالقرب من داره وأجمع على أن يزوجه بنته أم الفضل).

قال السيد الأمين (٤٤ ـ ٢٣٠): (سمى بنته أم الفضل للجواد في حياة أبيه فمن هنا توهم أنه زوجه إياها في حياة أبيه والحقيقة أنه سماها له في حياة أبيه وزوجها له بعد موت أبيه).

وقد حاول المأمون الداهية أن يستغل هذا الزواج ليوهم العامة وخصوصاً الشيعة ولاءه لأهل البيت. وروى الشيخ المفيد في الإرشاد (ص ٢٢٧) بعض التفاصيل منها قوله: (فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر عليه السلام وصار القواد والحجاب والخاصة والعامة لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام فأُخرجت أطباق من الفضة فيها بنادق مسك. وبهذه الصورة أراد المأمون الداهية أن يخفي خططه وأهدافه ويظهر أنه اقتصر في هذه الحفلات على خاصته من غير العباسيين، حيث لم تروَ هذه الرواية من غير طريق أهل البيت.

وكان المأمون يهدف من ذلك ما يلي:

أولاً: تدفع التهمة عنه بقتل الإمام الرضا عليه السلام سماً.

ثانياً: كسب عواطف السذج من موالي أهل البيت.

ثالثاً: تشديد الرقابة على الإمام عليه السلام.

الإسلام، روى عن النبي (صلّى الله عليه وآله) وعن أُمه أسماء بنت عميس وعمّه علي بن أبي طالب وتوفي في عام ٨٠ للهجرة، ودفن بالبقيع، ومن أولادها محمد الأكبر قتل بصفين، وعون قتل بكربلاء.

قال الأستاذ قاسم: (ثم بعد مرور عام على وفاتها وفي نفس اليوم الذي توفيت فيه أجمع أهل مصر قاطبة وفيهم الفقراء والقراء وغير ذلك وأقاموا لها موسماً عظيماً برسم الذكرى على ما جرت به العادة، ومن ذلك الحين لم ينقطع هذا الموسم إلى وقتنا هذا من يوم وفاتها إلى الآن وإلى ما شاء الله وهذا الموسم المذكور هو المعبر عنه بالمولد الزينبي الذي يبتدأ من أول شهر رجب من كل سنة وينتهي ليلة النصف منه وهي ليلة الختام وتحيى هذه الليالي بتلاوة آي القرآن الكريم، والأذكار الشرعية ويكون لذلك مهرجان عظيم ويفد الناس من كلّ فج عميق إلى زيارة ضريحها الشريف، ولذلك يقصدها النّاس بالزيارة بكثرة لا سيما في يوم الأحد وهي عادة قديمة ورثها الخلف من السلف، والأصل في ذلك أن أفضل ما يزار فيه الولي من الأيام هو اليوم الذي توفي فيه)، انتهى.

وقد استوفى البحث حول المرقد بما لا يستغني عنه الباحث المنصف.

شبهة وحل:

قد توهم السيد الأمين (ره) في كتابه أعيان الشيعة ١٣ ص ٢٧١ حيث استظهر إلى أن صاحبة القبر المطهر في القاهرة هي زينب بنت يحيى المتوج ابن الحسن الأنور ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليه السلام استناداً إلى ما جاء في الطراز المذهب لميرزا عباس قلي خان طبع بمبئي صفحة ٦٩ من أنها صاحبة القبر المشهور المعروف بالسيدة زينب وقال السيد الأمين ما نصه:

(وهذا المشهد مزور عظيم مشيد البناء بناؤه في غاية الإتقان فسيح الأرجاء دخلته وزرته في سفري إلى الحجاز بطريق مصر عام ١٣٤٠ هـ ويعرف بمشهد السيدة زينب، وأهل مصر يتوافدون لزيارته زرافات ووحداناً وتلقى فيه الدروس وهم يعتقدون أن صاحبة القبر زينب بنت علي بن أبي طالب، حتى إني رأيت كتاباً مطبوعاً في مصر لا أتذكّر الآن اسمه ولا اسم مؤلفه وفيه أنّ صاحبة هذا

وقد قبل الإمام الزواج لكونه الحل الوحيد للمحافظة على مصلحة الإسلام والمسلمين ولولا ذلك لاستأصل العباسيون دعوة الإسلام من الجذور ولكنه عليه السلام فضح ذلك المخطط في كل مناسبة وبطريقة عملية وذلك بإصراره عليه السلام على العودة إلى وطنه المدينة المنورة ورفض المأمون لهذا الطلب البسيط كان يوقظ الضمائر ويفضح أهدافه السياسية.

من أقواله عليه السلام:

* المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه.

* توسد الصبر، واعتنق الفقر، وارفض الشهوات، وخالف الهوس، واعلم بأنك لم تخل من عين الله فانظر أين تكون.

* لا تعادِ أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى فإن كان محسناً فإنه لا يسلمه إليك وإن كان مسيئاً فإن علمك له يكفيه فلا تعاده.

* من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

* كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.

* راكب الشهوات لا تستقال له عثرة.

* العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء.

* إن يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم.

* إن العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم.

* لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته.

* موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل

وفاة الإمام عليه السلام:

كان المأمون يسير في سياسته مع العلويين وكان الإمام يفضح خططه، ففي

وعبد الله بن الحارث وأبو عمرة المزني فعزّاها مسلمة وبكى فبكت وبكى الحاضرون وقالت: «هذا ما وعد الرحمٰن وصدق المرسلون»، ثم احتملها إلى داره بالحمراء فأقامت به أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً وتوفيت وشهدت جنازتها وصلّى عليها مسلمة بن مخلد في جمع بالجامع ورجعوا بها فدفنوها بالحمراء بمخدعها من الدار بوصيتها.

ـ حدثني إسماعيل بن محمد البصري عابد مصر ونزيلها قال: حدثني إسماعيل بن محمد، قال: أخبرني الشريف أبو عبد الله القرشي قال سمعت هند تقول: توفيت زينب بنت علي عشية يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة ٦٢ هـ بالحمراء القصوى حيث بساتين عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري. انتهى كلامه، رفع مقامه.

ولغرض تعيين موقعة الدار هذه نترك الكلام للأستاذ المصري حسن قاسم في كتابه السيدة زينب الصفحة ٦٧ فقد قال ما نصه:

(المنطقة التي يقع بها المشهد الزينبي الآن هي إحدى الحمراوات الثلاث التي عرفت في صدر الإسلام.. إلى أن قال: ـ ثم ما برحت هذه المنطقة تعرف كذلك إلى أن افتتح المسلمون أرض مصر وابتنى بها عمرو بن العاص فسطاطه وبعد مضيّ سبعة أعوام على وفاة السيدة أعني في ٦٩ هـ بنى عبد العزيز بن مروان بطرف من هذه المنطقة قنطرته التي أُزيلت وعوض عنها بقنطرة السد وبها عرفت المنطقة، ثم عرفت بخط قناطر السباع)، انتهى.

لمحة عن حياتها:

ولدت في ٥/ ج١/٦ للهجرة وسارت مع أبي الشهداء الحسين إلى مكة ثم إلى كربلاء وتوفيت في الرابع عشر من رجب سنة ٦٢ هـ ـ ٦٨٣ م وعمرها ٥٧ عاماً.

وكان زوجها عبد الله بن جعفر الطيار من الصحابة الأخيار وكان قد ولد في أرض الحبشة أيام الهجرة الأولى للمسلمين إليها وهو أول مولود بها في

في خصوص تربة الكبرى التي هي شقيقة الحسين من أُمه وأبيه والمعروفة ببطلة كربلاء، والظاهر أن تربتها في القاهرة بناء على ما أورده النسابة العبيدلي المذكور، وهو شيخ الشرف أبو الحسين يحيى بن الحسن العقيقي ابن جعفر الحجة ابن عبد الله بن الأعرج المولود عام ٢١٤ والمتوفى ٢٧٧ هـ. وهو أول من صنف من الطالبين وليس بوسع أي باحث الاستغناء عن النصوص والروايات التي أوردها العبيدلي في هذا الباب إذ ليس التاريخ إلا استنباطاً من النصوص المروية واستيعابها ثم الأخذ بأوثقها وهذا العبيدلي يعتبر أقدم وأتقن النسابة وخاصة في هذا الموضوع.

وكتابه يسمى بـ (أخبار الزينبات) جمع زينب وذكره شيخنا العلامة الطهراني أعلى الله مقامه، باسم أخبار الزينبيات بالنسبة إلى زينب والظاهر أنه سهوٌ مِنْ قلمه الشريف، فإنه لا وجه لياء النسبة فيها وأن الصحيح في النسبة هو الزينبات جمع زينب.

وقال (ره) في الذريعة: إنه طبع بمصر عام ١٣٣٣ هـ وحدثني نسابة العصر فقيه أهل البيت السيد شهاب الدين المرعشي النجفي النازل بقم، أنه رأى نسخة من هذا الكتاب ملحقة بنسخة من كتاب التبيان للشيخ الطوسي في الخزانة الغروية في النجف ووصفها دام فضله بأنها نسخة قديمة.

قال الجلالي: وبالرغم من السعي البليغ للوقوف على تلك النسخة ما أمكنني ذلك ولكن من حسن التوفيق أن الأستاذ السيد قاسم المصري كان قد عثر على نسخة قديمة من الكتاب ونشره في القاهرة في عام ١٣٣٣ هـ فجزاه الله خير الجزاء، وقال: إن الأصل عنده كان بتاريخ ٦٧٦ هـ وإن كاتبها الحاج محمد البلتاجي الطائفي المجاور بالحرم الشريف النبوي وأنه نقله عن الأصل بتاريخ ٤٨٣ هـ مخطوط بخط السيد محمد الحسيني الواسطي الأصل المتوطن بحيدر آباد وعلى هذه الطبعة اعتمادي، وقد أورد العبيدلي ثمانية أحاديث في ترجمة السيدة زينب أكتفي بحديثين منها:

ـ بالسند المرفوع إلى رقية بنت عقبة بن نافع الفهري قالت: كنت فيمن استقبل زينب بنت علي لما قدمت مصر لمصيبة، فتقدم إليها مسلمة بن خالد

كل مناسبة متاحة كان الإمام عليه السلام يصر على الرجوع إلى وطنه المدينة المنورة والمأمون يمتنع. وفي إحدى مناسبات الحج وافق المأمون أن يحج الإمام عليه السلام بشرط أن يصحب معه زوجته أم الفضل، وطبيعي أن المأمون أراد فرض الرقابة الداخلية على الإمام عليه السلام، وتوجه المأمون إلى طرطوس وتوفي بها في يوم الخميس ١٦ رجب ٢١٦ هـ وبويع بعده أخوه المعتصم العباسي، فأحضر المعتصم العباسي الإمام عليه السلام إلى بغداد من جديد، ويقول المسعودي: (ولم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبران الحيلة لقتله) فإذا كان الإمام قد رجع إلى وطنه عام ٢١٦ فقد ورد أنه عليه السلام رجع إلى بغداد في ٨ من محرم ٢٢٠ هـ، وتوفي عليه السلام في ذي القعدة من نفس العام، ويعني ذلك أنه عليه السلام توفي بعد تسعة أشهر من رجوعه.

قال الشيخ الصدوق (سمه المعتصم) وقال ابن شهر آشوب (قبض مسموماً) وزاد ابن شهر آشوب (أنه لما بويع المعتصم جعل يتفقد أحوال الإمام، فأرسل إلى أبي محمد عبد الملك الزيات أن يرسل إليه محمد التقي وأم الفضل، فأرسل ابن الزيات علي بن يقطين إليه فتجهز وخرج إلى بغداد وأكرمه المعتصم وعظمه وأنفذ أشناس بالتحف إليه وإلى أم الفضل... إلخ).

وقال المسعودي أيضاً: (لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبران ويعملان الحيل في قتله، فقال جعفر لأُخته أم الفضل وكانت لأُمه وأبيه في ذلك لأنه وقف على انحرافها عنه وشدة غيرتها عليه لتفضيله أُم أبي الحسن ابنه عليها مع شدة محبتها له ولأنها لم ترزق منه ولداً فأجابته إلى ذلك).

وفي رواية العياشي في تفسيره عن زرقان صاحب أبي داود قاضي المعتصم أنه اختلف هو والفقهاء في تحديد موضع يد السارق، قال الناصر: فالتفت المعتصم إلى محمد بن علي (الجواد)، فقال ما تقول في هذا يا أبا جعفر فقال: تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين اعفني من هذا، قال المعتصم للإمام عليه السلام: (أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه، فقال: أما إذا أقسمت علي بالله فإني أقول أنهم أخطأوا فيه السنة فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أُصول الأصابع فترك الكف، قال: وما الحجة في ذلك قال قول رسول الله (السجود

على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين) فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها، وقال الله تعالى: ﴿وان المساجد لله﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها وما كان لله لم يقطع، قال القاضي: (فقامت القيامة وتمنيت أني لم أك حياً ثم صرت إلى المعتصم بعد ثلاث فقلت: إن نصيحة أمير المؤمنين عليَّ واجبة ـ إلى أن قال ـ تترك أقاويلهم لقول رجل يقول: شطر هذه الأُمة بإمامته ويدعون أنه أولى منه بمقامه ثم تحكم بحكمه دون حكم الفقهاء، قال: فتغير لونه وانتبه لما نبهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً وأمر في اليوم الرابع فلاناً من وزرائه بأن يدعو الجواد عليه السلام إلى منزله، فدعاه فأبى أن يجيبه قال: قد علمت أني لا أحضر مجالسكم، فقال: إنما أدعوك إلى طعام وأحب أن تطأ ثيابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك، فصار إليه فلما طعم أحس بالسم فدعا بدابته فسأله رب المنزل أن يقيم، فقال: خروجي من دارك خير لك فلم يزل يومه ذلك وليلته في قلق حتى قبض).

ومن تعدد الروايات يظهر أن السلطة العباسية حاولت بعدة طرق القضاء على الإمام، في كل هذه المناسبات كان يظهر قولاً وعملاً أو بكلتي الحالتين مقاطعته الحاكمين أو الحضور في مجالسهم إلا بالقدر الذي تقتضيه مصلحة الإسلام والمسلمين.

من تاريخ المزار:

حضرة الكاظمين منها المرايا ... قد حكت قلب كل أهل الطفوف
صبغتها يد التجلي بكف ... كبرت عن تشبيهها بالكفوف
وروت عن غدير خم صفاء ... فتراءت بطرفي المطروف
قد أطلت شمساً بغير كسوف ... وأقلت بدراً بغير خسوف
وطوت كاظماً ولفت جواداً ... فانتهت بالمطوي والملفوف

أنشأ أبو جعفر المنصور العباسي مدينة بغداد عام ١٤٥ هـ وسماها مدينة السلام ولما توفي وخلفه ابنه جعفر في عام ١٥٠ هـ اتخذ مقبرة سماها مقبرة

السيدة زينب عليها السلام

تعتبر عقيلة بني هاشم السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بطلة كربلاء مثال المرأة المسلمة التي استوعبت الإسلام وسعت في سبيله بكل ما أُوتيت من حول وطول، وبكل صلابة وصمود، فلا غرو فهي خرّيجة مدرسة الإمام علي عليه السلام.

وُلدت السيدة زينب في المدينة المنورة في الخامس من جمادى الأولى السنة السادسة للهجرة وبها تَربَّت في حجر النبوة ومهبط الوحي والتحقت بركب أخيها الإمام الحسين عليه السلام في محرم عام ٦١ للهجرة، وبعد حادثة كربلاء الرهيبة كانت السيدة زينب تواصل البكاء والنكاح على شهيد كربلاء في دارها بالمدينة، مما أخاف الحكام الأمويين وجودها في المدينة فقرروا إبعادها إلى مصر، وكان بها حتى توفيت في الرابع عشر من رجب عام ٦٢ للهجرة، هذه هي حصيلة ما وَصَلتُ إليه من التحقيق حول مرقدها وسبب قدومها إلى القاهرة وتوضيح ذلك يقتضي استعراض النصوص التاريخية الموجودة اليوم.

قال الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ، في كتاب الإرشاد في بنات الإمام علي عليه السلام ما نصه: (زينب الكبرى وزينب الصغرى أم كلثوم وأمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وزينب اخرى ـ مع أُخريات ـ لأمهات شتى)... انتهى.

وعليه كان للإمام علي عليه السلام ثلاث بنات كل منهنّ تسمى زينب، وكذلك صرح شيخ الشرف يحيى بن الحسن العبيدلي المتوفى سنة ٢٧٧ هـ أن له عليه السلام ثلاث بنات كل تسمى زينب ووصفهن بالكبرى والوسطى والصغرى، والكلام هنا

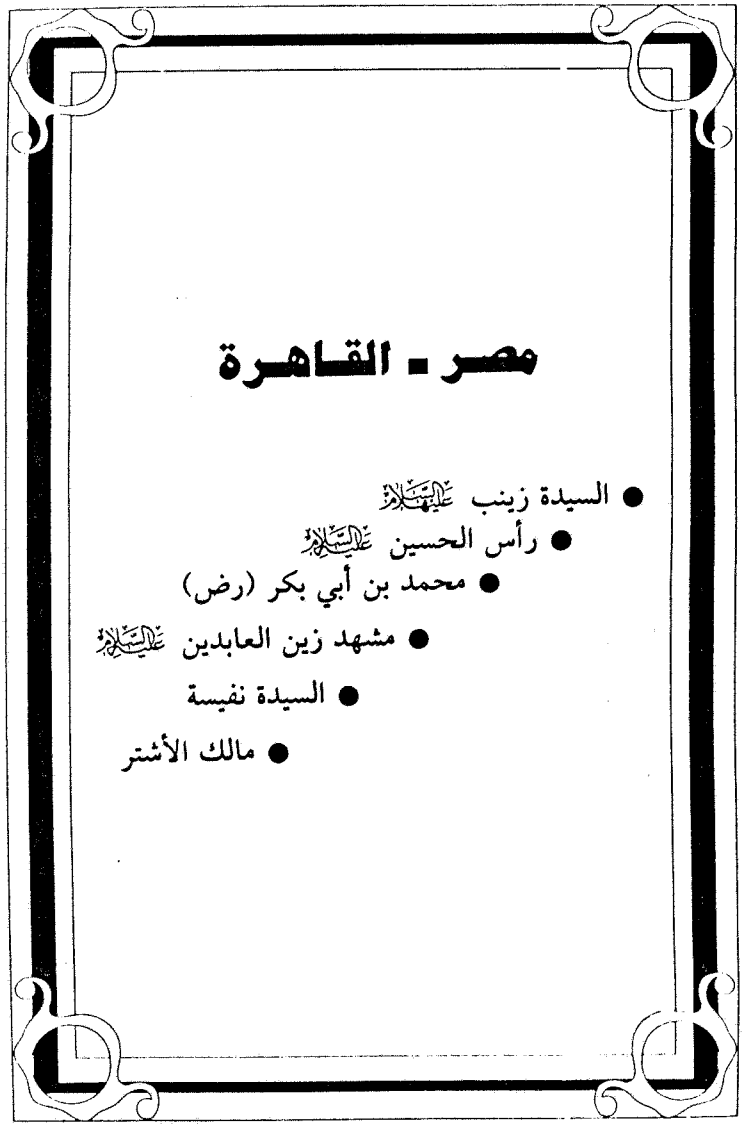

قريش ولما توفي الإمام الكاظم عليه السلام في عام ١٨٣ هـ دفن عليه السلام في تلك المقبرة حيث مرقده الشريف اليوم. ودفن من بعده حفيده الإمام محمد الجواد ابن الإمام الرضا ابن الإمام الكاظم وتعرف اليوم باسم الكاظمية تغليباً ولم تستعمل كلمة الجوادين رعاية للأدب.

فضل الزيارة:

لقد رويت روايات كثيرة في فضل زيارة الإمام الكاظم عليه السلام وكذا الإمام الجواد، فقد روى ابن سنان أنه سأل الإمام الرضا عليه السلام: ما لمن زار أباك؟ قال: له الجنة. وفي الحديث أن زيارة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كزيارة النبي، وفي آخر: من زاره كان كمن زار رسول الله وعلياً. وفي آخر أنه مثل زيارة الحسين عليه السلام، وعن الرضا عليه السلام قال: صلوا في المساجد حوله. قال الجلالي والظاهر المراد الأروقة الموجودة اليوم حول المرقد الشريف. وفي رواية الواقدي قال: ما لمن زار أبيك. قال: زوروه قلت فأي شيء من الفضل؟ فقال: من الفضل كمن زار والده، قلت فإن شئت ولم يمكن لي الدخول داخله، قال: سلم من وراء الجدران. ومن هذه الرواية يظهر الصعوبة البالغة التي كان يعانيها المسلمون للحصول على هذه الفضيلة.

كان المرقد مزاراً على مختلف العصور وفي القرن الرابع الهجري خاصة كان من المشاهد العظيمة كما يقول الخطيب البغدادي: إن الكاظم دفن في مقابر الشونيزية خارج القبة، وقبره هناك مدفون يزار وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وأنواع الأثاث والفرش ما لا يحد. وكان الخليفة الطائع الذي حكم من عام ٣٦٣ إلى ٣٨١ هـ يصلي الجمعة في هذا المسجد كثيراً، ومن هنا قال الأندلسي في كتابه بغداد في عهد الخلافة العباسية ص ١٤١ ما نصه: (وقد أصبحت الكاظمية في عهودها الأولى مركزاً للشيعة في أثناء الخلاف الذي حصل) ولعله يعني بهذا الخلاف ما وقع في عام ٤٤٣ هـ الذي صارت فيه الفتن كثيرة واحترقت على أثرها الكاظمية.

وإليك ملخصاً لتاريخ المشهد: ـ في عام ٣٣٦ هـ أمر معز الدولة السلطان

أبو الحسين ابن بويه بتجديد العمارة الكاظمية وتعتبر هذه العمارة من أوسع العمارات التي حصلت في بداية تاريخ المشهد والمدينة بصفة عامة.

وفي عام ٣٦٧ هـ على أثر زيادة الهجرة قام أبو شجاع عضد الدولة ببناء دور للمشهد حول مرقد الإمام الكاظم عليه السلام، وفي عام ٣٦٩ هـ بنى عضد الدولة دوراً حول المشهد المقدس. وفي عام ٣٧٧ هـ أوصل الماء إلى الكاظمية، وكان ذلك بمسعى أبي طاهر الزعيم، وعلى ذلك كثرت الهجرة إلى الكاظمية وفي عام ٤٤٣ هـ احترقت الروضة الكاظمية المقدسة. وفي عام ٤٤٥ هـ جددت العمارة بعد احتراقها بواسطة الحارث أرسلان بن عبد الله المعروف بلقب البساسيري، وفي عام ٤٦٠ هـ عمر المشهد أبو الفضل الأسعد بن موسى القمي أحد وزراء السلجوق. وفي عام ٥٧٥ هـ جدد الروضة الكاظمية الخليفة الناصر لدين الله وذلك بمراقبة مؤيد الدين محمد بن العلقمي، وفي عام ٦٠٤ هـ أمر الناصر العباسي ببناء دور للفقراء في الكاظمية بعنوان دور الضيافة، وفي عام ٦٢٢ هـ التهمت النار المسجد وذلك في زمن خلافة الطائع بالله فأسرع الخليفة العباسي إلى إعادة بناء المسجد ولكن لم يتم البناء فأتمه ابنه المنتصر، وفي عام ٦٢٣ وصف ياقوت الحموي الكاظمية ومقابر قريش بقوله: مقابر قريش وهي مقبرة مشهورة ومحلها فيه خلق كثير وعليها سور. وفي عام ٦٢٤ أمر المنتصر بالله العباسي بصنع صندوق على القبر الشريف. قال الشيخ جعفر النقدي في كتابه تاريخ الإمامين ما نصه «الصندوق الساج المنتصري باقي إلى يومنا هذا في المتحف العراقي لأن الشاه الصفوي بعد أن جاء بصندوقي الخاتم المرصعين بالعاج ونصبهما على قبر الإمامين أرسل هذا الصندوق إلى المدائن ونصب على قبر سلمان الفارسي صاحب رسول الله وعند تأسيس دار الآثار العراقية نقل من المدائن اليها وعلى هذا الصندوق كتابات لطيفة وفيه من أحسن الفن ودقائقه ما لا يوصف في تزينه وفي كتابته اسم المستنصر بالله وتاريخه ٦٢٤. قال الجلالي: زرت هذا الصندوق في المتحف الموجود في خان مرجان في شارع الرشيد في بغداد وقد وصف هذا الصندوق السيد ناصر النقشبندي مدير المسكوكات في المتحف العراقي في مقال طويل بعنوان الآثار الخشب في دار الآثار العربية طبع في مجلة سومر الجزء الأول المجلد الخامس

الكوفي تصفها فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الأئمة الزهر، (راجع المجلد الأول ص ٢٢٨ من الأنس الجميل في تاريخ القدس والخليل).

* * *

وبعدهما المنازل التي اتخذها ابراهيم للضيافة وبها ستة قبور وخارج الجدران الأربعة منحدر به قبر يوسف بن يعقوب وهو من حجر وعليه قبة جميلة.

وجاء في رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وهو محمد بن إبراهيم شمس الدين الكنجي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ قال: ثم سافرت من غزة إلى مدينة الخليل في داخل المسجد الغار المكرم المقدس فيه قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب ويقابلهما ثلاثة قبور هي قبور أزواجهم، ومما ذكره أهل العلم دليلاً على صحة كون القبور الشريفة هناك ما نقلته عن كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب، وبداخل هذا المسجد أيضاً: قبر يوسف وبشرقي حرم الخليل قرية لوط، وهي على تل مرتفع يشرف من على غور الشام وعلى قبره أبنية حسنة وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين.

فاطمة بنت الحسين:

من مزارات أهل البيت في مسجد الخليل بالقدس كما يقول ابن جبير ما نصه:

وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي عليه السلام وفي القبر من أعلاه وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع: بسم الله الرحمٰن الرحيم، للّهِ العزة والبقاء له ما ذرأ وبرأ، وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أُسوة، هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنها، وفي اللوح الآخر منقوش صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الأبيات:

أسكنت من كان في الأحشاء مسكنه ... بالرغم مني بين الترب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة ... بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع ... ومن عفاف ومن صوف ومن صخر

أورد الأبيات الحنبلي وقال: إنه وجدها على رخامة مكتوب عليها بالخط

عام ١٩٤٩ م، وننقل كلامهما بالتفصيل لما فيه من الفائدة. قالا: (صندوق ضريح الإمام موسى بن جعفر الذي أمر بصنعه الخليفة المتنصر بالله العباسي ولقد وجدت مديرية الآثار القديمة العامة هذا الصندوق على ضريح سلمان الفارسي في جامعة من ناحية سلمان باك التابعة للواء بغداد فنقلته من موضعه إلى دار الآثار العربية وعرضته فيما بعد، بعد أن رممته وأصلحت شأنه وتبين من الكتابات التي تزينه أنه صنع في عام ٦٢٤. ووضعه على الضريح المخصص لموسى بن جعفر في الكاظمية بأمر الخليفة المستنصر بالله العباسي ولم يتسنى لنا تعيين تاريخ نقله من موضعه الأول إلى ضريح سلمان الفارسي، ولكن التاريخ يذكر أن السلطان بويه الجلائري أمر بصنع صندوقين من الرخام لضريحي الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد في عام ٧٦٩ هـ، وكذلك أمر الشاه إسماعيل الصفوي بصنع صندوقين من الخشب لهذين الضريحين في عام ٩٢٦ هـ وهما الموجودان هناك الآن وفيهما تاريخ عملهما ولعل النقل تم في غضون هذه المدة. إن هذا الصندوق مصنوع من خشب التوت ثخن الواجه خمسة ونصف سم، وهو مستطيل الشكل منبسط السطح يبلغ طوله ٢٥٥ سم أما عرضه فيبلغ ١٨٣ سم وعلوه ٦٥ سم يزين حافات غطائه كتابة نثرية غير متداخلة نقشت داخل شبكة في زخارف نباتية متناظرة ومتشابكة وزين هذا الصندوق زخارف نباتية أيضاً، وهو يبرز بمقدار ٣ سم عن مستوى وجهه الجنوبي. وفي الجنوب كتابات نثرية مشجرة متداخلة ومتناظرة كثيرة الحروف وفي غاية الجمال والاتقان، وقد حفرت داخل الشبكة زخارف شجرية تعرف الآن باسم سلمي وهي أرفع سطحاً من مستوى الكتابة، ويبلغ عرض السطر الواحد ٤٣ سم أما طوله في الجنبين الصغيرين ٩١/٢ سم وفي الجنبين الكبيرين ١٨٩ سم وكل سطر بداخل إطار مستطيل الشكل منقوش في أصل الخشب ومزخرف زخرفة نباتية عرضها ١٢ ملم، أما نص الكتابة النثرية التي حول الغطاء فتبتدىء من عند الرأس:

أ ـ بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ هذا ما تقرب إلى الله تعالى بعمله، خليفته في أرضه ونائبه في خلقه سيدنا ومولانا إمام المسلمين المفروض الطاعة على الخلق أجمعين المستنصر بالله أمير المؤمنين ثبت الله دعوته سنة ٦٢٤ هـ.

ب ـ الكتابة الكوفية في الجنوب: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ضريح الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر بن محمد بن علي إلى أن ينتهي إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، انتهى.

وقد زرت هذا الصندوق في المتحف المعروف بخان مرجان في شارع الرشيد ونسأل الله أن يحفظ هذه الآثار آثار أهل البيت عليهم السلام من شر أعدائهم آمين. وفي عام ٦٣٤ هـ قصد المستنصر بالله مشهد موسى بن جعفر عليه السلام لتفقد أحوال الطالبيين والعلويين بها، وفي مسجد الإمام أمير المؤمنين. وفي عام ٦٤٣ هـ في ليلة الجمعة الحادي عشر من شهر رمضان نقل مؤيد الدين أبو الحسن محمد بن عبد الجليل القمي الوزير من مدفنه بمقبرة الزرادين في المأمونية إلى تربة كان أنشأها في الكاظمية ووقف عليها وقوفاً، وفي العهد المغولي كان أمير قرطاي وصل إلى بغداد فعين عماد الدين محمد بن محمد القزويني نائباً عنه وتقدم إليه بعمارة جامع الخليفة ومشهد موسى الكاظم ومحمد الجواد، وفي عام ٧٦٩ هـ قام السلطان الجلائري بتعمير الكاظمية وبنى قبتين ومنارتين وأمر بوضع صندوقين، وفي عام ٧٠٣ هـ، دخل تيمور بغداد للمرة الثانية بعد محاصرة دامت أربعين يوماً وخرج منها لزيارة الكاظمية، وفي عام ٩١٤ هـ الخامس والعشرين من جمادي الثاني دخل الشاه إسماعيل الصفوي بغداد وزار الكاظمية وأنعم على خدمه وأمر بأن تكون المنائر أربع، وأنشأ جامعاً لا يزال عامراً يعرف بالجامع الصفوي، وقد جاء في التاريخ ما نصه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، أمر بإنشاء هذه العمارة الشريفة سلطان سلاطين العالم ظل الله على جميع بني آدم ناصر الدين الجليل الأحمدي رافع أعلام الطريق المحمدي أبو المظفر الشاه إسماعيل بن الشاه حيدر بن جنيد الصفوي الموسوي خلد الله ألوية الدين المقيم في مكة وسلطانه وأيده بنسف قواعد أهل الضلال بحجته وبرهانه، وحرر ذلك في تاريخ ربيع الثاني عام ٩٢٩ هـ الهلالية، وفي عام ٩٤١ هـ الرابع والعشرين من جمادى الأول دخل سليمان القانوني بغداد قائماً وزار الكاظمية وأمر بإكمال ما لم يكمل من عمارتها وفي عام ٩٧٨ هـ أكمل بناء المنارة على صحن الكاظمية، وفي عام ١٠٣٣ هـ أمر الشاه عباس الكبير بعمل

الخليل

هـذا مقـام الخليـل حقـاً ... عليـه ربـي صلّـى وسلـم
فيـه أمـان لكـل راجٍ ... ومـن يـزره يـرجـى ويكـرم

الخليل مدينة في جنوب القدس على بعد ٤٠ كم وفيها الحرم الإبراهيمي ومغارة وبناء ويشتمل على قبور طائفة من الأنبياء وهم النبي إبراهيم وزوجته سارة وإسحٰق ويعقوب ويوسف وزوجاتهم. وفي بلدة حلحول على مقربة من الخليل يوجد مقام يسمى مقام النبي يونس، وعلى بعد كيلو متر من شمال الخليل مكان يسمى رامة الخليل ويقال إن الملائكة الثلاثة ظهروا بها للنبي إبراهيم. وقد ثبت بالتواتر أن قبر أبي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام هناك في المغارة التي هي داخل السور، وقد سموا البلد الذي هو فيه باسمه وهو أشهر من أن يذكر. فثبت بالتواتر أيضاً أن ولده إسحق وولد ولده يعقوب مدفونان معه داخل المغارة في مدينة الخليل، وقد زار الرحالة ناصر خسرو مدينة الخليل ووصفها في رحلته بما هو ملخصه قائلاً: والمشهد على حافة القرية من جهة الجنوب وبه مقصورة ومحراب في عرض البناء وجانباً، وبالمقصورة محاريب جميلة بها قبران رأسهما للقبلة وكلاهما من الحجر المصقول بارتفاع قامة الرجل، على الأيمن قبر إسحق بن إبراهيم والآخر قبر زوجته، وبينهما عشرة أذرع وحين يخرج السائر من المقصورة إلى وسط ساحة المشهد يجد مشهدين أمام القبلة الأيمن به قبر إبراهيم الخليل، وهو مشهد كبير والمشهد الثاني على يسار القبلة، قبر سارة زوجة إبراهيم، وبين قبره وقبر زوجته ممر عليه باب وهو الدهليز، وقال أيضاً: وبعد هذين المشهدين قبران متجاوران الأيمن قبر النبي يعقوب، والأيسر قبر زوجته

الخميس الموافق الثامن من جمادى الثاني ١٣٨٩ هـ، وهكذا في كل يوم تبرز اعتداءات الصهيونية على الآثار الإسلامية في القدس ويستهدفون من وراء ذلك أن يمحوا الآثار الإسلامية ويرجعوها إلى العهد اليهودي الأول، وليس من زعماء المسلمين سوى الاستنكارات والخطب الرنانة، وكأن الله أمرهم بأن يؤدوا الخطب حينما قال: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فليست قوتهم إلا في الخطب الرنانة. نصر الله المسلمين وقيض لهم قادة مخلصين ليحرروا عقولهم أولاً حتى يتمكنوا من تحرير أوطانهم.

* * *

ضريح من الفولاذ لحفظ الصندوق في الخاتم. وفي عام ١٠٤٢ هـ حدث غرق في بغداد والكاظمية فتضعضعت جدران الحضرة فأمر الشاه صفي بترميم ما اختل تعميره وأوزع ذلك إلى أمير أمراء شيروان. وفي عام ١٠٤٧ هـ دخلها السلطان مراد الرابع بعد أن حاصرها أربعين يوماً ونهب الجنود والعساكر بلدة الكاظمية والمشهد بما فيه من قناديل الذهب والفضة، وقد صرح العزاوي في تاريخ العراق المجلد الرابع ص ٣٤ بقوله: إن الجيش العثماني عندما فتح بغداد نهب ما في الحضرة الكاظمية من قناديل فضية مرصعة وبعض المزينات وفي عام ١٠٤٨ هـ في الثاني عشر من رمضان زار السلطان مراد الرابع الكاظمية بعد فتح بغداد ولكنه أمر بذبح جميع الإيرانيين أينما وجدوا وكان الكثير منهم قد التجأ إلى المعسكر العثماني نفسه فقتل الجميع وكان بين المقتولين ثلاثمائة شخص كانوا قد جاءوا تلك الأيام لزيارة الكاظمية. وفي عام ١١١٥ هـ حج بيت الله الحرام التاجر محمود آغا ومعه شباك لحرم ضريحي الكاظمين. وفي عام ١٢١١ هـ أمر السلطان محمد الشاه الأول مؤسس الدولة القاجارية، بإحداث بناء القبتين ورؤوس المنائر وأضاف إليها ثلاث منائر أخرى على طراز المنارة السابقة التي كان قد بناها السلطان العثماني، وفي عام ١٢٣١ هـ أمر السلطان فتح علي القاجاري بتعميرات وتحسينات أخرى. وفي عام ١٢٥٥ هـ اتفق الوزير معتمد الدولة على تجديد إيوان الروضة المقدسة، وفي عام ١٢٦٤ هـ عمر مرقد الكاظمين الفريق نجيب باشا وقد أرخه عبد الباقي العمري بقصيدة جاء فيها:

بعـون أصحـاب العبـا أرخـوا شـاد سليـم مـرقـد الفـرقـديـن

وفي عام ١٢٩٣ هـ جدد بناء الصحن الشريف اعتماد الدولة فرهاد ميرزا ابن العباس القاجاري واستمرت التعميرات الواسعة حتى عام ١٣٠١ هـ، وفي عام ١٢٦٦ هـ السابع عشر من ذي الحجة عمر السور كله بالحجر الكاشاني الملون وكسيت الساحة بالمرمر كما في تاريخ بغداد لمحمود شكري الآلوسي، وجاء في تاريخ العمارة ما نصه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، وقع الفراغ من هذا الصحن بأمر من قصد بعمله وجه المنان وبلوغ غرفات الجنان، الجناب المستطاب الأشرف الأمجد معتمد

الدولة فرهاد ميرزا أدامه الله تعالى وأعز سلطانه بحق محمد وآله الطاهرين في سنة ١١٧٨ من الهجرة النبوية المقدسة على صاحبها آلاف التحية والسلام وفي عام ١٣٢٤ هجرية بذلت الحاجة المؤمنة بنت مشير الملك الشيرازي مقدار ٢٥٠ ألف مثقال من الفضة في تكلفة الضريح المقدس، وقد نصب في اليوم الثالث من شهر جمادي الأول سنة ١٣٢٤ هـ، وفي سنة ١٣٣٢ هـ كانت الكاظمية مركز الحركات الإسلامية في تحرير العراق من الجيوش البريطانية التي وصلت البصرة، فكثرت الهجرة إلى الكاظمية من المجاهدين، وفي عام ١٣٣٣ هـ فتح المجاهدون الذين كان يقودهم السيد المهدي الحيدري وتمكنوا من دحر الجيش البريطاني المحتل، وذلك في الخامس من ربيع الأول عام ١٣٣٣ هـ، ولا تزال التعميرات والتجديدات مستمرة من مختلف وجوه المسلمين للروضة المقدسة ومنها ما حصل في عام ١٣٨٧ هـ في تجديد كثير من الأبواب والتزيينات، وقد جاء على مصرع الباب الداخلي للروضة أبيات منها ما يلي:

وجهان للحق غير اللّه ما عبدا ... وجه منير ووجه يستطير هدى
هما الجواد وموسى فاعتصم بهما ... ففيهما الفوز دنيا والنجاة غدا
هما العماد لمن طاحت به عمد ... هما السناد لظهر يبتغي سندا
فلا غرابة لو أن النظار وإن ... كاد الربيع على بابيهما سجدا
فلا تسألني حديثاً عن مقامهما ... هما إمامان إن قاما وإن قعدا
فالزم لآل رسول الله تربتهم ... واعطف على حبهم إن تفلت العقدا

وقد وصف المرقد الشريف الرحالين مشيدين بجماله منهم عبد الوهاب عزام حيث قال: (قصدنا الكاظمية وبلغنا المسجد المبارك فلما دخلنا بهرنا ما فيه من جمال وزينة، وقد لاحت فوق المسجد على جانبيه قبة ومنارتان في حلة من الذهب الوهاج وليس يوجد وصف لهذه المشاهد الجميلة).

وقد قال الشيخ بهاء الدين العاملي أثناء زيارته للكاظمية في عام ١٠٠٣ هـ:

ألا يا قاصداً زوراء عرج ... على الغربي من تلك المقاني

في العهد اليهودي:

في عام ١٩١٧ م استولى البريطانيون على القدس، وعلى أثر وعد بلفور بتأسيس وطن يهودي في فلسطين هاجر إليها اليهود من مختلف البلاد، وفي عام ١٩٢٠ م حتى عام ١٩٤٧ م استمرت الإضرابات من المسلمين والمسيحيين في فلسطين استنكاراً لموقف البريطانيين من تسهيل أمور الهجرة لليهود، واستمرت الإضرابات حتى عام ١٩٣٦ م الذي استمر ستة أشهر استنكاراً للسياسة البريطانية المتحيزة للصهيونية حتى غادروها في الشهر الخامس ١٩٤٨ م، وعلى اثر ذلك استولى اليهود على القدس وعلى قسم كبير من الأراضي الفلسطينية بالقوة وأعلنوا دولة اسرائيل التي وجد الاستعمار الغربي فيها المصالح الصليبية وحرباً صليبية بأسلوب جديد، وقادة المسلمين في غفلة ساهون، وهم يستمرون في مخططاتهم والهاء المسلمين في شهواتهم. خطط للقضاء على القدس منذ عام ١٨٨٧ م عندما دعا الزعيم الصهيوني في مؤتمر بال في سويسرا داعياً إلى حكومة صهيونية في فلسطين وطلبوا من السلطان عبد الحميد العثماني بيع القدس لهم فامتنع فدبروا خطة للتخلص منه وذلك بواسطة اليهودي سالونيك، وهم الذين دخلوا في الإسلام كذباً وزوراً وتسلموا مناصب عالية وكان منهم على ما يقال حين جاهد الذي أطلق قرار خلع عبد الحميد في عام ١٩٠٩ م من عرش تركيا والمعروف بقرار قرصو، وحينما تسلم القرار قال: الآن بدأ الخوف على هذه الدولة من جرذان صهيون، والتاريخ يعيد نفسه إن الحقائق التي ثبتت يوماً بعد يوم تظهر الحقيقة الصليبية الكامنة وراءهم فلما دخل اللورد الصهيوني القدس بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، قال الآن انتهت الحروب الصليبية، وقال موشي دايان عندما زار حائط المبكى في السادس من حزيران عام ١٩٦٧ م اليوم أصبح الطريق إلى المدينة مفتوحاً. وقد حدثني فلسطيني مخلص أن جهود اليهود حينما دخلوا المسجد كانوا ينادون بهذا البيت (مات محمد مات محمد خلف بنات) وفي عام ١٩٦٧ م قام بعض اليهود بإحراق المسجد الأقصى في اليوم

ابن الأثير في البداية والنهاية ص ٥٦٧ الروم قد جعلوا الصخرة مقبرة لأنها قبلة اليهود.

الصخرة:

تقع تحت قبة مسجد الصخرة مباشرة وقد بني في عام ٧٢ هـ المعادل ٩٦١ م على يد عبد الملك بن مروان وأخذ لبنائه خراج مصر لسبع سنين، وفي القبلة اليوم كتابة كوفية نصها ما يلي: بنى هذه الصخرة عبد الله الإمام المأمون عام ٧٢ هـ، وفي عهد الصليبيين حمل إلى الكنيسة ثم بعد اندحارهم أُعيد إلى المسجد وتعاهده ولاة المسلمين بالتعمير والإصلاح وخاصة سليمان القانوني وعبد الحميد الثاني، وذلك بالرخام والبناء الطيني والقبة الرصاصية والسجاد. وكان أهم بناء حصل هو ما تم بمشاركة الدول الإسلامية في العام ١٩٦٤ م.

الراتق:

حائط كبير يقدر طوله ١٥٦ قدماً أما ارتفاعه فيبلغ ٦٥ قدماً وقد رويت روايات بأن النبي أوقف براقه ليلة المعراج على هذا الموقع ولهذا المكان اليوم جزء من الجدار الغربي للحرم، وقد زاره الرحالة ناصر خسرو عام ٤٣٨ هـ وقال عن الصخرة التي كانت قبلة الإسلام ما نصه: والصخرة حجر أزرق لونه ولم يطأها أحد برجله أبداً وفي ناحيتها المواجهة للقبلة انخفاض كأن انساناً سار عليها فثبتت آثار قدمه كما هي تبدو على الطين الطري فإن أصابع قدمه باقية عليها وقد بقيت عليها آثار طبع أقدام، وسمعت أن ابراهيم عليه السلام كان هناك وكان اسماعيل طفلاً فمشى عليها وهي آثار قدمه، وقال ناصر خسرو عن رحلته عن القدس: وبعد قبة جبريل قبة أُخرى يقال لها قبة الرسول، وبينهما عشرون ذراعاً، وهي مقامة على أربعة دعائم من الرخام أيضاً، ويقال أن الرسول صلّى ليلة المعراج في قبة الصخرة أولاً ثم وضع يده على الصخرة، فلما خرج وقف في جلالة فوضع الرسول يده عليها لتعود إلى مكانها وتستقر وهي بعد نجم معلقة، وقد ذهب الرسول من هناك إلى القبة التي تنسب إليه ورد البراق وهذا سبب تعظيمها.

ونعليك اخلعن واسجد خضوعاً ... إذا لاحت لديك القبتان
فتحتهما لعمرك نار موسى ... ونور محمد متقارنان

ضواحي الكاظمية:

وفي ضواحي الكاظمية من المساجد والمزارات والمراقد ما ينبغي للزائر أن يتعاهدها ويدرس تاريخها وإليك لمحة عنها:

١ ـ مسجد براثا:

وهو في طريق الكاظمية ـ بغداد مسجد عامر صلّى فيه الإمام علي عليه السلام في طريقه إلى النهروان وهو من المساجد القديمة:

روى محمد بن المشهدي، عن أنس بن مالك قال: لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان نزل براثا، وكان بها راهب اسمه الحباب، نظر إلى عسكر أمير المؤمنين عليه السلام فجاء مبادراً حتى وقف على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين حقاً حقاً، فقال: وما علمك بأني أمير المؤمنين حقاً حقاً، قال له: بذلك أخبرنا علماؤنا وأحبارنا، فقال له يا حباب... فقال له حباب مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإنك علي بن أبي طالب وصيه، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ابن هٰهنا مسجداً وسمه باسم بانيه فبناه وجعل اسمه براثا باسم الباني له، ثم قال: ومن أين تشرب يا حباب، فقال: يا أمير المؤمنين من دجلة هٰهنا، قال: فَلِمَ لا تحفر هٰهنا عيناً أو بئراً، فقال: يا أمير المؤمنين كلما حفرنا بئراً وجدنا ماءها مالحة، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام احفر هيهنا بئراً فحفر، فخرجت عليهم صخرة لم يستطيعوا قلعها فقلعها أمير المؤمنين، فانقلعت عن عين أحلى من الشهد والدمن الزبد إلخ، ويقول أبو محمد العوني من شعراء القرن الرابع الهجري:

وقلت براثا كان بيتاً لمريم ... وذاك ضعيف في الأسانيد أعوج
ولكنه بيت لعيسى بن مريم ... وللأنبياء الزهر مثوى ومدرج
وللأصياء الطاهرين مقامهم ... على غابر الأيام والحق أبلج

بسبعين موصٍ بعد سبعين مرسل جباههم فيها سجود تشجج
وآخرهم فيها صلاة إمامنا علي بذا جاء الحديث المنهج

وكانت براثا مركزاً للشيعة:

قال ياقوت: (براثا بالثاء المثلثة والقصر... كانت قبل بناء بغداد قرية يزعمون أن علياً مر بها لما خرج لقتال الحرورية بالنهروان وصلّى في موضع من الجامع.

قال الخطيب البغدادي: (كان في الموضع المعروف براثا مسجد يجتمع فيه قوم ممن ينتسب إلى التشيع ويقصدونه للصلاة والجلوس فيه، رفع إلى المقتدر بالله إن الرافضة يجتمعون في ذلك المسجد لسب الصحابة والخروج عن الطاعة، فأمر بكبسه يوم الجمعة وقت الصلاة فكبس وأخذ من وجد فيه فعوقبوا وحبسوا حبساً طويلاً وهدم المسجد حتى سوّى بها بالأرض وعفى رسمه ووصل بالمقبرة التي تليه ومكث خراباً إلى سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة سنة ٣٢٨ هـ فأمر الأمير بجكم (الماكاني) بإعادة بنائه وتوسعته وإحكامه، فبني بالجص والآجر وسقف بالساج المنقوش ووسع فيه ببعض ما يليه مما ابتيع له من أملاك الناس، وكتب في صدره اسم الراضي بالله الخليفة العباسي وكان الناس يأتونه للصلاة فيه والتبرك به، ثم أمر المتقي بالله بأن ينصب منبر فيه كان بمسجد المنصور معطلاً مخبوراً في خزانة المسجد عليه اسم هارون الرشيد فنصب في قبلة المسجد... ولم يزل على هذا إلى أن خربت بغداد سنة ٤٥١ هـ إحدى وخمسين وأربعين، تاريخ بغداد ١/١٠٩.

قال المحدث القمي: (إن لهذا المسجد كما يبدو من مجموع هذه الأحاديث فضائل عديدة تكفي إحداها لو حازها مسجد من المساجد أن تشد الرحال وتطوى المراحل ابتغاء رضوان الله بالصلاة والدعاء فيه.

ثم ذكر اثنى عشر خصلة منها صلاة أمير المؤمنين عليه السلام وابنيه الحسن المجتبى وسيد الشهداء فيه.

اليوم وحتى اليوم يحاولون تهويد المدينة ولذلك يجب علينا أن نعرف الآثار الإسلامية الموجودة اليوم وهي:

الحرم:

هي منطقة واسعة لها عشرة أبواب مفتوحة بالإضافة إلى أربعة مقفلة وفيها ثمانية آبار وأربع مآذن ومكتبة ومتحف، بالإضافة إلى أروقة كثيرة يجتمع فيها المصلون وفيها حوض يسمى الكأس يجتمع الناس حوله للوضوء.

المسجد الأقصى:

يقع في الجهة الجنوبية من الحرم ويبلغ طوله ٨٠ م وعرضه ٥٥ م وفيه ٥٣ عموداً من الرخام. أول من بناه عبد الملك وزينه بصفائح الذهب والفضة، ولما جاء أبو جعفر المنصور العباسي أمر بقلعها وتركها على المسجد، ولما احتل الصليبيون القدس جعلوا قسماً منها كنيسة وقسماً آخر مستودعاً وبعد اندحارهم اطلق المسجد وجدد محرابه وتوالت عليه عمارات المسلمين، وفي عام ١٩٣٧ م تشكلت لجنة من مجلس إسلامي خاص لتعمير المسجد على أثر الزلزال جعلت فيه الدول الإسلامية فهدم الرواق وبني من جديد بالأعمدة المستوردة من إيطاليا. وفي داخل المسجد جامع مستطيل يسمى جامع محراب زكريا، وتحت الأقصى دهليز واضع يسمى الأقصى القديم، كما أن الملك عيسى الأيوبي أنشأ رواقاً إلى الشمال، والمعروف اليوم أن المسجد بيت المقدس هو المسجد الأقصى الوارد ذكره في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ وقد تضافرت الروايات بأنه المكان الذي وقع فيه الإسراء ليلاً للرسول ﷺ وفيها المعراج، ومن الثابت تاريخياً أن بناء المسجد أولاً كان في عهد الفاتح للقدس عمر بن الخطاب في عام ١٥ هـ، كما في رواية الطبري المجلد الثاني ص ١٠٦، من انه استشار كعب الأحبار اين يضع المسجد، فقال له كعب: اجعله وراء الصخرة فقال له: فما يخص اليهود يا كعب فلنجعله صدر المسجد ثم جدد بناءه عبد الملك، وهي العامرة اليوم، وقال

طويل تكلم حوله العلماء بتفصيل.

وذكرت ذلك في كتاب المعجم والجدير بالذكر أن الروايات كثيرة في فضل بيت المقدس والمسجد، فعن ابن عباس: إن الأرض المقدسة هي فلسطين، وإنما قدسها الله لأن يعقوب ولد فيها، وكان مرقد أبيه إسحق ويوسف.

وعن الإمام علي عليه السلام: (لقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تعالى أن نتخذها مصلّى). والمراد الإسراء والمعراج من النبي صلى الله عليه وآله.

وعنه أيضاً: أربعة من قصور الجنة في الدنيا المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد بيت المقدس، ومسجد الكوفة.

وأيضاً روى الباهلي عن الرسول قوله: لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين عن الحق ولعدوه قاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله عز وجل وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله فأين هم، قال في بيت المقدس.

وروي أيضاً: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى. وروي ابن ماجه عن ابن مالك قال: صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الأقصى. ومن التواريخ الإسلامية في العصر الإسلامي أن في عام ١٥ هـ المعادل ٦٣٦ م بعد فتح الشام حاصرها المسلمون مدة أربعة أشهر، وتم فتحها على يد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وآمن أهلها على أنفسهم وآخاهم وأوفاهم عهدهم، وقام أول قاضي مسلم فيها هو الصحابي الجليل عبادة بن صامت الأنصاري، وهو مدفون في مقبرة باب الرحمة في الجهة الشرقية من سور الحرم ـ وتوالت الدول الإسلامية الأموية والعباسية والفاطمية والأيوبية والمماليك والعثمانيين في بناء وترميم وتعمير خطط المدينة وخاصة الجامع فيها وبالأخص بعد أن استعاد صلاح الدين الأيوبي القدس من الصليبيين وانتصر عليهم في عام ٥٧٤ هـ... وفي عام ٩٢٤ هـ دخلت القدس تحت حكم الخلافة العثمانية حتى احتلال الحلفاء، وفي عام ١٣٣٦ هـ احتلها الحلفاء وكانت تحت الحماية البريطانية وفي عام ١٣٦٨ هـ المعادل ١٩٤٨ م اقتطع اليهود قسماً من المدينة لهم ومن ذلك

٢ ـ النواب الأربعة:

قال المحدث القمي: (من وظائف الزائرين للعتبات المقدسة في العراق أثناء إقامتهم في مدينة الكاظمين الطيبة هو التوجه إلى بغداد لزيارة النواب الأربعة الذين نابوا عن الحجة المنتظر إمام العصر صلوات الله عليه، وزيارة قبورهم لا تتطلب من الزائر بذل كثير من الجهد فهي في مدينة بغداد غير بعيد عن الوافدين من الزوار ولو كانت منتشرة في أقصى البلاد لكان يحق أن تشد إليها الرحال وتطوى في سبيلها المسافات ويتحمل متاعب السفر والشدائد لنيل ما في زيارة كل منها من الأجر العظيم والثواب الجزيل...).

وصفة زيارتهم كما ذكرها الطوسي في التهذيب والسيد ابن طاووس ومصباح الزائر مسنداً إلى أبي القاسم الحسين بن روح (ره) هو أن يسلم على رسول الله وعلي عليه السلام وخديجة الكبرى وفاطمة ثم الأئمة واحداً بعد واحد ثم السلام عليه باسمه واسم أبيه ثم يقول: (أشهد أنك باب المولى أديت عنه وأديت إليه ما خالفته ولا خالفت عليه، قمت خاصاً وانصرفت سابقاً جئتك عارفاً بالحق الذي أنت عليه وإنك ما خنت في تأدية السفارة، سلام عليك من باب ما أوسعه ومن سفير ما آمنك ومن ثقة ما أمليك، أشهد أن الله اختصك بنوره حتى عاينت الشخص وأديت عنه وأديت إليه ثم السلام على رسول الله والأئمة من بعده، جئتك مخلصاً بتوحيد الله وموالاة أوليائه والبراءة من أعدائهم ومن الذين خالفوك يا حجة المولى وبك إليهم توجهي وبهم إلى الله توسلي) ثم تدعو بما أحببت.

النائب الأول ـ عثمان بن سعيد الأسدي السمان:

في المراقد ٢/ ٦١: (مرقده في مدينة السلام بغداد بجانب الرصافة قرب نهر دجلة بالجانب الغربي من سوق الميدان قبلة المسجد المعروف قديماً بمسجد الدرب، وفي نزهة الحرمين للصدر (الشيخ عثمان بن سعيد العمري من أولاد عمار بن ياسر) ويقع في سوق الميدان.

وعن الشيخ الطوسي: (كنا ندخل إليه نزوره مشاهرة. من وقت دخولي إلى

بغداد في سنة ٤٠٨ هـ إلى نيف وثلاثين وأربعمائة... وعمل الرئيس أبو منصور ابن محمد فرج عليه صندوقاً ويتبرك جيران المحلة بزيارته.

وفي المراقد: (وقفت على قبره سنة ١٣٨٧ هـ قد كتب على بابه في سوق الميدان: هذا مسجد نائب الإمام عليه السلام عثمان بن سعيد العمري العسكري بتاريخ سنة ١٣٤٨ هـ وكان على قبره قبة صغيرة...).

وكانت الشيعة في الأقطار النائية تحمل الحقوق الشرعية في أموالها من ذهب وفضة إلى الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام في ظروف السمن وزقاقه وترسلها إليه بواسطة العمري عثمان بن سعيد السمان، وذلك خوفاً من السلطة العباسية الجائرة.

قال الإمام الهادي عليه السلام: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه إليكم فعني يؤديه».

قال العسكري: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات».

قال سيد مشايخنا الأصفهاني في أحسن الوديعة في مزارات بغداد، (ومنها) قبر أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري بفتح العين المهملة وسكون الميم وكسر الراء وبعدها ياء نسبة إلى جده عمرو وهذا المولى الجليل قد نصبه أولاً مولانا علي النقي ثم ابنه الحسن العسكري فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما، ثم بعد ذلك قام بأمر مولانا الحجة عليه السلام، وكانت توقيعاته وأجوبة المسائل وحل المشاكل تخرج على يديه، توفي (ره) في حدود سنة ٢٥٧ هـ ودفن في داره الواقعة مما يلي سوق الميدان خلف دائرة البريد وقد جددت عمارته في هذه السنة شيعة بغداد، وقال شيخنا الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ كما في الخلاصة في ص ٢٣٢ من كتاب الغيبة ص ٨ المطبوع في تبريز على الحجر سنة ١٣٢٣ هـ، قال أبو نصر هبة الله بن محمد: وقبر عثمان بن سعيد في الجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان في أول الموضع المعروف في الدرب بدرب جبلة في مسجد الدرب يمنة الداخل إليه، والقبر في نفس قبلة المسجد

منه ثانية على المعتقد المسيحي، بنتها الملكة هيلانة في عام ٣٣٥ م بعد أن اكتشفت فيها القبر هناك.

حديقة القبر المقدس: وفي شمال باب العمود خارج المدينة في الجانب الشرقي من الطريق المؤدي إلى نابلس، ويعتقد بعض البروتستانية أن فيها قبر المسيح وقد اكتشفه الجنرال الفورون.

مقام النبي موسى: وفي طريق القدس يقع مقام عليه جامع ومأذنة يزوره المسلمون كل عام ويسمى موسم الزيارة موسم النبي موسى.

العيزرية: قرية في شرقي القدس تبعد عنها ٥ كم يقال أنها كانت مدخل مريم ومرثا، وكان لهما اخوان هما اليعازر وشمعون من أصحاب المسيح، وإن المسيح وقف ونادى اليعازر من قبره بعد موته بثلاثة أيام فبعث حياً.

في العصر الإسلامي:

والمشهور أن الأقصى هي القبلة الأولى في الإسلام، وروي أنه قد صلّى النبي إليها ستة عشر وقيل: سبعة عشر شهراً، ثم تحولت القبلة إلى الكعبة في العام الثاني للهجرة في شهر شعبان وسط صلاة العصر، كما جاء في البداية والنهاية لابن الأثير المجلد الأول ص ٣٠٨.. والإسراء حيث سير النبي صلى الله عليه وآله من مكة إلى القدس، ثم المعراج ويعني صعوده من القدس إلى السماء. كان ذلك قبل الهجرة بسنة واحدة أي عام ٦٢١ م، وكان صلى الله عليه وآله في دار أم عامر أخت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وزوجها خيبرة بن أبي وهب المخزومي، وكان نائماً في تلك الليلة في بيتها، كما في مجمع البيان المجلد الأول ص ٣٩٦، وفي التبيان عن الحسن عليه السلام صلّى النبي المغرب في المسجد الحرام ثم أُسري به إلى البيت المقدس في ليلة ثم رجع فصلّى الصبح في المسجد الحرام، وكانت رحلته بواسطة البراق وهي دابة بيضاء طويلة فوق الحمار ودون البغل، كما في الطبقات المجلد الأول ص ١٩٨، وعن النبي صلى الله عليه وآله: خرج معي جبرائيل لا يفوتني ولا أفوته حتى انتهى بي إلى بيت المقدس فأنهى البراق إلى موقفه الذي كان يقف فيه وربطه جبريل وكان هذا في العلياء. والحديث عن الإسراء والمعراج

القيامة، وفي عام ٦١٤ م هاجم الفرس البيزنطيين واستولوا على القدس حتى صالحهم هرقل.

وقد انتشرت الآثار المسيحية والتي لها علاقة بالسيد المسيح ولا تزال اليوم منها:

كنيسة الجثمانية: وهي المكان الذي بات في آخر لياليه وفيها شجرات زيتون يعتقد المسيحيون أن المسيح زرعها، ومنها أيضاً:

مغارة الجثمانية: التي كان المسيح يعلم فيها تلامذته وفيها قبض على المسيح ومنها أيضاً مقام العذراء، ومنها كنيسة السيدة مريم. ويقال إن فيها قبرها ومنها كنيسة القديس حنا، ويعتقد المسيحيون أنها كانت بيت والدي مريم البتول، ومنها بلدة بيت حدا، حيث ظهرت منها للسيد المسيح معجزة، ومنها الفديق في الشمال الغربي للقدس على بعد ٢٠ كم وهي قرية عمرس التي ظهر المسيح لتلاميذه بعد اليوم الثالث من دفنه كما يعتقد المسيحيون.

وأهم الآثار اليوم هي:

بيت لحم: وهي مدينة صغيرة في جنوب القدس على بعد ١٧ كم وإنها كانت موطن داود وزكريا ويحيى وغيرهم من الأنبياء.

كنيسة العهد: في بيت لحم على المغارة، المعتقد أن المسيح ولد فيها وتسمى مغارة المهد أُسست هذه الكنيسة عام ٢٢٦ م وتعهدها الملوك والولاة المسيحيون بالتعمير والتجديد، ويقال أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، زارها وصلّى فيها، أما مكان الولادة فهو ناحية المغارة، أرضه من الرخام الأبيض تتوسطه نجمة فضية فهو ناحية المغارة، أرضه من الرخام الأبيض تتوسطه نجمة فضية مسمرة في الأرض وضعت هناك عام ١٧١٧ م وعليها كتابة باللاتينية: هنا ولد يسوع المسيح من العذراء مريم. ويوجد مكان آخر يسمى المذود حيث وضعت مريم طفلها بعد الولادة.

طريق الآلام: هو الطريق الذي سلكه السيد المسيح بعد أن حكم عليه بالإعدام وصلب على ما يعتقده غالب المسيحيين والقبر الذي دفن فيه ثم بعث

رحمه الله، قال محمد بن الحسن مصنف هذا الكتاب رأيت قبره في الموضع الذي ذكره وكان قد بني في وجهه حائط وبه محراب المسجد وإلى جنبه باب يدخل إلى موضع القبر في بيت ضيق مظلم فكنا ندخل إليه ونزوره مشاهرة وكذلك من وقت دخولي إلى بغداد وهي سنة ثمان وأربعمائة إلى سنة نيف وثلاثين وأربعمائة، انتهى محل الحاجة.

أقول: قد زرنا هذا القبر الأنور والمرقد المطهر فقد صار وسيعاً في الجملة إن قلت إنك ذكرت هناك أن قبر عثمان بن سعيد في الجانب الشرقي من بغداد وعبارة الشيخ الطوسي المذكورة نص في أن قبره في الجانب الغربي فكيف الجمع. قلت: قد ذكرنا أن للجانب الشرقي أيضاً جانبين يعبر من القديم إلى اليوم عن أحدهما بالجانب الغربي وهو حوالي شارع الميدان، ويعبر عنه اليوم بباب المعظم ويعبر عن الجانب الآخر من جانبي شرقي بغداد بالجانب الشرقي ويعبر عنه اليوم بباب الشيخ وبباب الشرجي، نعم إذا قيل الجانب الغربي فالمراد عند الإطلاق جانب الكرخ وأما إذا قيد كما في عبارة الشيخ الطوسي فالمراد به الجانب الشرقي المعروف بالرصافة، وإن أبيت عن قبول ما ذكرناه وتصديق ما حررناه فهناك نص عبارة ياقوت فإنه قال في ص ٢١١ س ١٠ في ج ٥ في معجم البلدان: شارع الميدان من محال بغداد بالجانب الشرقي خارج الرصافة وكان شارعاً ماداً من الشماسية إلى سوق الثلاثاء وفيه قصر أم حبيب بنت الرشيد، انتهى، وفي ص ٢٩١ ج/ ٥ من المعجم عين الشماسية وفي هذه الناحية في ص ٩٨ ج ٧ من المعجم ذكر أن قصر أم حبيب في محال الجانب الشرقي من بغداد مشرف على شارع الميدان إلخ، ولم يسبقنا فيما ذكرناه على ما نعلم وذلك من فضل الله تعالى وبركات إمام العصر عليه السلام والحمد لله، انتهى كلامه.

النائب الثاني ـ الخلاني وهو أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد الأسدي: المعروف بالخلاني توفي ببغداد ٣٠/ج ١/ ٣٠٥ هـ.

وفي المراقد (١/ ٢٧٨)، مرقده ببغداد جانب الرصافة بالشارع المؤدي إلى باب الكوفة قديماً والآن يقع في محلة الخلاني نسبة إليه وإلى مرقده الطاهر وهو أحد المراكز الشيعية في بغداد.

وفي الهامش: وقد جدد مرقده وجامعه سنة ١٣٤٩ هـ وإن تاريخ بنائه:

معبد شرفه اللّه بقبر ... خد فيه نائب المهدي محمد
شاده زيدان في جد ومال ... وأخوه القاسم الشهم الممجد
عمّراه عمّر الرحمٰن قصرا ... لهما في جنة الخلد مخلد
مذ أتماه بناءً أرخاه ... (معبد أُسس في ذكرى محمد)

وفيها مكتبة عامرة أُسست ١٣٩٤ هـ باسم مكتبة الشيخ الخلاني العامة تدار برعاية السيد محمد الحيدري.

قال حرز الدين (إنه لقب بالخلاني نسبة لبيعة الخل حيث كان يكتسب له تستراً بالكسب عن ضغط بعض المبغضين من أهل الخلاف كما كان الشيخ والده عثمان بن سعيد يبيع السمن حتى عرف بالسمان).

وكان الخلاني نائباً عن الإمام الهادي عليه السلام والعسكري عليه السلام:

قال السيد الأصفهاني: (ومنها قبر الشيخ الثقة الجليل أبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد، ولما مات أبوه عثمان المشار إليه قام ابنه أبو جعفر المنوه باسمه مقامه وناب في الأمور مثابه، وكانت مدة نيابته قريباً من خمسين سنة وتوفي في آخر جمادى الأولى سنة ٣٠٥ أو سنة ٣٠٤ هـ على الاختلاف المذكور في ص ٢٣٨ من كتاب الغيبة لشيخنا الطوسي، وفي تلك الصفحة من السطر الأخير، قال الشيخ الطوسي، قال أبو نصر هبة الله: إن قبر أبي جعفر محمد بن عثمان جد والدته في شارع باب الكوفة من الموضع الذي كانت دوره ومنازله فيه وهو في وسط الصحراء قدس سره، انتهى.

أقول: ويعرف بالشيخ الخلاني عند أهل بغداد وقبره كما وصف وهو واقع في أواخر بغداد الشرقية على طريق سلمان (ره) وأطرافه لم تكن معمورة قبلاً، وبعد الاحتلال صارت معمورة قليلاً، وتأخذ في الزيادة يوماً فيوماً عمارة أطرافه وله صحن كبير زرته مراراً عديدة، تقيم الشيعة في صحنه العزاء للحسين عليه السلام في أيام عاشوراء، وقيل في وجه تسمية الخلاني وجوهاً أوجههما ما سمعته عن بعضها الأجلاء أنه قال: لما حضرته الوفاة أرادوا نقله عند أبيه ودفنه هناك، فقال

القدس

مررت على القدس الشريف مسلماً ... على ما تبقى من ربوع كأنجم
ففاضت دموع العين مني صبابة ... على ما مضى من عصرها المتقدم
فلو كان يفدى بالنفوس فديته ... بنفسي وهذا الظن في كل مسلم

قاله نجم الدين محمد بن عبد الله قاضي جبل طور:

القدس يراد به المنطقة المحيطة للحرم الشريف والمسجد الأقصى وما حولهما وهي عاصمة فلسطين. تمتاز مدينة القدس عن غيرها من الأماكن الإسلامية بأنها مقدسة عند أصحاب الديانات السماوية، وقيل في سبب تسميتها إنها كانت يبوس نسبة إلى أهلها اليبوسية الكنعانيين وإن ملكها كان عادلاً فسميت المدينة بمدينة السلام. وتوالت عليها الفتوحات ففي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد استولى عليها داود ثم خلفه ابنه سليمان. وفي عام ٥٨٦ ق. م. هاجمها نبوخذ نصر وسبى أهلها ثم استولى عليها ملك إيران كورش، وأيضاً استولى عليها الاسكندر في عام ٣٣٢ ق. م. وبدأ العمران فيها في عهد هيردوس الذي ولد في عهد السيد المسيح.

تضم فلسطين جمعاً من الأنبياء وهم ابراهيم الخليل، وإسحٰق، ويعقوب، وزوجاتهم وقبورهم متلاصقة معروفة ويعقوب هو المعروف بإسرائيل قبل الإسلام. تعتبر ولادة السيد المسيح في بيت لحم في عهد هيردوس من أكبر الأحداث التاريخية قبل الإسلام في القدس. وفي عام ٧٠ ب. م. نزل بها الرومان وأنزلوا الخسائر بها. وفي عام ١٣٥ م قام أريانوس بإعادة بنائها، وفي عام ٣٣٥ م زارت الملكة هيلانة أم قسطنطين بيت المقدس وبنت بها كنيسة

قال محمد عدنان المخيم في كتابه مملكة الكرك ما نصه: مؤتة قرية إلى جنوبي الكرك وهي إحدى مزارات منطقة الكرك فيها قبور زيد بن الحارثة وعبد الله بن رواحة وجعفر الطيار الذين أُستشهدوا في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة المعادل ٦٢٩ م، ومؤتة هي الآن من المزارات المقصودة وبالأخص من الشيعة منها. وجاء في كتاب خمسة أعوام في الشرق الأدنى ما نصه:

وبالقرب من الكرك نجد مزاراً جليلاً يقارن اسمه بتلك البقعة ونال شأناً رفيعاً، فهو جعفر الطيار وهو مكان تاريخي يورده الحديث الإسلامي. ذكر المؤرخون أنه في السنة الثامنة للهجرة خرج المجاهدون في البادية لمحاربة الروم وافتتاح ملكهم فالتحم الجمعان في بقعة تدعى مؤتة فسقط من الجانبين عدد وافر وأسفرت المعركة عن كسر المجاهدين ونصرة الروم عليهم، وكان في المنطقة قائد مشهود له في المعارك يدعى جعفر، ويستمر المؤلف قائلاً: ففي أيام الربيع يفد إليه الزائرون من عرب المجالي، والحجايا، والسلاجطة، والحباشنة، والمعايطة وغيرهم، إلى أن يقول: وبعد الأفراح ينحرون الذبائح ويقدمونها للفقراء إكراماً لجعفر الطيار.

قال في المراقد: (مرقده في مؤتة حيث استشهد وشيد عليه قبة قديمة وله حرم وإلى جنبيه مشهد. حدثنا بعض أصحابنا العراقيين الزائرين لمرقده في إمارة الأردن في إمارة الأمير الشريف عبد الله) وفي الهامش عن المحامي عبد الله أنه في سنة ١٩٤٢ م ذهب مع الشريف الملك عبد الله لتعمير قبر جعفر الطيار في مؤتة، فلما وصلوا إلى القبر وجدوه مهدوماً فنزل فرأى بدن جعفر الطيار بهيئته وثيابه وعليه الدم طرياً والسيف في عنقه لم يتغير من بدنه شيء فكأنه ميت من يومه، وكان المحامي الشريف يحلف بالأيمان المغلظة مراراً أنه وجده كذلك، فعمّر الأمير عبد الله بن الملك الحسين القبر وبنى المسجد الذي عليه، والمرقد الشريف لجعفر بن أبي طالب وصحبه الأبرار الشهداء اليوم يعرف بمنطقة المزار في المنطقة التي كانت تعرف بمؤتة والإسم الرسمي لها المزار في الأردن وهكذا نجد حياة الطيار تعتبر دروساً عملية في التضحية والجهاد من أجل العقيدة والحق.

خلوني في هذا المكان، فاشتهر بالخلاني أو أن الحجّة عليه السلام خلاه بعد أبيه نائباً عنه، فقال لشيعته عليه السلام، خلاني أي الحجة وسمعنا غير ذلك والله العالم، وفي ص ٢٢٧ من فلك النجاة ومحمد بن عثمان المعروف بالخلاني في الجانب الشرقي من بغداد، أقول: يعني من الجانب الشرقي من شرق بغداد كما لا يخفى بعد ملاحظة ما ذكرناه، انتهى. والمحلة التي دفن فيها تعرف اليوم بباب الشيخ.

الثالث ـ الحسين بن روح النوبختي المتوفى/ ٣٢٦ هـ:

في المراقد (١/٢٤٩): (مرقده: ببغداد جانب الرصافة مشهور معروف مشيد عامر عليه قبة صغيرة وفوق دكة قبره شباك مجلل يزدحم عليه الزائرون المتعبدون، إلى جنب قبره جنوباً مسجد صغير تقام فيه الصلاة جماعة من بعض أئمة علماء الشيعة الإمامية).

... يعرف موضع قبره في سوق الشورجة التجاري ببغداد في زقاق غير نافذ ويعد مرقده اليوم من المراكز الشيعية في بغداد.

وكان النوبختي من أوثق الناس وأعظمهم وأدهاهم وأعرفهم بالأمور مبجلاً عند الخاصة والعامة وكانت العامة تعظمه وترى فيه الصدق والمعروف ولين الجانب وعدم المعاندة.

وكانت سفارته بعد وفاة الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري المعروف بالشيخ الخلاني المتوفى ببغداد سنة ٣٠٥ هـ. بوصية منه لوجوه الشيعة قائلاً: (هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي، والسفير بينكم وبين صاحب الأمر عليه السلام، والوكيل والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أُمرت وقد بلغت).

قال السيد الأصفهاني: (ومنها قبر الشيخ الجليل الثقة الأمين الحسين بن روح بن بحر بن النوبخت من بني نوبخت وهم طائفة جليلة من الإمامية وأغلبهم كانوا من متكلمي الشيعة وفضلائهم وكانوا من كبار بيوتات العلم في بغداد.

وقال شيخنا الطوسي (ره) في ص ٢٥٢. من كتابه الغيبة: وأخبرني الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس أحمد بن علي بن نوح، عن أبي نصر

هبة الله بن محمد الكاتب ابن بنت أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري (ره) أن قبر أبي القاسم الحسين بن روح في النوبختية في الدرب الذي كانت فيه دار علي بن أحمد النوبختي النافذ إلى التل وإلى درب الآخر وإلى قنطرة الشوك رضي الله عنه، قال وقال لي أبو نصر: مات أبو القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه في شعبان ست وعشرين وثلاثمائة، وقد رويت عنه أخبار كثيرة، انتهى ما أردنا نقله.

وفي فلك النجاة: والحسين بن روح في دار في سوق العطارين في الجانب الشرقي أقول: وتلك الدار حتى اليوم موجودة وفيها قبر الحسين بن روح (رض) واقع في محل منخفض عن الدار مظلم والدار واقعة في الطريق المرفوعة الكائنة على يمين من يدخل في وسط سوق العطارين من الجانب الشرقي، وهذه الأطراف كانت سابقاً معروفة بمحلة النوبختية وكانت فيها دورهم فبمرور الأيام والأزمنة خربت وتغيرت حتى صارت على هذه الحالة، ولم يبقَ سوى الدار المذكورة التي فيها الحسين بن روح المشار إليه ولا يخفى على من قرأ سير التواريخ والتراجم أن بغداد الشرقية لما بنيت صارت بعد برهة قليلة من الزمان مقر الخلفاء والعلماء من الفريقين ولا سيما من كانت له صحبة مع الخلفاء أو منصب فإن بني نوبخت كانوا وجهاء بغداد ورؤساؤها، انتهى كلامه.

الرابع ـ أبو الحسن علي بن محمد السمري المتوفى ١٥/شعبان/٣٢٩.

في المراقد (مرقده ببغداد جانب الرصافة في سوق الهرج القديم قرب المستنصرية في الضفة اليسرى من نهر دجلة يقع قبره في حجرة بين السوق وبين المسجد المعروف بمسجد القبلانية وهو اليوم عامر عليه قبة يزوره المسلمون خصوصاً وفود الشيعة الإمامية فهو يعتبر من المراكز الشيعية في بغداد) انتهى. ولا يزال السوق يعرف بسوق الهرج اليوم.

قال السيد الأصفهاني: (ومنها قبر الشيخ الجليل الزاهد الثقة ابو الحسن علي بن محمد السمري، قام بأمر الحجة عليه السلام بعد مضي حسين بن روح لسبيله ولم يقم أحد من هؤلاء النواب بالنيابة إلا بنص عليه، ولم تقبل الشيعة قولهم إلا بعد ظهور آية معجزة تظهر على كل واحد منهم من قبل صاحب

قطع شماله فضم الراية إلى صدره حتى خرّ صريعاً شهيداً في سبيل الله، كما في الإصابة ووجد في مقاديم بدنه تسعون ضربة بين طعنة ورمح وضربة سيف، كما في الإصابة والاستيعاب أيضاً، وقد حزن على موته الرسول ﷺ حزناً شديداً. وعن ابن عمر قال: وجدنا ما بين صدر جعفر بن أبي طالب ومنكبيه تسعين جرحاً ما بين ضربة وطعنة بالرمح، ولما بلغ النبأ النبي ﷺ نعى جعفر وواسى امرأته أسماء بنت عمير، فعزاها في زوجها ودخلت فاطمة الزهراء عليها السلام، وهي تبكي وتقول: واعماه فقال رسول الله ﷺ: على مثل جعفر فلتبكي البواكي ودمعت عينا رسول الله ﷺ، وقال: قطعت يداه قبل أن يستشهد وقد أبدله تعالى عن يديه بجناحين من الزمرد الأخضر فهو الآن يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء، وكان من هنا عرّف بجعفر الطيار. وكان أول من رثاه شعراً حسان بن ثابت في قصيدته الطويلة التي يقول فيها:

ناولني ليل بيثرب أعسر ... وهم إلى ما نوم الناس مسهر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوباً وقد خلفت فيمن يؤخر
فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ... بمؤته منهم ذو الجناحين جعفر
وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة غدوا في المؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
كما زان في الإسلام آل هاشم ... دعائم عز لا ترام ومذخر
هم جبل الإسلام والناس حوله ... رضام إلى طود يروق ويقهر
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم وفيهم والكتاب المطهر

ورثاه كعب بن مالك الأنصاري بقصيدة جاء فيها:

صلى الإله عليهم من حجة ... وسقى عظامهم الغمام المثقل
وقفوا بمؤتة للإله نفوسهم ... حذر الروى ومخافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كأنهم ... فلق عليهن الحديد المرهل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... إذ كان أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر ... حين التقى وعد الصفوف مجندل
فترجل القمر المنير لفقده ... والشمس قد كسفت وكادت تأفل

أُسلمهم إليكما ولا يكادون ولا يهانون.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً، يقولون إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، فسألهم فقال جعفر: فيه ما يقول نبينا محمد ﷺ يقول: إن عيسى عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فلما سألهم الملك وأجابوا بهذا الجواب ضرب الملك النجاشي بيده الأرض فأخذ منها عوداً ثم قال: اذهبوا فأنتم آمنون في أرضي وبلادي، وحينئذ خرج كل من عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة مخذولين مقبوحين من عند النجاشي، وأقام المسلمون بقيادة جعفر بن أبي طالب هناك مستمرين في نشاطهم الإسلامي.

في غزوة مؤتة:

أرسل رسول الله ﷺ جيشاً بقيادة جعفر بن أبي طالب إلى مؤتة وذلك في العام الثامن للهجرة، والسبب في هذه البعثة كما رواه الواقدي، أن رسول الله ﷺ بعث الحارث بن عمير الأسدي في السنة الثامنة للهجرة إلى ملك بصرى ومعه كتاب، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمر الغساني، فقال: أين تريد قال: الشام، فقال: لعلك من رسل محمد، قال نعم، فأمر به فوثق برباط، ثم قدمه فضرب عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث فأهرعوا ثم خرجوا وعسكروا في الترك فأمر عليهم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل فزيد بن حارثة فإن قتل فعبد الله بن رواحة هكذا، وفي روايات أُخرى غير ذلك، وقال السيد الأمين والاعتبار يذكر ذلك، فلم يكن رسول الله ﷺ ليؤمر عليهم غير جعفر مع كفائته وكونه أهلاً للإمارة وتفوقه على الآخرين في الشجاعة والإخلاص كما يدل عليه ما في الاستيعاب.

مقتل جعفر بن أبي طالب عليه السلام:

في غزوة مؤتة في السنة الثامنة من الهجرة أبلى جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين بلاءً حسناً وكان جعفر قد قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله ثم

الأمر عليه السلام تدل على صدق مقالتهم وصحة نيابتهم، فلما حان رحيل أبي الحسن المشار إليه عن الدنيا وقرب أجله وانقطع عن الدنيا أمله قيل له: إلى من توصي فأخرج توقيعاً إليهم نسخته هكذا:

بسم الله الرحمٰن الرحيم: (يا علي بن محمد السمري، اسمع عظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام ما جمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك منذ وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وهذه النسخة رواها الشيخ في كتاب الغيبة عن الحسن بن أحمد، وعلى ما في البحار فيمن رآه عليه السلام بعد تلك الغيبة وأجاب عنه أصحابنا قدست أسرارهم بوجوه ذكرها النوري في ص ٢٨٥ من جنة المأوى، ولكن بعضها مرضى عندنا وما ذكره شيخنا المجلسي (ره) أقرب، قال (ره) في ص ١٤٢ ـ ٤ في ج ١٢ من البحار بعد نقل الخبر عن الاحتجاج والكافي بيان لعله محمول على من يدعي المشاهدة مع النيابة وإيصال الأخبار من جانبه عليه السلام إلى الشيعة على مثال السفراء، لئلا ينافي الأخبار التي مضت وستأتي فيمن رآه عليه السلام ويعلم، انتهى. هذا وقد توفي أبو الحسن السمري، المذكور في النصف من شعبان سنة ٣٢٩ هـ كما في ص ٢٥٧ من كتاب الغيبة للشيخ الطوسي (ره) وأيضاً في الصفحة ٢٥٨ من كتاب الغيبة المذكورة ما نصه:

(وأخبرني الحسين بن ابراهيم عن أبي العباس ابن نوح عن أبي نصر هبة الله بن محمد الكاتب، أن قبر أبي الحسن السمري «رض» من الشارع المعروف بشارخ الخلنجي من ربع باب المحول قريب من شاطىء نهر أبي عتاب وذكر أنه مات «رض» في سنة تسع وعشرين وثلاث مئة)، انتهى.

أقول: هذا الموضع معروف من سوق الهرج وعليه شباك من الخارج والقبر في المسجد مزار معروف، انتهى كلامه.

مقبرة الكليني:

قال السيد الأصفهاني في أحسن الوديعة ٢/٢٢٦ عند ذكر مزارات بغداد: (منها قبر الشيخ الكليني، قال العلامة في الخلاصة: (ودفن بباب الكوفة بمقبرتها قال ابن عبدون: ورأيت قبره في صراط الطائي، وعليه لوح مكتوب عليه اسمه واسم أبيه، وقال العلامة محمد مهدي الطباطبائي النجفي: وهو الآن مزار معروف بباب الجسر وهو باب الكوفة وعليه قبة عظيمة، وفي رجال أبي علي وقبره (قده) معروف في بغداد الشرقية مشهورة تزوره الخاصة والعامة في تكية المولوية وعليه شباك من الخارج إلي يسار العابر من الجسر، وقال العلامة محمد مهدي القزويني الحلي في ص ٣٣٧ من فلك النجاة:

والكليني في الجامع مما يلي جسر بغداد ومعه قبر آخر يقال أنه الكراجكي أو الكيدري، انتهى. وما نقله السيد هاشم البحراني في روضة الواعظين من الكرامة يؤيد ذلك بل يعين ولم يشك أحد من الأنام في ذلك حتى جاء عالم الآلوسيين السيد محمود شكري فاستبعد في كتابه تاريخ مساجد بغداد أن يكون مثل هذا الموضع مدفن مولانا الكليني، وأخذ يورد احتمالات لا طائل تحتها وقد كنت معتقداً بكمال الآلوسي المشار إليه واطلاعه ولما وقعت على كتابه المذكور تعجبت من مثله كيف استدل على مدعاه بهذه الاحتمالات وأنت خبير بأنه لا يجوز نفي تلك النسبة شرعاً وعرفاً بل وعقلاً إذ لا طريق لإثبات الأملاك والأوقاف والأنساب غالباً إلا للشهرة المحققة، ولا داعي إلى ابطالها وسوف نورد عبارته في كتاب آخر مذيلاً بالرد الصحيح السديد وفي ما ذكرناه هنا كفاية، انتهى كلامه.

وقد تكلم الدكتور حسين علي محفوظ في ذلك بتفصيل مفيد راجع مقدمة الكافي بقلمه ط. طهران سنة ١٣٨١ هـ وعمدت الأوقاف إلى سد هذا الشباك النافذ إلى مرقد الشيخ الكليني في ١٣٦٨ هـ ونشرت (لواء الوحدة الإسلامية) تباعاً في السنة الأولى سلسلة مقالات تحتوي على الاستنكار من هذا العمل الذي ينافي تقدير العلماء.

كلامهما النجاشي. فقالت بطارقته وهم حوله: (صدقاً أيها الملك إن قومهم اعرف بهم، واعلم بما عابوا عليهم فسلمهم اليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم. فغضب النجاشي فقال: والله لا اسلمهم إليهما فإنهم قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان الرجلان في أمرهم، فإن كان الأمر كما يقولون سلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كان الأمر غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني. ثم أرسل إلى اصحابه، فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل إذا جئتموه، فقالوا: نقول الذي علمناه وأمرنا به كائن في ذلك ما هو كائن. فلما حضروا بين يدي الملك النجاشي دعا أساقفته فنشروا لهم كتبهم حوله فقال لهم: ما هذا الدين الذي فارقتم به دين آبائكم وقومكم، ولم تدخلوا في دينهم فقال جعفر بن أبي طالب: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيي الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، وكنا على ذلك حتى بعث الله رسولاً إلينا وهو منا نعرفه ونعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونطرح ما كنا نعبد نحن وآباؤنا دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار، والكف عن المحارم والزنا وعن الفحشاء، وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما حلل لنا، فعدوا علينا وعذبونا وفتنونا ودعونا إلى عبادة الأصنام دون عبادة الرب جل وعلا، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا من بلادنا واخترناك على من سواك من الملوك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء، قال جعفر بن أبي طالب عليه السلام: نعم، فقال النجاشي: فاقرأ فقرأ جعفر بن أبي طالب عليه شطراً من سورة كهيعص: ﴿ذكر رحمة ربك﴾ وأخذ يقرأها والنجاشي يبكي حتى أخضبت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضبت مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم. ثم قال الملك: والله هذا هو الذي جاء به موسى وعيسى انطلقا والله لا

بقيادة جعفر ومعه زوجته أسماء بنت عمير الخثعمية وهناك رزق أولاده الثلاثة عبد الله وعون ومحمد وقصته مشهورة مع النجاشي ملك الحبشة حيث أراد المشركون أن يردوهم وخافوا منهم ومن نشاطهم الإسلامي، وفي رواية أن النجاشي أسلم وأسلم معه جمع من الصحابة وحيث أن هذه الهجرة والقصة لا تخلو من الحكم والفوائد نذكرها. فإنه لما بعث النبي ﷺ بالنبوة والرسالة تتابع الناس بالدخول في الإسلام إلى أن فشا الإسلام في مكة بين القبائل كلها وأقبلت كل طائفة من قريش على من أسلم بالتكذيب والتعذيب والأذى وحمى الله تعالى ورسوله منهم بواسطة عمه أبي طالب ومن معه من بني هاشم وبني عبد المطلب، فلما رأى ﷺ ما أصاب الصحابة من البلاء وما هم عليه من الأذى والمعاقبة لعمه أبي طالب، وهو لا يقدر على أن يمنعهم قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه فيخرج عند ذلك المسلمون إلى الحبشة وكانت هذه الهجرة الأولى. وكانت الهجرة بقيادة جعفر بن أبي طالب ومعه ثمان وثمانون رجلاً حتى نزلوا أرض الحبشة فأمنوا بها على أنفسهم وعلى دينهم وعلى عبادتهم وتلقاهم النجاشي أحسن تلقٍ وأكرمهم غاية الإكرام وأحسن جوارهم وعبدوا الله تعالى لا يخافون أحداً واستمروا في نشاطهم الإسلامي. فلما رأت قريش أن جعفراً ومن معه من الصحابة قد اطمأنوا في نشاطهم الديني وأمنوا بأرض الحبشة وإنهم قد أصابوا داراً وقراراً تشاوروا فيما بينهم عن الطريقة التي يحدون بها من نشاطهم الإسلامي فبعثوا منهم رجلين ليخرجوهم من دارهم التي كانوا بها آمنين، فذهبوا إلى النجاشي لغرض أن يردوهم ليفتنوهم عن دينهم عند النجاشي وأن يهدوا له الهدايا مما يستظرف، فجمعوا له وللبطارقة هدايا ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وقالوا لهم: (ادفعا إلى كل بطريق بهدية قبل أن يكلما النجاشي). فخرجا حتى إذا قدما على النجاشي قدما إليه هديته فقبلها بعد أن قدما إلى بطارقته هداياهم ثم قالا له: (أيها الملك إنه قد خرج منا إلى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دينهم ودين آبائهم وقومهم وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعرف بهم وأعلم بما عابوا عليهم)، ولم يكن شيء أبغض إلى عمرو بن العاص وصاحبه من أن لا يسمع

٤ ـ سلمان پاك:

يبعد ٣٠ كم من بغداد، في منطقة معروفة بالمدائن شرقي بغداد قرب إيوان كسرى تزار ويعرف بـ (سلمان پاك) بمعنى الطاهر.

كان سلمان الفارسي يكنى أبو عبد الله ويعرف بسلمان الخير وأصله من (جي) بأصفهان.

وكان سادن النار في المجوسية ولما كان طالباً للحق. هرب ولحق بالرهبان ثم قدم الحجاز عند يهود بني قريظة في المدينة ولما هاجر النبي ﷺ إليها أسلم.

وكانت له مواقف هامة في الحروب الإسلامية أنقذ بها الإسلام والمسلمين من الشرك، كان أهمها وقعة الخندق حيث أشار إلى حفر الخندق حين هاجم الأحزاب، وفيه قال الرسول ﷺ: «سلمان منا أهل البيت».

توفي عام ٣٥ هـ في المدائن وقد أرسله علي عليه السلام والياً عنه إلى المدائن وكان بها حتى توفي.

لقد كان (ره) من خيار الصحابة قال عنه أمير المؤمنين: «علم العلم الأول والعلم الآخر وهو بحر لا ينزف وهو منا أهل البيت».

وقصة إسلامه من أروع القصص الواقعية ذات العبرة وسنذكرها.

وفيما قاله رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت في حقه كفاية فإن هذا الكلام لم يصدر في حق أي صحابي آخر.

وقال الصادق عليه السلام: «أدرك سلمان العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحر وهو منا أهل البيت».

وفي المراقد (١/٣٦٣) مرقده في المدائن بالقرب من نهر دجلة وطاق كسرى الأثري في الطريق عامر مشيد عليه قبة قديمة ورواق فخم سميك الدعائم يحوطه صحن للزائرين فيه الغرف وبعض البيوت وتسميه الأتراك والأكراد

وجمهور السواد في العهد العثماني (سلمان پاك).

هذه هي المعلومات الأصلية عن سلمان وقد ألف الشيخ ميرزا حسين النوري كتاباً في حياته باسم (نفس الرحمٰن).

وهنا نكتة هي أن المجوس، في إيران وهم أقلية دينية ؛ اليوم - يحتفظون بنسخة عهد ينسبونه إلى الرسول ﷺ ويدعون أن هذا العهد أعطاه الرسول لسلمان وأخيه رأيت هذا العهد وآثار الوضع عليه بادية وإليك قصة حياته:

عن ابن عباس، قال: حدثني سلمان الفارسي: كنت رجلاً من أهل فارس من أصبهان من جي ابن رجل من دهاقينها وكنت أحب خلق الله إليه، فاجلسني من البيت كالحواري فاجتهدت في الفارسية (المجوسية) وكان أبي صاحب ضيعة وكان له بناء يعالجه فقال لي يوماً يا بني قد شغلني ما ترى فانطلق إلى الضيعة ولا تحتبس فتشغلني عن كل ضيعة بهمي بك، فخرجت لذلك فمررت بكنيسة النصارى وهم يصلون فملت إليهم وأعجبني أمرهم وقلت: هذا والله خير من ديننا، فأقمت عندهم حتى غابت الشمس فما أتيت الضيعة ولا رجعت إليه فاستبطأني، وبعث رسلاً في طلبي وقد قلت للنصارى حتى أعجبني أمرهم أين أصل هذا الدين؟ قالوا الشام فرجعت إلى والدي فقال: يا بني قد بعثت إليك رسلاً فقلت: مررت بقوم يصلون بكنيسة فأعجبني ما رأيت من أمرهم وعلمت أن دينهم خير من ديننا، فقال: يا بني دينك ودين آبائك خير من دينهم، فقلت: كلا، والله فخافني وقيدني فبعثت إلى النصارى وأعلمتهم ما وافقني من أمرهم وسألتهم إعلامي من يريد الشام ففعلوا فألقيت الحديد من رجلي وخرجت معهم حتى أتيت الشام، فسألتهم عن عالمهم، فقالوا الأسقف فأتيته فأخبرته وقلت: أكون معك أخدمك وأصلي معك، قال أقم. فمكثت مع رجل سوء كان يأمرهم بالصدقة فإذا أعطوه شيئاً أمسكه لنفسه حتى جمع سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً (الورق بكسر الراء مفتوحاً ما قبلها: الفضة) فتوفي فأخبرتهم بخبره فزجروني فدللتهم على ماله فصلبوه ولم يغيبوه ورجموه وأجلسوا مكانه رجلاً فاضلاً في دينه زهداً ورغبة في الآخرة وصلاحاً، فألقى الله حبه في قلبي حتى حضرته الوفاة فقلت: أوصني فذكر رجلاً بالموصل، وكنا على أمر واحد حتى هلك فأتيت

جعفر بن أبي طالب

يعتبر جعفر بن أبي طالب من أروع الشخصيات التاريخية التي تتمثل فيها البطولة الإسلامية، فهو الزعيم الأول للمسلمين في الشام، زعيم المهاجرين في تاريخ الإسلام، قائد الشهداء الأبرار في حملة الإسلام على الكفر وحرب الحق مع الباطل. هو جعفر بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأمه هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وإخوته: طالب وعقيل والإمام علي وجميعهم لهم أدوارهم المشرفة في تاريخ الإسلام، كان جعفر من السابقين إلى الإسلام في الدعوة كما في رواية أنه كان ثالث من أسلم وكان أبوه أبو طالب يشجعه وإخوته على الاستمرار في الدعوة، كما رآه يوماً يصلّي مع أخيه علي مع محمد ﷺ ولا ثالث معهم فقال: (تقدم صل جناح ابن عمك) وأنشأ قائلاً:

إن عليـــاً وجعفـــراً ثقتـــي ... عنـد ملـم الخطـوب والكـرب
واللّـــه لا أخـــذل النبـــي ... ولا يخـذلـه مـن بنـي ذو حسـب
لا تخـذلا وانصـرا ابـن عمكمـا ... أخـي لكـم مـن دونـه وأبـي

من تاريخ الطيار أن النبي لما آخى بين المهاجرين والأنصار آخى بين جعفر وبين معاذ بن جبل كما في الإصابة، وفي العام الثالث للهجرة استقبل النبي جعفر وقبّل ما بين عينيه وضمه إليه، وقال قولته المشهورة: «ما أدري بأيهما أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر». وأهم الحوادث التي حدثت في حياة جعفر ودوره المشرف في نصرة الإسلام هجرة الحبشة عندما قامت قريش في تعذيب المسلمين فهاجر المسلمون الهجرة الأولى، وهم كانوا ثلاثة وثمانون مسلماً، وكان ذلك

الأردن

- القدس
- الخليل

الموصل فلقيت الرجل فأخبرته بخبري وإن فلاناً أمرني بإتيانك، فقال: أقم فوجدته على سبيله وأمره حتى حضرته الوفاة، فقلت له: أوصني، فقال: ما أعرف أحداً على ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية فأتيته بعمورية (عمورية بفتح أوله وتشديد ثانيه: بلد من بلاد الروم فتحها المعتصم سنة ٢٢٣ هجرية) فأخبرته بخبري فأمرني بالمقام وثاب لي شيئاً واتخذت غنيمة وبقرات فحضرته الوفاة فقلت إلى من توصي بي؟.

فقال: لا أعلم أحداً اليوم على مثل ما كنا عليه ولكن قد أظلك نبيّ يبعث بدين إبراهيم الحنيفية. مهاجره بأرض ذات نخل وبه آيات وعلامات لا تخفى، بين منكبيه خاتم النبوة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة فإن استطعت فتخلص إليه، فتوفي فمر بي ركب من العرب من بني كلاب فقلت أصحبكم وأعطيكم بقراتي وغنمي هذه وتحملوني إلى بلادكم، فحملوني إلى وادي القرى فباعوني من رجل من اليهود فرأيت النخل فعلمت أنه البلد الذي وصف لي فأقمت عند الذي اشتراني منه، وقدم بي المدينة فعرفتها بصفتها فأقمت معه اعمل في نخله وبعث الله نبيه ﷺ وغفلت عن ذلك حتى قدم المدينة فنزل في بني عمرو بن عوف، فإني لفي رأس نخلة إذ أقبل ابن عم لصاحبي (كان ذلك في يوم الجمعة ١٦ من ربيع الأول بعد وصول رسول الله إلى المدينة بأربعة أيام كما في كتب السيرة) فقال: أي فلان قاتل الله بني قيلة (يعني بهم عرب المدينة) مررت بهم آنفاً وهم مجتمعون على رجل قدم عليهم من مكة يزعم أنه نبي فوالله ما هو إلا أن سمعتها، فأخذني القر فرجفت بي النخلة حتى كدت أسقط ونزلت سريعاً فأقبلت على عملي حتى أمسيت فجمعت شيئاً فأتيته به وهو بقباء عند أصحابه، فقلت: اجتمع عندي شيء أردت أن أتصدق به فبلغني أنك رجل صالح ومعك رجال من أصحابك ذوو حاجة فرأيتهم أحق به فوضعها بين يديه فكف يده وقال لأصحابه كلوا فأكلوا فقلت: هذه واحدة، ورجعت وتحوّل إلى المدينة فجمعت شيئاً فأتيته به، فقلت: أحببت كرامتك فأهديت لك هدية وليست بصدقة فمد يده فأكل وأكل أصحابه، فقلت: هاتان اثنتان، ورجعت فأتيته وقد تبع جنازة في بقيع الغرقد (بقيع الغرقد: أصل البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى وبه سمي بقيع الغرقد والغرقد كبار العوسج، وبقيع الغرقد هو مقبرة

أهل المدينة وهي داخل المدينة) وحوله أصحابه فسلمت وتحولت أنظر إلى الخاتم في ظهره فعلم ما أردت فألقى رداءه فرأيت الخاتم فقبلته وبكيت فأجلسني بين يديه فحدثته بشأني كله كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجبه ذلك وأحب أن يسمعه أصحابه ففاتني معه بدر وأُحد بالرق فقال لي: كاتب يا سلمان عن نفسك، فلم أزل بصاحبي حتى كاتبته على أن أغرس له ثلاثمائة ودية فسيل أربعين أوقية من ذهب، فقال النبي ﷺ: أعينوا أخاكم بالنخل فأعانوني بالخمس والعشر حتى اجتمع لي، فقال لي: انقر لها ولا تضع منها شيئاً حتى أضعه بيدي، ففعلت فأعانني أصحابي حتى فرغت فأتيته فكنت آتيه بالنخلة فيضعها ويسوي عليها تراباً فانصرف والذي بعثه بالحق فما ماتت منها واحدة.

حذيفة بن اليمان:

مرقد حذيفة بن اليمان المتوفى ٣٦ هـ على مقربة من قبر الصحابي الكبير سلمان الفارسي ـ سلمان پاك ـ عامر مجلل.

قتل المسلمون في (أُحد) أباه خطأ يحسبونه عدواً ولما علم بالحقيقة استغفر للمسلمين قائلاً: (يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ازداد عنده مقاماً وأبلى بلاءً حسناً في فتح نهاوند سنة ٣٠ هـ وكان الفتح على يده واشترك في فتح تستر سنة ٣٣ هـ كل ذلك في خلافة عمر بن الخطاب واستقر حذيفة بالكوفة حتى ولاّه عثمان المدائن ولما قتل أقره الإمام أمير المؤمنين على ولايته وكتب إليه أهل المدائن كتاباً ومما جاء فيه:

(وقد وليت أموركم حذيفة بن اليمان وهو ممن ارتضى بهداه وأرجو إصلاحه وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم والشدة على مريبكم والرفق بجميعكم).

دعا حذيفة ابنه عند موته وقال:

(يا بني إياك وطلب الحاجات إلى الناس فإنه فقر حاضر وكن اليوم خيراً منك أمس، وإذا أنت صليت فصلِّ صلاة مودع للدنيا كأنك لا ترجع وإياك وما يعتذر منه).

(بسم الله الرحمٰن الرحيم عمر مشهد مولانا الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في أيام دولة الملك الظاهر، العالم العادل سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين أبي المظفر الغازي بن الملك الناصر، يوسف بن أيوب، ناصر أمير المؤمنين سنة ٥٧٢ هـ.

وفي عام ١٣٣٧ هـ حين دخول الفرنسيين إلى حلب، هجم على المشهد جماعة من رعاع الناس وغوغائيهم ونهبوا ما فيه من الذخائر والسلاح، وبينما كانوا يعالجون فتيلة لاستخراج ما فيها من البارود وإذ أورت ناراً وانفجرت وسرت منها النار إلى الأعتدة الموجودة المتفجرة فانفجرت جميعها ببركان عظيم وزلزلت الأرض وتهدم بنيان المشهد كله سوى قليل منه)، انتهى.

* * *

وجاء في فيضانات بغداد (كان... على ضفة نهر دجلة قبران للصحابيين عبد الله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وعلى أثر هذا التآكل الذي حصل في الضفة الغربية بمياه الفيضان نقلت الحكومة بقايا رفاتهما إلى مشهد سلمان الفارسي عام ١٣٥٠ ـ ١٩٣١ وبنوا لهما رسم قبرين) ١ ـ ٢٩٦.

طاق كسرى:

مر الإمام علي عليه السلام بالمدائن ونزل بالطاق وصلّى ركعتين ثم طاف جميع المواضع فلما رأى جميع آثار كسرى قال رجل ممن معه:

جرت الرياح على رسوم ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام: **﴿أفلا قلت: كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم.... كذلك وأورثناها قوماً آخرين، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾**.

ثم قال عليه السلام: كانوا وارثين فأصبحوا موروثين لم يشكروا النعمة فسلبوا دنياهم بالمعصية إياكم وكفر النعم، تحل بكم النقم.

قنبر علي:

هو مولى الإمام علي عليه السلام والعامة تسميه قنبر علي لهذه المناسبة وقبره اليوم في السوق المعروف باسمه في بغداد قتله الحجاج بن يوسف الثقفي.

قال الشيخ المفيد في الإرشاد أنه روى أصحاب السيرة من طرق مختلفة، ان الحجاج قال ذات يوم أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب علي أتقرب إلى الله بدمه فقيل له: ما نعلم أحداً، كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه، فبعث في طلبه فأُتي به فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال أبو همدان، قال: نعم، قال مولى علي بن أبي طالب، قال الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي، قال: ابرأ من دينه، قال: إذا برأت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه، قال: إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك، قال: قد صيرت ذلك إليك، قال:

المشهد فأرادوا أن يحملوا الحجر إلى جامع نبي الله زكريا، وما كانت الدابة تمشي فيه فأرجعوه إلى جامع (المحسن) والآن الحجر عند الطفل وفي مشهد النقطة مكتوب أسماء أهل البيت الإثني عشر في مكان مرتفع.

(بسم الله الرحمٰن الرحيم اللهم صلِّ على محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن المجتبى، والحسين الشهيد، وعلي بن الحسين زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، والحجة صاحب الزمان عليه السلام).

وقال الكيالي في (أضواء وآراء)/ ٦٢ في تاريخ المشهد ما نصه:

(إن عسكر ابن زياد لما أوصلوا سبايا الإمام الحسين عليه السلام إلى حلب، وضعوا رأس سيد الشهداء عليه السلام على حجر وهم مجتمعون في الجبل الواقع غربي حلب، فقطرت منه قطرة دم على الحجر حفظه أهلوه إلى أن فتح سيف الدولة حلب وبقية بلاد الشام فشيد بناء المشهد المسمى بمشهد الحسين تقديراً للقطرة الغالية على الحجر ووضع الحجر فيه.

وفي سنة ١٣٠٢ هـ جددت في مشهد الحسين عليه السلام الجهة الشمالية من القبلية وبعد بضع سنين أهدى السلطان عبد الحميد ستاراً حريراً مزركشاً بآيات قرآنية وضع على المحراب، وفرشت أرض قبلية بالطنافس الجميلة وجدد ترخيم أرض الصحن ورتب له إمام ومؤذن وخدام وموظفون يقرأون كل يوم أجزاء شريفة وفي جهة إيوان هذا المشهد مكتوب:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم اللهم صلِّ على محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء، والحسن المجتبى، والحسين الشهيد، وعلي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا، ومحمد الجواد، وعلي الهادي، والحسن العسكري، ومولانا محمد بن الحسن القائم بأمر الله).

وعلى نجفة الباب الداخلي المؤدي إلى الصحن:

ولـم ذلـك، قـال: لأنـك لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلهـا، ولقـد أخبـرني أمير المؤمنين عليه السلام إن منيتي تكون ذبحاً ظلماً بغير حق، قال فأمر به فذبح.

* * *

للضريح طوق وعرائس من فضة وجعل عليها غشاء، وبنى نور الدين في صحنه صهريجاً وميضأة فيها بيوت كثيرة ينتفع بها المقيمون فيه وهدم الرئيس صفي الدين طاروق بن علي النابلسي، ورئيس حلب المعروف بابن طريرة بابه الذي بناه سيف الدولة وحسنه، وفي أيام الملك الظاهر غياث الدين غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب المتوفى في عام ٦١٣ هـ، وقع الحائط الشمالي فأمر ببنيانه، وفي أيام الناصر يوسف بن العزيز، محمد بن الظاهر المتوفى سنة ٦٣٤ هـ، وقع الحائط القبلي فأمر ببنائه.

وعمر الروشن الذي بقاعة الصحن، ولما ملك التتار حلب نهبوا ما فيه من الأواني والبسط وخربوا الضريح ونقضوا الأبواب، ولما ملك الظاهر برقوق بن الرضى المتوفى ٨٠١ هـ والي حلب أمر بإصلاح المشهد وجعل فيه إماماً وقيماً ومؤذناً... هذا ما كان في الماضي وأما وضعه الحاضر، فالمشهد محافظ على ما كان عليه من أيام برقوق، ولما زرته وجدته سليماً من حيث البناء. أضواء وآراء للكيالي ٢/ ٦٣.

مشهد النقطة:

في المراقد ٢/ ٣٠٢: (بالقرب منه مشهد النقطة في سفح جبل جوشن أيضاً وسمي بمشهد النقطة المعروف والمشهور في تلك البقاع أنه لما وصل، سبى عيال الحسين إلى هذا الجبل بات فيه الكوفيون وجملة الرؤوس مع السبايا وقد وضعوا رأس الحسين على حجر مرتفع، فقطرت منه قطرة دم زكية على ذلك الحجر فكانت القطرة موضع اهتمام المسلمين فحفظها أهل البلد حتى فتح سيف الدولة الحمداني الشام، وأعلموه بموضع قطرة الدم الزكية فبنى عليه بناه).

قال الجلالي: قد التقيت في مكة برجل حلبي طاعن في السن يسمى الشيخ عمار، وكان عارفاً بتاريخ المشهد، وقال ما ملخصه:

(عمر هذا المشهد سيف الدولة، وكان فيه حجر كان عليه رأس الحسين وجرت عليه دم من رأسه، ولما استلمته الأتراك جعلوه (أسلحة) (جياة) فانكسرت الأتراك، ولما دخلت قرينتا صارت الناس تنهب منه إلى أن خرب

العالم السيد أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة/ ٥٨٥.

والشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني.

والشاعر الشهيد ابن منير الطرابلسي الشيعي ٥٤٨ هـ.

وجاء في كتاب (أضواء وآراء) للدكتور عبد الرحمٰن الكيالي صفحة ٨٧ عن تاريخ هذا المرقد قوله: (إن هذا المرقد يحتوي ضريح الطرح محسن بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، ويعرف بمشهد الدكة وبمشهد الطرح وهو عامر وواقع غربي حلب بينه وبين مشهد السقط ٣٠٠٠ متراً).

ويقول الشيخ كامل الغزي في تاريخه عن ابن الفوطي أن مشهد الدكة ظهر في عام سنة ٣٥١ هـ، وإن سبب ظهوره هو أن سيف الدولة كان في إحدى مناظره التي بداره خارج المدينة فرأى نوراً نزل على مكان المشهد، وتكرر ذلك فركب بنفسه إلى ذلك المكان وحضر ووجد صخراً عليه كتابة هذا نصها: (هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب).

فجمع العلويين وسألهم هل كان للحسين ولد اسمه المحسن، فقال بعضهم: ما بلغنا ذلك وإنما بلغنا أن فاطمة كانت حاملاً فقال لها النبي ﷺ في بطنك محسن، فلما كان يوم البيعة هجموا على بيتها لإخراج علي للبيعة فاخدجت، وقال البعض الآخر أن بعض سبي نساء الحسين هي التي طرحته لما مروا بهن على هذا المكان المسمى بالجوشن لأن شمر بن ذي الجوشن نزل عليه بالسبي والرؤوس فقال سيف الدولة: هذا الموضع قد اذن الله لي بإعماره فأنا أعمره على اسم أهل البيت عليهم السلام.

قال يحيى بن أبي طي المتوفى سنة ٦٣٠ هـ في تاريخه، ولحقت هذا المشهد وعليه باب صغير وحجر أسود تحت قنطرته مكتوب عليها بخط أهل الكوفة كتابة عريضة ما نصها: (عمر هذا المكان المشهد المبارك ابتغاء لوجه الله وقربة إليه على اسم مولانا المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الأمير الأجل سيف الدولة أبو الحسن، علي بن عبد الله بن حمدان سنة ٣٥١ هـ).

وفي أيام بني مرداس بني المصنع الشمالي للماء وبني الحائط القبلي وعمل

سامراء

تبعد عن بغداد ١٢٠ كم شمالاً وفيها مرقد الإمامين علي الهادي عليه السلام والحسن العسكري عليه السلام.

عمرت سامراء ٢٢١ هـ وخربت ٢٧٩ هـ وكان يتوافد الزوار إليها حتى عمرت من جديد وإليك لمحة عنها:

بين العمران والخراب:

كان المعتصم العباسي ابن هارون الرشيد واسمه أبو الحسن محمد قد تولى الحكم سنة ٢١٨ هـ وفحص عن مكان يستقوي جيشه فمر على ـ سامراء ـ وسأل بعض الرهبان في دير فيها عن اسم الموضع (كما يرويه ياقوت) فقال له: نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع سمي سرّ من رأى وإنه كان في مدينة سام بن نوح وإنه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه خير الفلاة ينزلها وينزلها ولده، فقال: أنا والله أنزلها وينزلها ولدي).

فالمعتصم هو الذي بناها وعمرها ـ بلا خلاف ثم بعده ابنه الواثق سنة ٢٢٧ هـ ثم ابنه المتوكل الذي بنى المئذنة المعروفة بالملوية والمسجد الجامع بجنبه.

جاء في وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٥: (ولما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل أحضره من المدينة وكان مولده بها وأقره بسر من رأى، وهي تدعى بالعسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها: العسكر ولهذا قيل

لأبي الحسن علي الهادي المذكور العسكري لأنه منسوب إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر، وتوفي بها يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الأخرى سنة أربع خمسين ومائتين ودفن في داره).

ولما استقدم المتوكل ـ بعد تمكنه من العرش ـ الإمام الهادي عليه السلام كان مع أهله ومنهم الحسن العسكري عليه السلام وكان تحت رقابته واسمه المعتز في ٢٥٤ هـ وفي السنة التي ولد فيها المهدي بن الحسن وسم المعتمد الإمام العسكري عليه السلام ٦٠ في عام ٢٦٠ هـ، قال ابن الجوزي: (إنما أشخصه المتوكل من المدينة إلى بغداد لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة وميل الناس إليه فخاف منه، فدعا ابن هرثمة، وقال اذهب إلى المدينة وانظر في حاله واشخصه إلينا، قال يحيى: فذهبت إلى المدينة فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق لأنه كان محسناً فجعلت أسكنهم وأحلف لهم إني لم أؤمر فيه بمكروه، وإنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب علم فعظم في عيني وتوليت خدمته بنفسي وأحسنت عشرته...).

قال المفيد: (خرج معه يحيى بن هرثمة حتى وصل إلى سامراء، فلما وصل إليها تقدم المتوكل بأن يحجب عنه في يومه، فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك وأقام فيه يومه ثم تقدم المتوكل بإفراد دارٍ له فانتقل إليها).

وبالرغم من هذه الرقابة المشددة وتلك القصور المشيدة لا نجد ذكراً للخلافة العباسية إلا مقروناً بالخلاعة والمجون والظلم والطغيان.

عمران جديد:

عمرت سامراء من جديد ببركة توافد الزوار على قبر الإمامين عليهما السلام ولعل إليه يشير كلام الإمام الحسن العسكري عليه السلام بقوله: «قبري أمان لأهل الجانبين».

وظهر التشيع جلياً بعد أن قام الإمامان فيها وشاهد الناس ما لهما من علم وخصال حميدة ومزايا دلت على أنهما فرعان من شجرة النبوة، وارثان لذلك

ورمينـــاه بسهميـــن فلـــم نخـــط فـــؤاده

وقال ابن عساكر: (هو هذا القبر المشهور في «المنيحة»، القرية المعروفة بقرب دمشق يقال إنه قبر سعد بن عبادة فيحتمل أنه نقل من حوران إليها).

وفي المراقد ١/ ٣٤٥: (قبره بالشام في حوران في قرية المنيحة وفي الإشارات إلى أماكن الزيارات لابن الحوران ص ٣١ قبره بغوطة دمشق بقرية يقال لها المنيحة).

حلب:

محسن السقط في جبل جوشن في حلب قال ياقوت الحموي:

(جبل في غربي حلب ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه ويقال إنه بطل منذ عبر سبي الحسين بن علي عليه السلام، وكانت زوجة الحسين حاملاً فاسقطت هناك فطلبت من الصناع في ذلك الجبل خبزاً أو ماء فشتموها ومنعوها فدعت عليهم، فالآن من عمل فيه لا يربح، وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة والسقط يسمى محسن بن الحسين عليه السلام معجم البلدان ٣/ ١٧٣.

قال المحدث القمي: (زرت المشهدين قرب حلب والعامة تُعبِّر عن صاحب المزار «بالشيخ محسن» وعليه عمارة رفيعة ومشهد كبير خربت).

وفي نسمة السحر عن ابن طي في تاريخ حلب، قوله: إن سيف الدولة عمر المشهد لرؤيا رآها واستفسر عن الموضع فأُخبر بالحقيقة، وبقرب المشهد قبور جماعة من الشيعة منهم ابن شهر آشوب وابن منير وابن زهرة وغيرهم.

وفي المراقد (٢/ ٢٩٨): المشهور بأنه ابن الإمام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب مرقده في جبل جوشن في حلب غرباً في سوريا ويعرف (مشهد السقط) ذكر المؤرخون أن المشهد شيده الأمير أبو الحسن علي سيف الدولة الحمداني سنة ٣٥١ هـ.

وقد أصبح مشهد السقط مدفناً لوجوه الشيعة ومشاهير علمائها هناك منهم

في الصحراء قريب من منازل السكنى في قرية الرقة.

وهو الذي قال فيه الرسول: «تقتلك الفئة الباغية، وآخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن».

وقال ﷺ: «إن عماراً ملىء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه».

سعد بن عبادة الخزرجي:

كان سيد الخزرج، قتل سنة ١٦ هـ بسهم في «حوران» قال في الاستيعاب: (كان نقيباً سيداً جواداً مقداماً وجيهاً له سيادة، ورياسة تعتبر قوله قومه، قد تخلف عن بيعة أبي بكر وخرج من المدينة لم يرجع إليها إلى أن مات بحوران من أرض الشام).

قال النوري في تهذيب الأسماء:

(كان نقيب بني ساعدة، وصاحب راية الأنصار في المشاهد كلها، وكان سيداً جواداً ذا رياسة وكرم، قال فيه رسول الله ﷺ: «إنه من بيت جود» شهد العقبة وبدراً والمشاهد، توفي سنة ١٦ هـ واتفقوا على أنه كان بحوران ومات بها.

وروى في الاحتجاج للطبرسي موقف سعد بن عبادة في (السقيفة) وما حصل من النزاع بعد وفاة النبي ﷺ، لما أرسل إليه أبو بكر للبيعة، قال: (لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي وأخضب سنان رمحي وأضرب بسيفي ما أطاعني وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الجن والإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي...) فلم يزل كذلك لم يبايع حتى هلك أبو بكر، ثم ولي عمر من بعده وخشي سعد من عمر، فخرج إلى الشام، فمات بحوران، وكان سبب موته أن رمي بسهم في الليل فقتله وزعمو أن الجن رموه، والأشهر أنه توفي في خلافة أبي بكر، وقد رماه خالد بن الوليد، ثم أشاعوا أن الجن قتلته وقالوا:

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباده

العلم الإلهي على الرغم من مناواة العباسيين لهما واجتهادهم في منع الناس من الإجتماع بهما واجتماعهما بالناس ولكن الشمس تشرق على القاصي والداني أجمع، وإن حالت السحب دون ذلك الشعاع ويشهد لتاريخ التشيع في سامراء - ما ذكره اليعقوبي في تاريخه (٣/ ٢٢٥) عن حوادث عام ٢٥٤ هـ ووفاة الهادي عليه السلام (٣/ ٢٢٥).

قال: (قضي عليه في الشارع المعروف بأبي حمد فلما كثر الناس وأجمعوا كثر بكاؤهم وضجتهم فرد النعش إلى داره فدفن فيها)...

ولم يزل التشيع فيها راسخ القدم إلى أن حاربه الأيوبي في تلك الفترة واقتفى أثره بعد أمد بعيد - السلطان سليم العثماني - وجرت على ذلك السياسة العثمانية من بعده.

وقد أشار الشيخ السماوي إلى طرفة من ذلك في كتابه (وشائج السراء في شأن سامراء طبعة النجف ١٣٦٠ هـ).

ومما يذكر في تاريخ هذه المدينة المقدسة قضية انحصار التبغ وموقف فقيه عصره السيد محمد حسن الشيرازي - وكان نزيل سامراء آنذاك، فعارض السلطان ناصر الدين شاه في إعطائه امتياز التبغ للأجانب في سنة ١٣١٨ هـ وجعل البلاد تحت وصايتهم الاقتصادية.

ففي سنة ١٣٠٦ هـ وقعت الحكومة الإيرانية بعد سفر ناصر الدين شاه إلى لندن عام ١٣٠٦ هـ مع البريطانيين معاهدة بهذا الشأن.

فوافقت الحكومة ورفض الشعب بقيادة العلماء ذلك، وأصدر السيد فتوى هذا نصها:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم استعمال تنباكو وتتن در حكم محاربة با امام زمان عليه السلام است حرره الأحقر محمد حسن الحسيني) ٥/ ربيع الثاني سنة ١٣٠٩ هـ وكان لهذه الفتوى أثراً عظيماً حتى في البلاط نفسه حيث امتنع الخدم من تعاطي الدخان استناداً إلى هذا الفتوى.

من تاريخ المزار:

يقع مرقده عليه السلام في داره في محلة العسكر اشتراها الإمام الهادي وكان بها حتى توفي فيها، قال الخطيب البغدادي في ترجمة الهادي عليه السلام: (إنه اشتراها من دليل بن يعقوب النصراني وتوفي فيها).

فلما توفي عليه السلام دفن في وسط داره ثم دفن بجنبه الإمام الحسن العسكري ثم نرجس ثم حكيمة (رض) ثم الجدة أم الإمام الحسن العسكري ثم الحسين بن علي الهادي، ومعهم أبو هاشم الجعفري وجعفر ابنه وهذه القبور كانت مشهداً لأهل الدار ولمن ورد عليهم.

قال المحدث القمي: (والمشهور الآن أن الإيوان المستطيل المتصل بالرواق خلف العسكري عليه السلام هو المسجد بل قيل إن الرواق الواقع خلف القبر من المسجد).

والمحكي عن الشيخ خضر شلال في مزاره قوله:

(لا ريب في أرجحية التأخر عن ضريح الهادي عليه السلام بمقدار ذراع أو أزيد عند زيارته عليه السلام لما بلغني أنه مقدم على الشباك المنصوب في عصرنا ومن تواريخ هذه الروضة في عام ٣٣٣ هـ شيد ناصر الدولة الحمداني الدار والضريح بالستور وعام ٣٣٧ هـ أكمل معد الدولة البويهي بناء الحمداني وعمر القبة والسرداب ورتبت القوام والحجاب.

وملأ (البئر) التي كان العسكري يتوضأ به أحياناً إذ كان الناس يأخذون الماء منه للبركة.

وفي عام ٣٦٨ هـ سيج عضد الدولة البويهي الروضة بالسياج والضريح وفي عام ٤٤٥ هـ ترك الأمير أرسلان بغداد إلى تكريت وعمر القبة والضريح وعمل الصندوق من السياج وجعل الرمان فيه من ذهب.

سنة ٤٩٥ جدد بركيا روق السلجوقي الأبواب وسيج الروضة ورمم القبة والرواق والصحن والدار.

الأمر فواعدني موعداً ألتقي معك فيه في غير جيش، تأتي في مئة وآتي في مثلها وليس معنا إلا السيوف في القرب والعدى العريش، وجعل عمرو له جيشاً خلفه لينطوي خبره، فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمر على أثره فعلم محمد أنه قد غدر به، فدخل قصراً وتحصن به ورماه عمرو بالمنجنيق حتى أُخذ أسيراً وسجنه معاوية وكانت ابنة قرضة امرأة معاوية ابنة عمة محمد بن أبي حذيفة، أُمها فاطمة بنت عقبة فكانت تصنع له طعاماً ترسله إليه، فأرسلت إليه يوماً في الطعام مبارد فبرد بها قيوده وهرب فاختفى في غار فأُخذ وسجن مرة أُخرى.

وكان قد أخرجه معاوية من السجن يوماً وقال له:

ألم يئن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك علي بن أبي طالب؟ ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟ إنك لتعلم إني أمس القوم بك رحماً، وأرأفهم بك).

فقال محمد: فوالله ما أعلم أحداً أشرك في دم عثمان وألب الناس عليه غيرك، لما استعملك ومن كان مثلك وسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى ففعلوا به ما بلغك، فوالله إني لأشهد أنك منذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد ما زاد الإسلام فيك قليلاً ولا كثيراً...

خرج مع علي عليه السلام كل صوام قوام مهاجري وأنصاري كما خرج معك المنافقون والطلقاء والعتقاء... والله لا أزال أحب علياً لله ولرسوله وأبغضك في الله وفي رسوله أبداً، ما بقيت.

فقال معاوية: إني أراك على ضلالك البعيد، فرده إلى السجن، ثم أرسل إليه من يقتله.

عمار بن ياسر:

أبو اليقظان استشهد بين يدي علي بن أبي طالب في واقعة صفين سنة ٣٧ هـ المشهورة.

وفي المراقد ٢/ ١٠٠: مرقده في الرقة بصفين وله رسم قبر دكة تطلها قبة

(حجر بن عدي، وشريك بن شداد الحضرمي، وصيفي بن فسيل الشيباني، وقبيصة بن ضبيعة العبسي، ومحرز بن شهاب السعدي، ثم المنقري، وكدام بن حيان العنزي، وعبد الرحمٰن بن حسان العنزي الذي رد إلى زياد، فدفن حياً. (الطبري ٦ ـ ١٥٥).

وبالنتيجة لما وصلوا إلى قرية عذراء أرسل إليهم معاوية من مأموريه ليقتلهم إن لم يتبرأوا من صاحبهم علي بن أبي طالب فقالوا:

(إن الصبر على حد السيف لأيسر علينا مما يدعونا إليه ثم القدوم على الله وعلى رسوله وعلى وصيه أحب إلينا مما تدعونا إليه من دخول النار، فنفذ فيهم الإعدام).

وقد زار الشيخ محمد بن مكي قبورهم وكتب هذه الأبيات:

جماعة بفنا عذراء قد دفنوا ... لهم من اللّه إجلال وإكرام
حجر قبيصة صيفي شريكهم ... ومحرز ثم همام وكدام
عليهم ألف رضوان ومكرمة ... تترى تدوم عليهم كلما داموا

وهناك مزارات لم نوفق لزيارتها، وعسى أن أزورها في المستقبل وهي:

١ ـ محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، قتله معاوية في السجن سنة ٣٦ هـ.

قال ياقوت: (فلما قتل عثمان عزل علي عليه السلام ابن أبي سجاح عن مصر وولي محمد بن أبي حذيفة مصر) معجم البلدان ١/ ٣٠١. والكامل ٣/ ١٣٥.

وفي المراقد ٢/ ٢٥٠ (قبره في مقبرة الشام وحدثونا أنه معروف عند الكثير من المؤمنين، كان محمد صحابياً حافظاً للقرآن الكريم ناسكاً صلب الإيمان وكان ابن خال معاوية.

وفي الكامل لابن الأثير ما ملخصه: (إن عمرو بن العاص سار إلى مصر بعد صفين وأرسل إليه: إنه قد كان ما ترى وقد بايعت معاوية وما أنا براض بكثير من أمره، وإني لأعلم أن علياً أفضل من معاوية نفساً وقدماً وأولى بهذا

سنة ٦٠٦ عمر الناصر العباسي القبة والمآذن والسرداب وكتب أسماء الأئمة الإثني عشر على نطاق العقد علي يد الشريف معد بن محمد.

سنة ٦٤٠ هـ وقع حريق في المشهد فأتى على ضريحي علي الهادي والحسن العسكري فتقدم الخليفة المستنصر بالله بعمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين وأعادتهما إلى حالتهما، وكان الضريحان مما أمر بصنعهما أرسلان البساسيري الذي خرج على الخليفة القائم بأمر الله.

وأبدل المستنصر الصندوق ـ بعد الحريق ـ وجعله من السياج وعمر الروضة على يد جمال الدين أحمد بن طاووس.

سنة ٧٥٠ هـ زين أبو أويس حسن الجلائري الضريح وشيد القبة وعمل البهو وشاد الدار ونقل المقابر التي في الصحن إلى الصحراء.

سنة ١١٠٦ هـ قام شاه حسين الصفوي الروضة بالسياج وعمل الشباك من الفولاذ.

سنة ١٢٠٠ هـ عمر أحمد الدنبلي سلطان خوي البرمكي الروضة والسرداب وبدله بالصوان والرخام وكان وكيله الميرزا السلماسي حتى أكمله السلماسي سنة ١٢٢٥ هـ.

سنة ١٢٨٥ هـ جدد ناصر الدين شاه القاجاري الشباك من الذهب وعمر الضريح والرواق والقبة والصحن بنظارة شيخ العراقين الشيخ عبد الحسين وكان منها زيادة الساعة المنصوبة اليوم.

سنة ١٣٤٩ هـ جلبت ماكينة كهربائية لإضاءة الروضة العسكرية.

سنة ١٣٩٠ هـ نصب الشباك الفضي الذي كان موضوعاً للحضرة الحسينية فنقل من كربلاء إلى سامراء بعد إصلاحه.

سنة ١٣٦٧ هـ رمم محمد صنيع خاتم الصندوق وفي سنة ١٣٨١ هـ تبرع بالضريح الموجود اليوم ومقاسه ٣ × ٦ × ٥ ×/ ٢ متراً جماعة من الوجهاء منهم الحاج علي الكهربائي والشيخ محمد حسين المؤيد ودام صنعها خمس سنوات.

ومن المزارات:

١ ـ حكيمة بنت الجواد عمة الهادي المتوفاة ٢٧٤ هـ.

٢ ـ نرجس زوجة الحسن العسكري أم المهدي عليه السلام المتوفاة ٢٦٠ هـ.

٣ ـ السرداب وإليك لمحة عن تاريخ هذا المكان.

سرداب الإمام عليه السلام:

هو في غربي صحن العسكري من جهة الشمال، كان هذا المكان تابعاً لبيت الأئمة الهادي والعسكري والحجة عليهم السلام مدة بقائهم في سامراء، ولم يكن سرداباً في حياتهم وإنما كان سطح دورهم فأصبحت بمرور الزمان وتراكم الأنقاض مثل السرداب ولكن الشيعة حافظت على هيئتها القديمة تكريماً عليه السلام وخاصة بعد تجديد الخليفة الناصر العباسي بناءها عام ٦٠٦ هـ.

ولتاريخ هذا السرداب تفصيل ذكره الشيخ ذبيح الله المحلاتي في مآثر الكبراء (١/٢٨٨) بقوله: (كان هذا السرداب داخل البيت وطريقاً في البناء القديم من وراء مرقد العسكريين عليه السلام عند قبر أمّ القائم الذي صار اليوم داخل الرواق وكان الزائر بعد زيارة العسكريين ينزل في الدرج ويمشي في أزج حتى يدخل السرداب من جهة قبلته، وكان الأمر كذلك إلى حدود عام سنة ١٢٠٢ هـ فلما تصدى لعمارة هذه البقعة المباركة الملك المؤيد أحمد خان الدنبلي جعل للسرداب باباً من جهة الشمال وسد باب القبلة...

والباب المشبك الخشبي المنصوب على الصفة في السرداب في يومنا هذا من الآثار الباقية للمستنصر العباسي وقد عمله في سنة ٦٠٦ هـ.

ذكر العلامة النوري في كشف الأستار ٤٣ طبع سنة ١٣١٨ هـ أن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بنور الله من خلفاء العباسية هو الذي أمر بعمارة السرداب الشريف وجعل على السقيفة التي فيه شباكاً منقوش عليه:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور﴾، هذا ما أمر بعمله

فقال له صاحب الشرطة: يقول لك الأمير هو أبو تراب؟ وتقول أنت لا؟

قال: وإن كذب الأمير أتريد أن أكذب وأشهد له على باطل كما شهد؟

قال له زياد: وهذا أيضاً مع ذنبك، علي بالعصا. فأُتي بها، فقال: ما قولك؟ قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين.

قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلتصق بالأرض فضرب حتى لزم الأرض.

ثم قال: اقلعوا عنه فسأله: ايه ما قولك في علي؟

قال: والله لو شرحت بالمواسي والمدى ما قلت إلا ما سمعت مني.

قال: تلعنه أو لأضربن عنقك قال: إذاً تضربها والله قبل ذلك فإن أبيت إلا أن تضربها رضيت بالله وشقيت أنت، قال: ادفعوا في رقبته.

ثم قال: أوقروه حديداً والقوه في السجن...

ثم لفق زياد شهادات زور من الأكابر والأعيان وأشهد على ذلك شهادات الجماهير المغفلة بأنه كفر بالله عز وجل ولفقت الشهادات المزورة للسلطة الحاكمة.

ويستمر الطبري على سرد تلك المأساة فيروي لنا قصة شهادة الزور الكبرى التي لفقها حكام المسلمين آنذاك على هؤلاء النفر من المسلمين.

وكان ممن أدرج اسمه في الشهادات زوراً شريح بن هاني الحارثي، الذي بادر وأرسل كتاباً آخر بواسطة وائل بن حجر هذا نصه: (فإنه بلغني أن زياداً كتب إليك بشهادتي على حجر بن عدي، وإن شهادتي على حجر أنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويديم الحج والعمرة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، حرام الدم المال...).

ولم ينفع هذا الكتاب لأن السلطة الحاكمة كانت تريد إخماد الحق فقتلت في مرج العذراء بالشام سنة ٥١ للهجرة حجر وأصحابه، وهم؛ كما في الطبري ـ:

٢ ـ عبد الله بن السجاد جاء عليها ما نصه:

قبر تضمن بقعة من أحمد ... وحشاشة من بضعة الزهراء
قبر سما شرفاً على هام السما ... وعلا بساكنه على الجوزاء

هذا مقام سيدنا عبد الله بن الإمام علي بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب تشيد هذا المقام الشريف بمساعي السيد سليم أفندي بن السيد حسين مرتضى قائمقام مراقد أهل البيت عليهم السلام ١٣٣٠ هـ.

مرج العذراء:

مرج العذراء اسم لقرية في ضواحي دمشق، وتعرف اليوم بغوطة وبالأقصاب وعرفت في التاريخ لمقتل حجر، قال طه حسين: (هذه المأساة المنكرة التي استباح فيها أمير من أُمراء المسلمين أن يعاقب الناس على معارضة لا إثم فيها، وأن يكره وجوه الناس وأشرافهم على أن يشهدوا عليهم زوراً وبهتاناً، وأن يكتب شهادة القاضي على غير علم منه ولا رضا...

استباح أمير من أُمراء المسلمين لنفسه هذا الإثم واستحل هذه البدع واستباح إمام من أئمة المسلمين أن يقضي بالموت على نفر من الذين عصم الله دماءهم دون أن يراهم أو يسمع لهم أو يأذن لهم في الدفاع عن أنفسهم) (الفتنة الكبرى علي وبنوه ص ٢٤٣).

وقد روى الطبري مقتل حجر بن عدي قائلاً:

(جاء قيس بن عباد الشيباني إلى زياد فقال له: إن شخصاً منا من بني همام، يقال له صيفي بن فسيل من رؤوس أصحاب حجر، وهو أشد الناس عليك، فبعث إليه زياد، فأُتي به فقال له زياد: يا عدو الله ما تقول في أبي تراب، قال: ما أعرف أبا تراب.

قال: أما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال: بلى، قال: فذاك أبو تراب.

قال: كلا ذاك أبو الحسن والحسين.

سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين الذي طبق البلاد إحسانه وعدله وعم البلاد رأفته وفضله قرب الله أوامره الشريفة باستمرار النهج والنشر وناطها بالتأييد والنصر وجعل لأيامه المخلدة حداً لا يكبو جواده ولآرائه المحمدة سعداً لا تخبو ناره وفي عز تخضع له الأقدار فيطيعه عواليها وملك خشع له الملوك فيملكه نواصيها يتولى المملوك معد بن الحسين بن معد الموسوي الذي يرجو الحياة في أيامه المخلدة ويتمنى إنفاق عمره في الدعاء لدولته المؤيدة استجاب الله أدعيته وبلغه في أيامه الشريفة أُمنيته من سنة ست وستمائة الهلالية، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلّى الله على سيدنا خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وعترته وسلم تسليماً).

ونقش أيضاً على الخشب المذكور من داخل الصفة:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم محمد رسول الله أمير المؤمنين علي ولي الله فاطمة، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي بن الحسين، محمد بن علي، جعفر بن محمد، موسى بن جعفر، علي بن موسى، محمد بن علي، علي بن محمد، الحسن بن علي القائم بالحق عليهم السلام).

قال الجلالي: وقد رأيت الباب المذكور ولا تزال قائمة وبها آثار الحريق والكتابة بخط كوفي قرأت منها أسماء المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام وقد نشرت مديرية الآثار العراقية رسالة بعنوان (باب الغيبة) في سنة ١٩٣٨ هـ وأوردت النص المذكور كاملاً في ص ٧، وبالجملة هذا الباب الخشبي الجميل من الصناعة الدقيقة الجيدة ويمتاز بالنقوش والكتابات البديعة الأثرية...

قال السماوي:

ثم أتاها الناصر العباسي ... يفيض جوداً وسنام باس
فعمّر القبة والمآذنا ... وزاد في تشييدها المحاسنا
وزين الروض بما قد ابتهج ... وعقد السرداب في صنع الأزج
وزبر الأئمة الإثني عشر ... على نطاق العقد فيما قد زبر

شبهة مدحوضة:

وقد أشاع الحاقدون على الإصلاح الجذري الذي وعد به النبي ﷺ بظهور الحجة عليه السلام لإقامة الحكم العادل والثورة على الظلم وهم يعبرون عن هذا (البيت)، (سرداب الغيبة) فإنه لا أصل لهذا.

قال الشيخ ذبيح الله المحلاتي:

(ليس اشتهار هذا السرداب بسرداب الغيبة لأن الحجة عليه السلام غاب فيه كما زعمه من يجهل التاريخ بل لأن بعض الأولياء تشرف بخدمته وحيث إنه مبيت الثلاثة من الأئمة ومعبدهم طوال المدة وحظي فيه عدة من الصلحاء بلقائه صار من البقاع المتبركة فينبغي إتيانه بخضوع وخشوع وحضور قلب والوقوف على بابه والدعاء) مآثر الكبراء (١/ ٢٨٨) ط الثانية سنة ١٣٨٨ هـ.

ويقول الشيخ النوري في كشف الأستار ص ٤٣ سنة ١٣١٨ هـ بهذا الصدد: (واختص ذلك المكان بمزيد شرافة واحترام وتقبيل والتبرك به... فلما رأت سدنته رغبة المؤمنين إلى زيارة تلك البقعة جعلوا يأخذون تراب ذلك المكان ويعطونه الزائرين بإزاء دراهم معدودة فأدى ذلك أن حفر تلك البقعة مقدار درجتين ثم تصدى إلى طمها العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني (ره)، ثم حفرها بعض السدنة لمقاصدهم الخاصة وسموها بئر صاحب الزمان... ومع ذلك فقد جعلوا الآن قبة تحت الرخام بمقدار أن يدخل الكف فيه لأخذ التراب وربما وضعوا التراب فيها من الخارج لإعطائه الزائرين الذين لا يعلمون حقيقة التراب).

ولعمري ان هذا من حيل بعض السدنة وهو جهل مفرط سيطر على بعض الجهال من الزائرين، والعلماء هم المسؤولون عند الله لتركهم النهي عن المنكر وردع الجهال عن مثل الخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان وبراء منها كل شيعي خبير.

وما أحسن كلام الشيخ المحلاتي: (إن الإمامية تعتقد أن الحجة اسمه

أحسن تعمير فتصدى لتعميره والإشراف على البنائين السيد الكريم السيد سليم المذكور حتى كمل تعميره وإشادته، كما هو الآن كما تصدى السيد المذكور لتعمير مشهد السيدتين أم كلثوم وسكينة وتعمير مشهد عبد الله بن زين العابدين كما هما الآن.

وكان هذا السيد هو القيم على هذه المشاهد الثلاثة مدة حياته، ثم من بعده ابنه السيد رضا، ثم ابنه الثاني السيد حسني، وهو القيم في الوقت الحاضر، وقد كتب عليه البيتان التاليان:

وقبة من بني عدنان ما نظرت ... عين الغزالة أعلى منهم نصبا
من كل جسم بوجه الأرض مطرح ... وكل رأس برأس الرمح قد نصبا

هذا مقام رؤوس الشهداء الستة عشر من أهل بيت النبي الذين استشهدوا يوم طف كربلاء، مع الإمام الحسين عليه السلام ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شيد هذا المقام المقدس بمساعي السيد سليم أفندي بن السيد حسين مرتضى قائمقام مراقد أهل البيت عليهم السلام في شوال سنة ١٣٣٠ هـ.

ويقع بقرب محل رؤوس الشهداء مسجد الإمام زين العابدين عليه السلام وهو المسجد الذي بقي فيه اسارى آل البيت حين وردوا دمشق وهو أقدم مسجد في دمشق وكانت آثار التعمير فيه بادية، فأول ما أنزلوا في هذا البيت وهي تسمى اليوم بالخراب، وبها باتوا برهة من الزمن ثم نقلوا إلى الشاغور، ومنها إلى باب الساعات، ومنها نقلوا الإمام السجاد إلى المسجد الجامع وأعادوهم إلى هذا المسجد.

ومن المزارات: مقام سكينة:

كتب عليها (هذا مقام السيدة سكينة كريمة الإمام الحسين، شهيد كربلاء عليه السلام، ومقام السيدة زينب الملقبة بأم كلثوم، ابنة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، شيدت هذه المقامات المقدسة بمساعي السيد سليم أفندي ابن السيد حسين أفندي مرتضى قائمقام مراقد أهل البيت عليهم السلام سنة ١٣٣٠ هـ.

يطابق اسم رسول الله كنيته كنيته وشمائله شمائله وله في سر من رأى في شعبان سنة ٢٥٦ هـ. . . فلما توفي أبوه غاب عن الأنظار لا أنه دخل في السرداب وأُمه تنظر إليه كما توجد هذه العبارة في بعض كتب العامة وإن الشيعة الإمامية براء من هذه المعتقدات التي يلصقها بهم من أراد الحط من كرامة مذهبهم).

وذكر في غاية المرام مائة وخمسة وستين حديثاً من طريق إخواننا السنة المستخرجة عن كتب مشاهير علمائهم بأن النبي ﷺ قال: يخرج من ولدي رجل اسمه اسمي، كنيته كنيتي أشبه الناس بي وهو مهدي هذه الأمة يظهر في آخر الزمان ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فإذا اعترف أكثر من مائتين من الأساتذة الأعلام من إخواننا السنة بصفة المهدي وحياته وظهوره في آخر الزمان، فما ذنب الإمامية في ذلك حتى يشنع عليهم بعضهم بأقلامهم اللاذعة. ونسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين بحق محمد وآله الطاهرين.

السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد/ ٢٧٤ هـ:

والسيدة الجليلة حكيمة بنت الإمام الجواد عليه السلام مدفونة مما يلي رجلي العسكريين عليهما السلام توفيت في سنة أربع وسبعين ومائتين وهي عالمة فاضلة جليلة واسطة بين الإمام والرعية.

قال المجلسي (ره): (إن في قبة العسكريين عليهما السلام قبراً منسوباً إلى الكريمة النجيبة العالمة الفاضلة النقية الرضية حكيمة بنت أبي جعفر الجواد عليه السلام، وما أدري لم لم يتعرضوا لزيارتها مع ظهور فضلها وجلالة قبرها وإنها كانت مخصوصة بالأئمة عليهم السلام ومودعة أسرارهم، وكانت أم القائم عندها وكانت حاضرة عند ولادته وكانت تراه حيناً بعد حين في حياة أبي محمد عليه السلام، وكانت من السفراء والأبواب بعد وفاته فينبغي زيارتها بما أجرى الله على اللسان مما يناسب فضلها وشأنها).

نرجس أُم القائم/ ٢٦٠ هـ:

ترجمها في مآثر الكبراء: مفصلاً، وقال: دفنت خلف الإمام

وبعد عدة سنوات قيض الله لتعميره الشهم الغيور السيد سليم بن السيد مرتضى أحد الأشراف.

فسافر من الشام إلى اسطنبول عاصمة السلطان عبد الحميد، وطلب موافاته، فلم تتأتَ له وذلك من أيادي السلطان وخواصه من المبغضين لأهل البيت عليهم السلام، ولما ضاق به الخناق أخذ يصيح في الطرقات والأسواق بأعلى صوته، أيها الناس إني أتيت من بلادي الشام إلى هذه البلاد، لأُقدم إلى السلطان نصيحة ثمينة وهدية قيمة فيها زيادة علو شأنه. فلم يزل يكرر مثل هذا القول حتى اتصل خبره بالسلطان فأمر بإدخاله عليه، ولما دخل سأله ما هذه النصيحة وما هذه الهدية فأجابه بما مضمونه:

(أيها السلطان العادل أيسرك أن تهان مشاهد أهل البيت وقربى الرسول ﷺ الذين شرفك وشرف الأمة الإسلامية جمعاء بالانتماء إليهم ومحبتهم ومودتهم حسب نص الذكر الحكيم: **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾**؟

أيسرك أن يكون مزبلة مشهد رأس خامس أهل الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجل وطهرهم تطهيراً، ورؤوس طائفة من أصحابه شهداء الطف ضحوا بأنفسهم في سبيل الحق وإعلاء كلمة الإسلام كأبي الفضل العباس، وعلي الأكبر، والقاسم بن الحسن، لذكرهم الشرف، أيسرك أن يكون ذلك المشهد المقدس موضع كناسة للقذارات والفضلات؟

لا أعتقد أن هذا يسرك:

بل المتغلغل في ضميري إن هذا مما يؤلمك ويسوؤك فرجائي الأكيد أن تأمر الوالي بإزالة المزبلة والكناسة عن مشهد الرؤوس الكرام، فإن لك في ذلك خير الدارين وفوز النشأتين.

هذه نصيحتي إليك وهديتي إلى جنابك، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب، فأمر السلطان بالفحص عن قول هذا السيد الكريم، فلما تبين له صدق ما قال أصدر الأمر الرسمي بإزالة المزبلة عن مشهد الرؤوس، وتعميره

العسكري عليه السلام وقبرها مشهور..... ١/٢٤٣.

وإن مضامين زيارتها المروية تبرهن على علو شأنها وناهيك شرفها بأنها (المودعة الملك العلام والحاملة أشرف الأنام الصديقة المرضية...).

السيد محمد/ حدود ٢٥٢ هـ:

مرقده يبعد عن (بلد) خمسة كم قال المحدث القمي: (مزار مشهور هناك مطاف للفريقين وتجبى إليه النذور والهدايا، وله ما لا يحصى كثرة من الكرامات وخوارق العادات وحسبك في جلالة شأنه صلاحيته لمنصب الإمامة لأنه أكبر أولاد الإمام الهادي عليه السلام.

كان قدم السيد محمد من المدينة لرؤية والده في سامراء ولما أراد الرجوع بلغ بلد ومرض وتوفي بها في حياة والده.

وكانت وفاته صدمة للجماهير المؤمنة التي كانت تعتقد وصول الإمامة إليه حيث لم يظهر لهم العلم الإلهي المخزون المعبَّر عنه بالبداء فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام إن لله علمين: علماً مخزوناً لا يعلمه إلا الله هو ومن ذلك البداء، وعلماً علمَّه ملائكته ورسله، إلخ. راجع للتفصيل المعجم.

وبهذا المعنى ورد في زيارة العسكريين المختصرة: (السلام عليكما يا من بدا لله في شأنكما) وإلى ذلك أشار الفقيه الورع السيد محمد باقر الشخص في قصيدة له في مديح السيد محمد المذكور ومنها:

إن كنت طالب حاجة ومراد ... فانخ بقبر محمد بن الهادي
ذاك الذي ما أمّه ذو حاجة ... إلا وفاز بنيل كل مراد
ذاك الذي لم يستجر أحد به ... إلا وعاد بمنية المرتاد
لك يا ابن خير المرسلين مناقب ... جلت عن الإحصاء والتعداد
لك في عظيم الذكر أي فضائل ... تتلى مدى الأيام والآباد
وضريح قدس دون أدنى مجده ... هام السهى والكوكب الوقاد
أضحى ملاذ اللاجئين ومأمناً ... للخائفين وكعبة الوفاد

مقامات آل البيت عليهم السلام

إذا خرجت من الباب القبلي للجامع الأموي مستقيماً ينتهي إلى حي الشاغور حيث لا يزال آثار السور الذي كان يحيط بمدينة دمشق، وتخرج من باب الشاغور على اليمين جادة تنتهي إلى مقابر باب الصغير وفيها جادة تسمى (جادة آل البيت) وفي هذه الجادة تقع مقامات متقاربة من حيث المكان وهي:

١ ـ مشهد الرؤوس:

رؤوس شهداء كربلاء وهي:

رأس أبي الفضل العباس بن علي والقاسم بن الحسن، علي الأكبر، وعمر بن علي، وعبد الله بن علي، والحر، ومحمد بن علي، وعبد الله بن عوف، ومحمد بن مسلم، وعبد الله بن عقيل، والحسين بن عبد الله، وحبيب بن مظاهر، وعلي بن أبي بكر، وعثمان بن علي، وجعفر بن عقيل، وجعفر بن علي.

وقرأ الشيخ فرج آل عمران القطيفي من كتابه (الأزهار) الذي صحبه معه للطباعة في النجف الأشرف عن السيد عبد الحسين شرف الدين مؤلف المراجعات قصة مفصلة وإليك ملخصها: قال قال لي السيد:

(إني زرت مشهد الرؤوس في السنة السابعة بعد الثلثمائة والألف من الهجرة، وأنا حينئذ ابن سبع عشرة سنة قد حف هذا المشهد الشريف بمزبلة عظيمة يلقي فيها أهل الشام والأمويين كناساتهم ابتغاء الإهانة بشأن أهل البيت عليهم السلام وهذه المزبلة قد ارتفعت على قبة هذا المشهد بعدة أمتار وهي إذ ذاك قبة صغيرة مستحقرة.

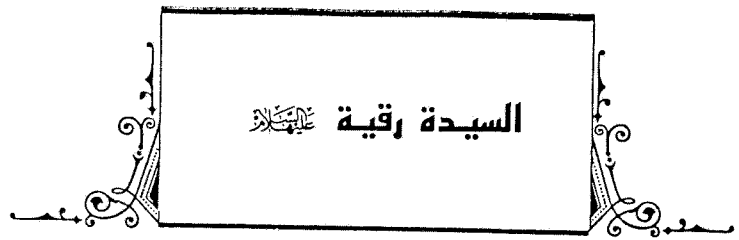

السيدة رقية عليها السلام

عن الكامل للبهائي: إن من بنات الحسين عليه السلام طفلة بلغت أربع سنين كانوا أوهموا عليها ـ لصغر سنها ـ مقتل الحسين، ولما كانوا في الشام رأت أباها في المنام، ولما حكت المنام ناحت النسوة مرة واحدة، فاتصل الخبر بيزيد فأمر أن يوضع رأس الحسين في طبق أمامها، ولما رأت الرأس الشريف ماتت في الحال.

وقبرها بدمشق في (حي العمارة) خلف المسجد الأموي وشاهدنا البناء المفخم المعمور المتوافد عليها الزوار وقد كتب على الباب ما نصه:

تمسك بالولاء لآل طه ... بحبهم غدا في الخلد تسعد
وهذا باب حطة فادخلوها ... وأنتم ركع للّه سجد
له ذو الرتبة العليا علي ... وزير العدل في إيران جدد
لأ سنى بقعة طهرت وكانت ... بأزكى حضرة وبخير مرقد
فزرها واسأل الباري ففيها ... يماط الذنب في الجنات تصعد
وقد أرختها تزهو سناء ... بقبر رقية من آل أحمد

١٣٣٣ هـ

كتبه العبد المذنب أقل الحاج ميرزا أحمد رضا الشيرازي.

وحول القبر قصائد وأبيات كثيرة تعبر عن ولاء أهل البيت عليهم السلام.

* * *

يكفيك فضلاً إن أتى بك معلناً ... خبر البداء مسلسل الإسناد

إلى آخر القصيدة الجليلة التي تضمنت الإشارة إلى مكارم الآثار والكرامات ومناقب آل البيت النبوي عليهم السلام.

ومرقده الطاهر في منطقة تسمى الدجيل ولهذا السبب يُعبَّر في المحاورات عن السيد بسبع الدجيل، أما اليوم فتسمى المنطقة بالسيد محمد باسم صاحب المرقد وإن كانت الحكومة تتنكر لمشاعر الشعب والأهالي، وتعرف المنطقة إدارياً باسم البلد.

وقد توالى على مرقده الطاهر العمران والبناء والتجديد، كلما توالت العمارات على مرقد العسكريين عليهما السلام، كما تتوافد الزوار زرافات ووحداناً لزيارة المرقد كلما زاروا سامراء.

وفي المراقد ٢/٢٦٣: (مرقده في سواد بلد في دجيل من توابع سر من رأى مشيد عليه قبة عالية البناء سميكة الدعائم، فقد أشادها في عصرنا زعيم الطائفة السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي في سنة ١٣١١ يحيط بمرقده الشريف صحن فيه الغرف والاسطوانات أُعدت للزائرين والوفود التي تهوي إليه من كل بلد.... إن الأعراب التي حول مرقده تارة يلقبونه (سبع الدجيل).

كان مرقده مزاراً لسهولة الطرق وشملته البنايات التي شملت سامراء حتى سنة ١٢٠٨ هـ حيث قام الشيخ إسماعيل السلماسي بتجديد بنائه العمارات حتى قام السيد آغا محمد القمي (ره) بالبناء من جديد سنة ١٣٦٦ هـ.

عمرو الخزاعي:

ومما ينبغي الإشارة إليه مقتل الصحابي الجليل عمرو الخزاعي في مدينة الموصل القريبة من سامراء.

مرقده بظاهر مدينة الموصل عند أعلى نهر دجلة بالقرب منها ويتصل لمشهده مسجد بناه آل حمدان عليه قبة بارزة وله ضريح ومزار بارز.

وفي الإشارات إلى أماكن الزيارات/ ٧٠: في ظاهر الموصل على الشرف

الأعلى مشهد عمرو بن الحمق به جثته، ورأسه حمل إلى دمشق وهرب عمرو أيام ولاية زياد بن أبيه مع صاحبه رفاعة بن شداد اختفيا في جبل بضواحي الموصل، وأُخبرت عيون معاوية بهما وسار الخيل لأخذهما قال رفاعة: أُقاتل عنك يا أخي فقال عمرو: وما ينبغي أن تقاتل دوني انج بنفسك ما ان استطعت فنجا رفاعة وقبض على عمرو ولما سألوه عن اسمه قال: (أنا من أن تركتموه كان أسلم لكم وإن قتلتموه كان أضر عليكم) ولما أدخلوه إلى حاكم الموصل وهو ابن أُخت معاوية أم الحكم عرفه ورفع خبره إلى معاوية، فأمر بقتله وحمل رأسه إلى معاوية وزوجة عمرو (آمنة) كانت محبوسة عند معاوية بدمشق فأمر معاوية أن تلقى رأسه إليها ولما عرفت الرأس، قالت: (واحزناه لعفرة في دار هوان وظلم سلطان لقيتموه عني طويلاً واهديتموه إليَّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً كنت له غير قالية وأناله غير ناسية) ثم قالت للرسول قل لمعاوية: (أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك) وطلبها معاوية وسألها عن قولها فقالت:

(نعم غير نازعة عنه ولا معتذرة منه، ولا منكرة له، فلعمري لقد اجتهدت في الدعاء إن نفع الاجتهاد وإن الحق لمن وراء العباد) راجع بلاغات النساء لابن طيفور/ ٦٤.

لقد كان لمقتل الصحابي الجليل عمرو أثر بالغ في المجتمع الإسلامي اليقظ وقد استنكر الإمام الحسين عليه السلام في رسالة كتبها لمعاوية جاء فيها (أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله العبد الصالح الذي قد أبلته العبادة فنحلت جسمه وخطفت لونه بعد أن أمنته وأعطيته من عهود الله ومواثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل إليك من رأس الجبل ثم قتلته جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد).

وهذه الدماء التي أُريقت في سبيل تحقيق العدالة وآلاف غيرها هي التي روت شجرة الإسلام حتى أصبحت اليوم موثقة ثمارها فلا بد من زيارة هذه المزارات واستلهام البطولة والشجاعة والتضحية منها.

بالسواد فلفه في ثوبه ودفنه عند باب الفراديس عند البرج الثالث مما يلي المشرق.

وفي هذا المشهد شباك فيه مكان مرتفع مغطى وهو موضع جعل فيه رأس الحسين، ثم نقل منه إلى مصر ومكان آخر أيضاً وهو موضع شعرة النبي صلى الله عليه وآله.

وبجنبهما مقام زين العابدين عليه السلام، ويحيط بالمقام كله أسماء الأئمة الإثني عشر عليهم السلام أولهم أمير المؤمنين وآخرهم المهدي الحجة عليه السلام.

وعلى موضع رأس الحسين يوجد شباك من نحاس وقد كتب عليه بالتركية ما نصه:

شهيد كربلاء سبط أحمد مصطفى دربو
دوچشم فاطمة فحل علي المرتضى دربو
ناديله زيارت ايله كل بوبقعة ياكي كه زيرا موضع راس حسين مجتبى دربو

كتبه السيد محمد فكري الحسيني غفر الله له تبركاً لأهل البيت ١٢٩١ هـ.

وقد وصف هذا المكان الأستاذ الطنطاوي في كتابه الجامع الأموي ص ٧٥، بقوله: (مشهد كبير حفيل كان فيه رأس الحسين بن علي عليه السلام، ثم نقل إلى القاهرة وبإزائه مسجد صغير ينسب إلى عمر بن عبد العزيز عليه السلام وبذلك المشهد ماء جارٍ وقد انتظمت أمام البلاط أدراج يتجدد عليها الدهليز، وهو كالخندق العظيم يتصل إلى باب عظيم الارتفاع، ينحسر الطرف دونه سمواً وقد حفته أعمدة كالجذوع طولاً وكالأطواد ضخامة وبجانبي هذا الدهليز أعمدة، قد قامت عليها شوارع أخرى مستطيلة فيها الحجر والبيوت للكراء، مشرفة على الدهليز وفوقها سطح بنيت به سكان الحجر والبيوت، وفي وسط الدهليز حوض كبير مستدير من الرخام عليه قبة نقلها أعمدة من الرخام، ويستدير بأعلاها طرة من الرصاص واسعة مكشوفة للهواء، وفي وسط الحوض الرخامي انبوب صغير، يزعج الماء قوة، فيرتفع إلى الهواء أزيد من القامة وحوله أنابيب صغار يرمي الماء إلى علو فيخرج عنها كقضبان اللجين فكأنها أغصان تلك الدوحة المائية ومنظرها أعجب وأبدع من أن يلحقه الوصف).

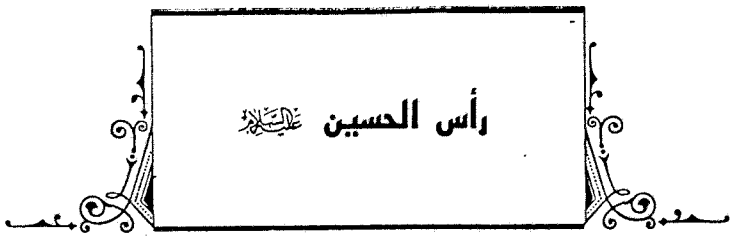

رأس الحسين عليه السلام

(نصبه يزيد في جامع دمشق في المكان الذي نصب فيه رأس يحيى بن زكريا) كذا في صبح الأعشى ٤ ـ ٩٧.

وفي تهذيب التهذيب ١/ ١٥٧ (وقد علق ثلاثة أيام) ويظهر أنه هذا المكان المعروف اليوم في غرب المسجد الأموي وإنما أراد القلقشندي على وجه التقريب أو أن الموضع هو باب الفراديس.

فقد روى سبط ابن الجوزي عن ابن أبي الدنيا، قال: وجد رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفنوه بباب الفراديس وكذا ذكر البلاذري في تاريخه قال: هو بدمشق في دار الإمارة وكذا ذكر الواقدي أيضاً، (انتهى).

ويروى أن سليمان بن عبد الملك قال: وجدت رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بن معاوية فكسوته خمسة أثواب من الديباج وصليت عليه في جماعة من أصحابي وقبرته.

(وفي رواية) أنه مكث في خزائن بني أُمية حتى ولي سليمان بن عبد الملك فطلب، فجيء به وهو عظم أبيض فجعله في سقط وطيبة وجعل عليه ثوباً، ودفنه في مقابر المسلمين بعدما صلّى عليه، فلما ولي عمر بن عبد العزيز، سأل عن موضعه فنبشه وأخذه والله أعلم بما صنع به.

وقال بعضهم الظاهر من دينه أنه بعث به إلى كربلاء فدفنه مع الجسد الشريف، وروى ابن نما، عن منصور بن جمهور، إنه دخل خزانة يزيد، ولما فتحت فوجد بها جونة حمراء، فقال لغلامه سليم: احتفظ بهذه الجونة فإنها كنز من كنوز بني أُمية، فلما فتحها إذ فيها رأس الحسين عليه السلام وهو مخضوب

من حياة الإمام عليه السلام:

تضم سامراء مرقد إمامين هما الإمام علي الهادي عليه السلام والإمام الحسن العسكري عليه السلام بالإضافة إلى أماكن أُخرى تجدد فيها ذكرياتهم من المحبس ودار السكنى وإليك لمحة عن حياتهما.

الإمام الهادي عليه السلام:

مولده منتصف ذي الحجة أو الثاني من رجب سنة ٢١٤ هـ في قرية الأبواء التي بناها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة.

ويكنى عليه السلام بأبي الحسن الثالث ويعرف بالهادي والنقي والعسكري.

وقال ابن طلحة الشافعي: الناصح، والمتوكل، والنقي، والمرتضى، وأشهرها المتوكل، وكان يخفي هذا اللقب ويأمر أصحابه أن يعرضوا عنه لكونه من ألقاب الخليفة.

وصفه في الصواعق بـ (علي العسكري) ثم قال: (سمي بذلك لأنه لما وجه لإشخاصه من المدينة النبوية إلى سر من رأى أسكنه بها وكانت تسمى العسكر فعرف بالعسكري وكان وارث أبيه علماً وسخاء).

وفي المناقب: (كان أطيب الناس مهجة وأصدقهم لهجة وأملحهم من قريب وأكملهم من بعيد إذا صمت علته هيبة الوقار).

قال المفيد: (كان الإمام بعد أبي جعفر ابنه أبو الحسن علي بن محمد لاجتماع خصال الإمامة فيه وتكامل فضله وأنه لا وارث لمقام أبيه سواه وثبوت النص عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه بالخلافة).

في سامراء ٢٤٣ هـ:

في المناقب عنه قوله: (أخرجت إلى سر من رأى كرهاً، وخرجت عنها كرهاً... لطيب هوائها وعذوبة مائها وقلة دائها).

ذكروا لسبب خروجه عليه السلام أقوالاً:

ولعل أوجهها ما ذكره سبط ابن الجوزي بقوله: (قال العلماء: إنما أشخصه المتوكل إلى بغداد، لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة وميل الناس، فخاف منه فدعا يحيى بن هرثمة، وقال اذهب إلى المدينة وانظر في حاله واشخصه إلينا).

قال المفيد: بلغ أبا الحسن عليه السلام سعي عبد الله بن محمد به، فكتب عليه السلام إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه وكذبه، فيما سعى به فتقدم المتوكل بإجابته عن كتابه ودعائه فيه إلى حضور العسكر على جميل من الفعل والقول في كتاب وجهه إلى الإمام عليه السلام:

ولما وصل الكتاب إلى الحسن عليه السلام تجهز للرحيل وخرج معه يحيى بن هرثمة.

والمتوكل هذا من أشد العباسيين عداء للعلويين هدم قبر الحسين عليه السلام وسواه بالتراب.

ثم أمر بحرث الأرض وزرعها لتضييع معالمه وعليه لا أظن السبب في استدعاء الإمام وشاية الوالي أو ما شابه.

وقد يكون، ولكنها مفتعلة، إذ أن المتوكل كان يخشى من المدينة كمركز ديني يجتمع فيه الحجاج في كل عام ومن وجود الإمام عليه السلام وهو ابن رسول الله في هذا المركز الديني يحاول إبعاد الإمام عن هذا المركز وجعله تحت رقابته وفي قبضته، هذا هو السبب الحقيقي مهما اختلفت الأسباب المفتعلة وسيرته معه في سامراء تكشف عن نواياه.

وخاصة لما جاءت رسالة المتوكل به قبلها الإمام وأظهر أنه كان مجبوراً وإن كان الكتاب يمهله في الظاهر.

وإليك نص الكتاب: (بسم الله الرحمٰن الرحيم أما بعد، فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك راعٍ لقرابتك، موجب بحقك، مؤثر من الأمور فيك، وفي أهل بيتك، ما يصلح الله به حالك وحالهم، وثبت عزك وعزهم، ويدخل الأمن عليك

الصندوق والضريح المكسو بالذهب في سنة ١٩٩٣ هـ من قبل الشعب الإيراني المسلم.

واليوم يتوسط المرقد الحرم الذي بني على نظم هندسي بديع جداً ويحيط بالحرم صحن واسع الأرجاء وفي الصحن غرف معدة للزوار ينزل بها الزائرون، ويعلو مدخل الحرم الزينبي أسماء الأئمة الإثني عشر وحول الحضرة خطبة زينب مع ترجمتها بالفارسية محيطة بالكاشي وقد كان وضع الكاشي المحسن الحاج أبو القاسم الهمداني سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م والشباك المنصوب من الفضة وأبواب الحرم من الذهب المطعم بديع الزخرفة وجاء عليها ما نصه:

(أنشىء هذا الباب للحوراء زينب الكبرى عليها السلام من قبل العبد الذليل محمد تقي بن المرحوم الشيخ عبد الحسين آل أسد الله الكاظمي الذي يرجو من ربه العظيم أن يرحمه في الساعة الرهيبة التي تشخص فيها الأبصار سنة ١٣٨٧ هـ).

وفي الجانب الآخر: (صنع في أصفهان في عهد سادن الروضة السيد محسن مرتضى بن السيد رضا مرتضى وبمساعي السيد رضا السيد قاسم الحسيني وإشراف الشيخ محمد حسين المؤيد سنة ١٣٨٧ هـ، وبنظارة الحاج ميرزا أبو القاسم كوبا، والخطاط حبيب الله فضائلي).

وقد قيل في المزار ولنعم ما قيل:

يا زائراً قبر العقيلة قف وقل ... مني السلام على عقيلة هاشم
هذا ضريحك في دمشق الشام قد ... عكفت عليه قلوب أهل العالم
هذا هو الحق الذي يعلو ولا ... يعلى عليه برغم كل مخاصم
سل عن يزيدٍ أين أصبح قبره ... وعليه هل من نائح أو لاطم

* * *

كلثوم زينب الكبرى بنت أسد الله الغالب الإمام الجليل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه)، ثم ذكر شهادة القاضي مصطفى بن مصطفى أفندي في آخر ربيع الأول سنة ٧٦٨ هـ، قال ابن جبير في رحلته التي كانت في أوائل المائة السابعة عند الكلام على دمشق ما لفظه:

(ومن مشاهد أهل البيت عليهم السلام مشهد أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب ويقال لها زينب الصغرى وأم كلثوم كنية أوقعها عليها النبي ﷺ لشبهها بأم كلثوم (رض) والله أعلم بذلك، ومشهدها الكريم بقرية قبلي البلد يعرف براوية على مقدار فرسخ وعليه مسجد كبير وخارجة ومساكن وله أوقاف، وأهل هذه الجهات يعرفونه بقبر الست أم كلثوم جئنا إليه وتبركنا برؤيته نفعنا الله بذلك).

وقال ياقوت المتوفى ٦٢٦ هـ في معجم البلدان راوية بلفظ راوية الماء قرية من موقعة دمشق بها قبر أم كلثوم.

وقال ابن عساكر من أهل المائة الخامسة عند ذكر مساجد دمشق: (مسجد راوية مسجد على قبر أم كلثوم وهي ليست بنت رسول الله ﷺ، وإنما هي امرأة من أهل البيت سميت بهذا الإسم ولا يحفظ نسبها ومسجدها هذا بناه رجل من حلب). وفي المراقد عن الثمر للسيد البراقي المخطوط عن الحاج مصطفى كبه سنة ١٣٠٢ عن السيد سليم المتولي للمرقد أن في هذه السنة سقطت القبة على قبرها (ولما كشف التراب عن قبرها) وإذا بصخرة على القبر عظيمة من المرمر طولها قامة رجل (ولم يتمكن من قراءتها أحد)، ثم أخبروا الوالي عن طاعن في السن بنواحي الشام وإنه عالم بالسير والتواريخ والألسن فأحضره وعرض عليه الصخرة، فما قدر أن يقرأ منها غير السطرين الأولين وهما:

(هذا قبر السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب بنت فاطمة الزهراء توفيت في هذا المكان وأقبرت في رجوعها الثاني).

وقد أُهدي الصندوق على القبر الشريف من إيران في سنة ١٣٣٤ هـ ووضع عليه في احتفال خاص اشترك فيه جمهور الشيعة من لبنان وسوريا وتليت فيه كلمة للسيد عبد الحسين شرف الدين في ٢٠ شعبان ١٣٣٤ هـ، وجدد هذا

وعليهم، يبتغي بذلك رضى ربه وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم، وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة الرسول ﷺ إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك، وعندما فرقك به ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيتك في ترك مجاوبته وأنت لم تؤهل نفسك لما فرقت يطلبه وقد ولي أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتحليلك والانتهاء إلى أمرك ورأيك والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك وأمير المؤمنين مشتاق إليك يحب إحداث العهد بك والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قبله ما أحببت شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت وتسير إذا شئت كيف شئت، وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجندية يرحلون برحيلك ويسيرون بسيرك فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدمنا الله بطاعتك فاستخر الله حتى توافي أمير المؤمنين فما أحد من إخوانه وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منك منزلة ولا أحمد له أثرة، ولا هو لهم أنظر ولا عليهم أشفق وبهم أبر ولا هو اليهم أسكن منه إليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب إبراهيم بن العباس في شهر جمادي الآخرة من سنة ٢٤٣ هـ).

ويقول يحيى بن هرثمة: (فلما دخلت على المتوكل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقته وورعه وزهادته، وإني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم وإن أهل المدينة خافوا عليه فأكرمه المتوكل).

قال المفيد: (خرج معه يحيى بن هرثمة حتى وصل إلى سر من رأى فلما وصل إليها تقدم المتوكل بأن يحجب عنه في يومه فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك وأقام فيه يومه ثم تقدم المتوكل بإفراد دار له فانتقل إليها... وأقام أبو الحسن عليه السلام مدة مقامه بسر من رأى مكرماً في ظاهر حاله فجهد المتوكل في إيقاع حيله به فلم يتمكن من ذلك).

وجاء في الإرشاد عن نوعية مضايقاته للإمام قوله: أن أمر المتوكل السعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما يجده عنده من الأموال والسلاح ويحمله

إليه.. قال الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السلام بالليل ومعي سلم فصعدت منه إلى السطح ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة فلم أدرِ كيف أصل إلى الدار فناداني أبو الحسن عليه السلام من الدار يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة فلم ألبث إلى أن أتوا بشمعة فوجدت عليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجادية على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة، فقال لي: دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً ووجدت البدرة مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً معها، فقال لي أبو الحسن عليه السلام: دونك المصلى فرفعته فوجدت سيفاً من جفن ملبوس فأخذت ذلك وصرت إليه، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدرة بعث إليها، فخرجت إليه فسألها عن البدرة فأخبرني بعض خدم الخاصة أنها قالت: كنت نذرت في علتك إن عوفيت أن أحمل عليه من مالي عشرة آلاف دينار، فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس ما حركه وفتح الكيس الآخر فإذا فيه أربعمائة دينار فأمر أن يضم إلى البدرة بدرة أخرى، قال: إني أحمل ذلك إلى أبي الحسن عليه السلام واردد عليه السيف والكيس بما فيه، فحملت ذلك إليه واستحييت، فقلت له: يا سيدي عز علي دخولك دارك بغير إذنك ولكني مأمور، قال لي: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

نقل في الشذرات الذهبية ص ١٠٧ محادثة هامة رأيت أن أنقله كما هي حيث تقدم صورة حية لموقف الإمام عليه السلام تجاه طغيان الملوك وعبث الخلفاء.

فلقد وشى الوشاة لدى المتوكل فقالوا: إن في منزله سلاحاً وكتباً وإنه يطلب الأمر لنفسه فوجه إليه بعدة من الأتراك ليلاً فهجموا عليه في منزله على غفلة فوجدوه وحده في بيت مغلق، عليه مدرعة من شعر وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن بالوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وجد عليها وحمل إلى المتوكل في جوف الليل فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس فناوله الكأس التي كانت بيده، فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فاعفني فأعفاه، وقال له: انشدني شعراً استحسنه فقال: إني قليل الرواية لشعر قال: لا بد أن تنشدني فأنشده:

القبر الذي رآه وهذه الجمهرة من النصوص بالإضافة إلى الشهرة المستفيضة بمجرد الاحتمال. وهل يمكن القطع واليقين في هذه الأمور وهل يمكن الاستغناء عن هذه الأمور التاريخية؟ وهل هناك مؤرخ يمكنه البت في التاريخ أو أن يحيد عن هذه النصوص ويضرب بها عرض الجدار وهل التاريخ إلا معرفة النصوص والالتزام بأوثقها والركون إلى ما تفيده تفصيلاً وإجمالاً؟ (والحق) إن كل من شاهد القبر والذي ذكره مع القبر ونصوص المؤرخين تجعلنا نطمئن بأن صاحبة القبر هي بنت الإمام علي عليه السلام وإنها ليست الكبرى لأنها توفيت بالقاهرة وليست الوسطى فإنها توفيت بالمدينة فهي إذاً الصغرى التي ذكر جماعة هجرتها إلى الشام.

وقد ذكر الشيخ المفيد (ره) في بنات الإمام علي عليه السلام زينب الكبرى وزينب الصغرى أم كلثوم، وأمها فاطمة بنت رسول الله وزينب أخرى وصفت أيضاً بالصغرى مع أُخريات لأمهات شتى، راجع الإرشاد ص ١٨٦ طبعة النجف وعليه تكون أم كلثوم هي الوسطى.

ويظهر أن هؤلاء الإعلام بما فيهم السيد الأمين لم يقفوا على رسالة من تأليف شيخ الشرف يحيى العبيدلي المتوفى ٢٧٧ هـ في الموضوع بالذات وقوله الفصل في مثل هذا الموضوع الذي يعتبر حجة تاريخية كغيرها من حجج التاريخ، ولكنهم لم يستندوا إليها لا نفياً ولا اثباتاً لأنهم لم يقفوا عليها ولا عجب فإن طوارق الدهر قد بعثرت عيون تراثنا.

من تاريخ المزار:

وتدل النصوص التاريخية على اشتهار هذا القبر منذ زمن قديم كانت لها أوقاف ومسجد كبير ومساكن.

ففي هامش المراقد (٢/ ٣٣) من صورة ما على المرقد جاء فيها: (قبر السيدة الجليلة صاحبة الفضل الصديقة الطاهرة الزكية الفاخرة، الزاهدة العابدة الراكعة الساجدة التي شرفت قبرها قرية راوية شقيقة السبطين بضعة البضعة المحمدية والجوهرة الأحمدية من خصها الله بالكرامة الأبدية السيدة الجليلة أم

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... واودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صائح من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين سائلهم ... تلك الوجوه عليها الدود تنتقل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

فبكى المتوكل بكاء شديداً حتى بلت الدموع لحيته وكل من حضر معه ثم أمر برفع الشراب ورد الهادي مكرماً.

آثاره عليه السلام:

روي عن الإمام شيء كثير من العلم وقد جاء إليهم لما هجموا عليه لم يجدوا شيئاً سوى بعض الحاجيات (وكتب العلم) ولا ريب أن أكثرها موروثة من آبائه، وكانت السلطة الحاكمة تحاول مضايقة الإمام عليه السلام بتوجيه الأسئلة المختلفة من قبل عمال الحكومة والقضاة وكان عليه السلام يجيب عليها بدافع الحق وبيان الحقيقة ومنها ما حصل من يحيى بن أكثم وقد أجاب عليه السلام بما يأتي: (بسم الله الرحمٰن الرحيم: وأنت ألهمك الله الرشد أتاني كتابك فيما امتحنتنا به من تفننك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصرنا فيها والله يكافيك على نيتك وقد شرحنا مسائلك فاصغِ إليها سمعك وذلل لها فهمك واشعل بها قلبك فقد رامتك الحجة والسلام:

١ ـ سألت عن قول الله عز وجل: (قال الذي عنده علم من الكتاب) فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف ولكنه أحب أن يعرف أُمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لئلا تختلف إمامته ودلالاته كما فهم سليمان في حياة داود فتعرف نبوته وولايته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق.

٢ ـ وأما سجود يعقوب وولده فإن السجود لم يكن ليوسف كما أن

وهل يمكن الإعراض عن نصوص التواريخ الموجودة وتقول بأن وفاتها بالمدينة بدون أي دليل تاريخي أو رواية ضعيفة لكنه (ره) أصر على هذا الرأي قائلاً: (وفيما الحق برسالة نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين في النجف وكربلاء المطبوعة في الهند، نقلاً عن رسالة تحية أهل القبور بالمأثور عند ذكر قبور أولاد الأئمة عليهم السلام، ما نقله: (ومنهم زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وكنيتها أم كلثوم قبرها في قرب زوجها عبد الله بن جعفر الطيار خارج دمشق الشام معروف جاءت مع زوجها عبد الله بن جعفر أيام عبد الملك بن مروان إلى الشام سنة المجاعة، فماتت ودفنت مع عبد الله في ما كان له من القرى والمزارع خارج الشام. وهذا التحقيق في وجه دفنها هناك وغيره غلط لا أصل له...).

ثم أورد العلامة الأمين على هذا الكلام إشكالات ستة أوجهها:

١ ـ إن زينب الكبرى لم تكنى بأُم كلثوم.

٢ ـ إن قبر عبد الله بن جعفر بالحجاز كما في عمدة الطالب توفي ٨٠ هـ ودفن بالبقيع.

والحق أن هذه الوجوه كلها مخدوشة، ولا حاجة إلى إطالة الكلام في هذا الصدد، بعد أن عرفنا أن النصوص كثيرة، بأن زينب الكبرى هي دفينة مصر القاهرة، وقد ذكرنا التفصيل في مزارات القاهرة.

وقال أيضاً: وجد على هذا القبر صخرة رأيتها وقرأتها كتب عليها: (هذا قبر السيدة زينب المكناة بأم كلثوم بنت سيدنا علي رضي الله عنه).

وليس فيها تاريخ وصورة خطها تدل على أنها كتبت بعد الستمائة من الهجرة ولا يثبت بمثلها شيء ومع مزيد التتبع والفحص، لم أجد من أشار إلى هذا القبر من المؤرخين سوى ابن جبير في رحلته، وياقوت في معجمه وابن عساكر في تاريخ دمشق، وذلك يدل على وجود هذا القبر من زمان قديم واشتهاره.

ومن الغريب أيضاً موقف السيد الأمين (ره) فهل يمكن الإعراض عن شاهد

السجود من الملائكة لم يكن لآدم وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم فسجود يعقوب وولده ويوسف معهم كان لله تعالى باجتماع شملهم، ألم ترَ أنه يقول في شكره في ذلك الوقت ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ الآية.

٣ ـ وأما قوله: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرأون الكتاب﴾ فإن المخاطب بذلك رسول الله ﷺ ولم يكن في شك بما أنزل الله ولكن قالت الجهلة كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة، ولِمَ لَمْ يفرق بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق فأوحى الله إلى نبيه ﷺ قال: فاسأل الذي يقرأون الكتاب بمحضر من الجهلة هل بعث الله رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق ولك بهم أُسوة يا محمد، وإنما قال: فإن كنت في شك ولم يكن فيه شك. كما قال: ﴿قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ ولو قال: عليكم لم يجيبوا إلى المباهلة وقد علم الله أن نبيه مؤدٍ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين فكذلك عرف النبي ﷺ أنه صادق فيما يقول ولكن أحب أن ينصف من نفسه.

٤ ـ وأما قوله: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآية فهو كذلك لو أن أشجار الدنيا أقلام والبحر يمده سبعة أبحر وانفجرت الأرض عيوناً لنفذت قبل أن تنفذ كلمات الله، ونحن كلمات الله التي لا تنفذ ولا تدرك فضائلنا وأما الجنة فإن فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأباح الله ذلك كله لآدم، والشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضل الله على خلافته فنسي ونظر يعني الحسد ولم يجد له عزماً.

٥ ـ وأما قوله: ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾ أي يولد له ذكور ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقترنين زوجان كل واحد منها زوج ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المأثم ﴿ومن يفعل ذلك يلقَ اثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾ إن لم يتب.

٦ ـ وأما شهادة امرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها مع

السيدة زينب عليها السلام

تعددت المزارات المنسوبة إلى السيدة زينب في مصر والشام.

واختلفت الأقوال واضطربت فالبعض على أن الكبرى في القاهرة والصغرى في دمشق وجماعة على العكس.

واكتفى شيخنا السيد هبة الدين الشهرستاني بنقل الروايتين في هامش كتابه نهضة الحسين عليه السلام، وذهب إلى الأول العبيد لي وأكثر العامة، وإلى الثاني السيد حسن الصدر وعامة الشيعة، وأصر السيد محسن الأمين على أن زينب الكبرى توفيت بالمدينة، وينبغي أن نذكر نص كل ما ذكراه ليتضح الحال. قال السيد الأمين في أعيان الشيعة (٣٣ ـ ٢٠٨):

(فقد وهم كل من زعم أن القبر الذي في قرية راوية منسوب إلى زينب الكبرى، وسبب هذا التوهم أن من سمع أن في راوية قبر انتسب إلى السيدة زينب سبق إلى ذهنه زينب الكبرى لتبادر الذهن إلى الفرد الأكمل فلما لم يجد أثراً يدل على ذلك لجأ إلى استنباط العلل).

وقال أيضاً (يجب أن يكون محل قبرها في المدينة المنورة، فإنه لم يثبت أنها بعد رجوعها للمدينة خرجت منها وإن كان تاريخ وفاتها ومحل قبرها بالمدينة مجهولين ويجب أن يكون قبرها بالبقيع، وكم من أهل البيت أمثالها من جهل محل قبره وتاريخ وفاته خصوصاً النساء).

قال الجلالي إن هذا الكلام منه (ره) لغريب حقاً وهل مثل العقيلة الكبرى من الهاشميات يخفى قبرها عند أهلها وذويها وشيعتها.

الرضا فإن لم يكن رضا فلا أقل من امرأتين تقوم المرأة بدل الرجل للضرورة لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

٧ ـ وأما قول علي في الخنثى فهي كما قال تنظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم عريانة وينتظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه.

٨ ـ وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها وإن لم يعرفها قسم الغنم نصفين وساهم بينهما فإذا وقع على أحد النصفين فقد نجى النصف الآخر ثم يفرق النصف الآخر فلا يزال كذلك، حتى يبقى شاتان فيقرع بينهما أيهما وقع السهم بها ذبحت وأُحرقت ونجى سائر الغنم.

٩ ـ وأما قول علي بشّر قاتل ابن صفية بالنار فهو لقول رسول الله ﷺ وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله أمير المؤمنين بالبصرة، لكنه قتل في النهروان.

١٠ ـ وأما قولك إن علياً قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين جهز على جريحهم وإنه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز على جريحهم ومن ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه فإن أهل الجمل قتل إمامهم ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها.

وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين فقد رضوا بالكف عنهم فكان الحكم منهم رفع السيف والكف عنهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً، وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام منتصب يجمع لهم السلاح والدروع والرماح والسيوف، ويسني لهم العطاء ويهيىء لهم الأموال ويعود مريضهم ويجبر كسيرهم ويداوي جريحهم ويحمل راحلهم ويكسو خاسرهم ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم، فإن الحكم في أهل البصرة الكف عنهم لما ألقوا أسلحتهم إذ لم يكن لهم فئة يرجعون إليها والحكم في أهل صفين أن يتبع مدبرهم ويجهز على جريحهم فلا يساوي بين الفريقين في الحكم لأمير المؤمنين عليه السلام وحكمه في أهل صفين والجمل لما عرف الحكم

دمشق ـ الشام

- السيدة زينب عليها السلام
- رأس الحسين عليه السلام
- السيدة رقية عليها السلام
- مقامات آل البيت عليهم السلام

في عصاة أهل التوحيد، انتهى الجواب.

فلما قرأ ابن أكثم ذلك قال للمتوكل: ما يجب أن تسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه فإنه لا يرد عليه شيء بعدها إلا دونها.

ومنها رسالة في الجبر والتفويض مفصلة ينبغي تحقيقها ودراستها. رواها في تحف العقول ٣٤١ والتوحيد للصدوق/ ٢٩١.

ومن كلماته عليه السلام القصار:

١ ـ من اتقى الله يتقِ ومن أطاع الله يُطع ومن أطاع الخالق لم يبالِ بسخط المخلوقين.

٢ ـ من أمن مكر الله أخذه تكبر حتى يحل به قضاؤه.

٣ ـ من كان على بينة من ربه هانت عليه مصائب الدنيا ولو قرض ونشر.

٤ ـ الشاكر أسعد بالشكر منه بالنصيحة التي أوجبت الشكر لأن النعم متاع والشكر نعم.

٥ ـ اقبل على شأنك فإن كثرة الملق يهجم على الظنة وإذا حللت من أخيك محل الثقة فاعدل عن الملق إلى حسن النية.

٦ ـ المصيبة للصابر واحدة وللجازع إثنان.

٧ ـ إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يبين في عدوك.

٨ ـ خير من الخير فاعله وأرجح من العلم عامله.

٩ ـ إذا كان زمان العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن أحد بأحد سواءً حتى يعلم ذلك منه وإذا كان زمان الجور أغلب فيه من العدل فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه.

١٠ ـ قال عليه السلام للمتوكل: لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه ولا الوفاء ممن غدرت به ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه فإنما قلب غيرك كقلبك له.

فطوبى لعبد ساءه قبح فعله وأبدى التلاقي قبل إغلاق بابه

انتهى

وأفاد محقّق الكتاب في الهامش ما ترجمته: إن في بعض هوامش النسخ عنوان (سيد علاء الدين) وإن من الواضح بأن هذا اللقب من المستحدثات في الأزمنة المتأخرة عن عصر المؤلف، لأن ظهور الألقاب المضافة إلى الدين حديث في أواخر القرن الرابع الهجري ـ وأفاد أيضاً ـ بأن صاحب الترجمة وأحمد ومحمد اخوان ثلاثة كلهم أبناء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وإن لصاحب الترجمة أيضاً ترجمة مختصرة في كتاب شيراز نامه ص ١٠١) انتهى.

قال الجلالي أنه اليوم عامر مشيد يزوره كل من يقصد شاه چراغ وقد زرته عام ١٣٩١ هـ ويحيط بالمرقدين سور كبير وباب واحد يجتازه قاصدهما من الشارع العام، ويظهر أنه شملته من العمارات ما شملت مرقد شاه چراغ. وفي ضواحي شيراز من المزارات ما تستدعي دراسة مستقلة عسى أن يقوم بها بعض البررة من أبنائها وكان الله في عون كل مخلص أمين.

* * *

١١ ـ إن الظالم الحالم يكاد أن يعفي على ظلمه بحلمه وإن المحق السفيه يكاد أن يطفىء نور حقه بسفهه.

١٢ ـ من جمع لك وده ورأيه فاجمع له طاعتك.

١٣ ـ من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره.

١٤ ـ الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون.

١٥ ـ من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه.

١٦ ـ الغنى قلة تمنيك والرضا بما يكفيك.

١٧ ـ الناس في الدنيا بالأموال وفي الآخرة بالآجال.

١٨ ـ الحسد ماحي الحسنات والعجب صارف عن طلب العلم داعٍ إلى الغمط والجهل والعقوق يعقب القلة وتؤدي إلى الذلة.

١٩ ـ المراء يفسد الصداقة.

٢٠ ـ المغالبة رأس أسباب القطيعة.

٢١ ـ العتاب مفتاح الثقال.

٢٢ ـ والعتاب خير من الحقد.

٢٣ ـ العقوق ثكل من لم يثكل.

٢٤ ـ الغضب على من يحلمك لوم.

وفاتـه:

كان اسلوب الدعوة الهادفة التي مارسه الإمام عليه السلام في وجه الطاغية العنيد المتوكل والمعتمد قد أزعج الحكومة وما كانت تجد حيلة إلاّ أن يقتلوه بالسم ـ كما في رواية ابن بابويه ـ حتى قضى عليه السلام في ٢٠ جمادى الثانية ٢٥٤ هـ قال المسعودي: (اعتل أبو الحسن علي الهادي علته التي توفي فيها عليه السلام فأحضر ابنه فسلم إليه النور والحكمة ومواريث الأنبياء والسلاح وأوصى إليه).

والمرقد اليوم عامر يقصده مختلف الوفود والزوار وتوالت عليه العمارات ومما أمكنني نقله من تواريخ البناء في زيارتي الخاطفة ١٣٩١ هـ ما يأتي: ففي عام ١١٤٥ هـ تعمير بدر قلى بيك طهماسب قلي خان.

وفي عام ١٣٨٦ هـ باب من الفضة أهداه يمين الدولة مسعود بن ناصر الدين شاه وفي ١٣٣٧ هـ شمله التجديد الكامل لبناء المرقد والمرافق والأروقة على نفقة أهالي شيراز.

ويوجد بقرب المرقد مرقد السيد علاء الدين الحسيني ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال في المراقد (٤ ـ ٧٤):

(مرقده في شيراز في محلة باغ قتلغ معروف مشهور بارز عامر مشيد بأنواع العمارة والزخرف، يزوره جماهير المسلمين وينذر به النذور وتقدم إلى مرقده الهدايا، ولأهل شيراز كمال الاعتقاد بقبره في قضاء الحوائج وكان قبره مخفياً وقد ظهر وشيد وبني عليه قبة وحرم ومزار في أوائل تشكيل الدولة الصفوية في إيران).

قال في شد الإزار في ترجمته ما نصه: (له مزار متبرك في المحلة المشهورة بباغ قتلغ ـ قيل: إن قتلغ هذا كان أميراً على أهل شيراز برهة من الدهر، وله هناك بستان كثير الأشجار غزير الأنهار يوجد فيه من كل الثمار بينها ربوة متنزهة ذات قرار ومعين، أشرف عليها ناطور متدين أمين، فكان يرى في ليالي الجمعات أنواراً ساطعة من تلك الربوة على الجهات فيتعجب منها، ويستكشف عنها، ثم أنهى ذلك الخبر إلى أميره ليرى الرأي بحسن تدبيره، فجاء الأمير وتجسس هناك فلم يجد من يخبره عن ذاك، فأمر أن يبعثر التل ويبحث عن ذاك المحل فكشفوا عن شخص مهيب ذي وجه منير وجسد طري رطب في إحدى يديه مصحف، وفي الاخرى سيف مرهف، فعرفوه بعلامات ظاهره وإمارات بينة باهرة، فأمر ببناء قبة عليه تكل الأبصار، متى نظرت إليها، ثم خربت القبة وانهارت.

وإن قصارى مسكن الحي حفرة سينزلها مستنزلاً عن قبابه

قال المسعودي (لما توفي اجتمع في داره جملة بني هاشم من الطالبيين والعباسيين واجتمع خلق كثير من الشيعة ثم فتح من صدر الرواق باب، وخرج خادم أسود ثم خرج بعده أبو محمد الحسن العسكري حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب، وكان وجهه وجه أبيه لا يخطىء منه شيئاً وكان في الدار أولاد المتوكل وبعضهم ولاة العهود فلم يبقَ أحد إلا قام على رجليه، ووثب إليه أبو محمد الموفق فقصده أبو محمد فعانقه... وأُخرجت الجنازة وخرج يمشي حتى خرج بها إلى الشارع وكان أبو محمد صلّى عليه قبل أن تخرج إلى الناس وصلّى عليه لما اخرج المعتمد ثم دفن في دار من دوره وصاحت سر من رأى في يوم موته صيحة واحدة).

قال في الصواعق: (توفي بسر من رأى في جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ هـ. ودفن بداره وعمره ٤٠ وكان المتوكل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين فأقام بها إلى أن قضى).

الإمام العسكري عليه السلام:

الحسن بن علي الهادي ابن محمد الجواد ابن علي بن موسى الرضا عليه السلام ولد في ٨/ ربيع الثاني/ ٢٣٢ هـ وتوفي مسموماً في ٨/ ربيع الأول/ ٢٦٠ هـ.

قال السمعاني: (العسكري نسبة إلى عسكر سامراء الذي بناه المعتصم لما كثر عسكره وضاقت عليه بغداد وتأذى به الناس فانتقل إلى هذا الموضع بعسكره وسميت العسكر وذلك في سنة ٢٢١ هـ).

وفي إثبات الوصية للمسعودي: (شخص إلى العراق بشخوص والده إليها وله أربع سنين وشهور).

وفي المناقب: (كان الحسن العسكري هو وأبوه وجده يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا وقال الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي يلقب

شيخ أبو إسحاق وجددت بناء الروضة المباركة عام ٧٥٠ هـ وأسست إلى جانبها مدرسة وأوقفت لهذا المكان بعض القرى والمزارع وخصصت مواردها لتأمين نفقاته. وقد تعرض هذا المكان بعد ذلك مراراً إلى الخراب وإعادة الترميم إثر بعض حوادث الزلزال وغيرها. وجاء في رحلة ابن بطوطة: (مشهد أحمد بن موسى أخي الرضا وهو مشهد معظم أهل شيراز يتبركون ويتوسلون إلى الله بفضله وبنت عليه طاى خاتون أم السلطان أبي إسحاق مدرسة كبيرة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر والقراء يقرأون القرآن على التربة دائماً. ومن عادة الخاتون أنها تأتي هذا المشهد في كل ليلة اثنين ويجمع في تلك الليلة القضاة والفقهاء والشرفاء، وشيراز من أكثر بلاد الله شرفاً سمعت من الثقات أن الذين لهم بها المرتبات من الشرفاء ألف وأربعمائة ونيف بين صغير وكبير ونقيبهم عضد الدين الحسيني، فإذا حضر القوم بالمشهد المبارك ختموا القرآن وقراءة في المصاحف وقرأ القراء بالأصوات الحسنة وأُوتي بالطعام والفواكه والحلوى فإذا أكل القوم وعظ الواعظ، ويكون ذلك كله من بعد صلاة الظهر إلى العشاء والخاتون في غرفة مطلة على المسجد بها شباك ثم يضرب الطبول والانقار والبوقات على باب التربة كما يفعل ذلك عند أبواب الملوك).

وفي شد الإزار في حط الأوزار عن زوار المزار في مزارات شيراز، تأليف معين الدين أبي القاسم جنيد بن محمود بن محمد الشيرازي الذي ألفه سنة ٧٩١ هـ:

قال: (السيد الأمير أحمد بن موسى قدم شيراز فتوفي بها في أيام المأمون بعد وفاة أخيه الرضا عليه السلام بطوس وكان أجودهم جوداً وأرأفهم نفساً قد أعتق ألف رقبة من العبيد والإماء في سبيل الله تعالى وقيل استشهد، ولم يوقف على قبره حتى ظهر في عهد الأمير مقرب الدين مسعود بن بدر فبنى عليه بناء، وقيل: وجد في قبره كما هو صحيحاً طري اللون لم يتغير، وعليه لامة سابغة وفي يده خاتم نقش عليه (العزة لله أحمد بن موسى) فعرفوه به ثم بنى عليه الأتابك أبو بكر بناء أرفع منه، ثم إن الخاتون تاش وكانت خيّرة ذات تسبيح وصلاة بنيت عليه قبة رفيعة وبنيت بجنبها مدرسة عالية وجعلت مرقدها بجوارها في سنة ٧٥٠ هـ).

بالعسكري). وعد من ألقابه الصامت والخالص.

قال أحمد بن عبد الله بن خاقان: (ما رأيت ولا عرفت سر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام ولا سمعت به في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته والسلطان وجميع بني هاشم، وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر وكذلك القواد والوزراء والكتاب، وعوام الناس، وما سألت أحداً عنه من بني هاشم والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على أهل بيته ومشايخه وغيرهم ولم أرَ له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه).

وقال أبوه عبد الله بن خاقان: (لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غيره فإنه يستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه.

وترجمه ابن حجر في الصواعق/ ٢٠٥ قائلاً: (أبو محمد الحسن الخالص وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري ولد سنة ٢٣٢ هـ... ولما حبس أقام عزيزاً مكرماً وصلات الخليفة تصل إليه كل وقت إلى أن مات بسر من رأى، روى عن أبيه وعمه وعمره ثمانية وعشرون سنة ويقال إنه سم).

قال المفيد: (كان الإمام بعد أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام ابنه أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام لاجتماع خلال الفضل فيه وتقدمه على كافة أهل عصره فيما توجب له الإمامة ويقتضي له الزعامة من العلم والزهد وكمال العقل والعصمة والشجاعة والكرم وكثرة الأعمال المقربة إلى الله جل اسمه).

ثم لنص أبيه عليه وإشارته بالخلافة إليه ثم أورد نصوصاً بأسانيد متعددة أنه عليه السلام أوصى إلى ابنه الحسن وأشار إليه بالأمر من بعده.

قال صبحي في (نظرية الإمامة/ ٩٤): ليس دوره في الإمامة كدور أسلافه فلم ترو من أقواله في الدين أو المذهب إلا النزر اليسير ولعل ذلك راجع إلى قصر مدة إمامته أو إلى أنه قضى معظم أيامه حبيساً في سامراء، وقد ضيق

الطاهرين قاصدين حرب المأمون، ولما وصلوا إلى قم حاربهم عاملها فاستشهد جماعة من أصحابه فوصل إلى الري فحاربه عاملها فاستشهد جماعة من أصحابه، ففروا حتى وصلوا إلى اسفراين إحدى نواحي خراسان فنزلوا في أرض سبخة بين جبلين، فهجم عليهم عسكر المأمون فحاربهم وقتلهم واستشهد أحمد ودفن هناك) وممن استشهد في هذا السبيل إخوة حمزة.

ووقع الخلاف في مكان دفنه في الري وقم وشيراز والموافق للرواية المذكورة أن المدفون في الري وقم وخراسان من أقاربه الذين يتشابهون في الاسم أو من أحفاده وإن اشتركوا جميعاً في التضحية في سبيل الإسلام.

قال السيد الأمين: (المشهور أن مشهده بشيراز).

وفي فلك النجاة ص ٣٣٧ (المعروف أنه توفي في شيراز ودفن هناك ويعرف قبره بسيد السادات ويعرف اليوم بشاه چراغ).

قال السيد الأصبهاني في أحسن الوديعة (٣٢٢) (شاه چراغ في شيراز، صرح بذلك جماعة وهم السيد نعمة الله في الأنوار النعمانية والمحدث البحراني في لؤلؤة البحرين وأبو علي الرجالي في رجاله والسيد محمد باقر في روضاته، وحمد الله المستوفي على ما نقل عنه في تاريخه والميرزا أحمد نصير الحسيني الشيرازي المدعو بميرزا آقا المتخلص بفرصت في آثار العجم المطبوع في بمبي سنة ١٣٢٤ هـ في ص ٦٠٣، وابن بطوطة الرحالة في ص ١٣٣ ج/ ١ من رحلته المطبوعة بمصر سنة ١٣٤٦ هـ.

من تاريخ المزار:

كان جثمانه الشريف بعد مقتله مجهولاً ولم يعرف قبره حتى بادر الأمير مقرب الدين مسعود - وهو من خواص أبي بكر بن سعد بن الزنجي - إلى إقامة بناء في تلك المدينة فعثر عند الحفر على قبر يضم رفاة رجل لم يتلف جثمانه بعد، وكان منقوشاً على خاتمه «العزة لله بن موسى»، وبعد أن وصل هذا الخبر إلى «اتابك» وتحقق من صحته أقام على القبر بناء يليق بالمدفون ولكن على مر الأعوام أخذت هذه القبة بالإنهيار، إلى أن قامت السيدة تاش خاتون والدة الشاه

العباسيون عليه الخناق حتى تعذر على الشيعة الاتصال به في أغلب الأحيان.
وفي هذا الكلام غفلة عن دور الإمام عليه السلام في الحياة وإنها تقتصر على الجانب العلمي فقط مع أنه يرعى العلم والعمل معاً ولم يشغله العلم عن الأمور الاجتماعية حسب الظروف، لذلك نرى الروايات في عطاياه عليه السلام كثيرة كان يرسل إلى بعض ذوي الحاجة ويكتب إليهم (إذا كانت لك حاجة فلا تستحي ولا تحتشم واطلبها فإنك ترى ما تحب).

وكان أبو يعقوب الكندي فيلسوف العراق قد أخذ في تأليف يناقض القرآن فأرسل العسكري عليه السلام من ينخرط في تلامذته ويسأله: (إن هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم به غير المعاني التي قد ظننت أنك ذهبت إليها، فإنه سيقول لك إنه من الجائز لأنه رجل يفهم فقل له فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فتكون واضعاً لغير معانيه) ولما وقف الكندي على ذلك عدل عن رأيه.

ولما سجن الإمام كانت سيرته قدوة للدعوة الهادفة فقد روى أبو هاشم الجعفري أن الحسن عليه السلام كان يصوم في الحبس.

وجاء في التاريخ أنه لما حصل قحط بسر من رأى وكان قحطاً شديداً أمر الخليفة المعتمد بن المتوكل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا، فخرج النصارى معهم راهب كلما مدّ يده إلى السماء هطلت ثم في اليوم الثاني كذلك، فشك بعض الجهلة وارتد بعضهم فشق ذلك على الخليفة فأمر بإحضار الحسن الخالص وقال له: ادرك أُمة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يهلكوا فقال الحسن: يخرجون غداً وأنا أُزيل الشك إن شاء الله، وكلم الخليفة في إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم فلما خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى غيّمت السماء فأمر الحسن بالقبض على يده فإذا فيها عظم آدمي فأخذه من يده وقال استسق فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور وما كشفت من عظم نبي تحت السماء إلا وهطلت بالمطر فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال وزالت الشبهة عن الناس.

(خرج أبي بولده إلى بعض أمواله وكان مع أحمد عشرون رجلاً من خدم أبي وحشمه، إن قام أحمد قاموا معه وإن جلس جلسوا معه، وأبي مع ذلك يرعاه ببصره ما يغفل عنه).

ومشهور ورعه وتقاه وقد أعتق ألفاً في سبيل الله، حتى اشتهر بذلك قال في نخبة المقال ص ١٤:

شاه چراغ أحمد بن كاظم اعتق الفاً سيد الأعاظم

وجاء في كتب الأنساب أنه (كتب المصحف الشريف بيده المباركة) كما روى عن أبيه وأخيه الرضا عليه السلام كان قد خرج مع أبي السرايا كما في رجال الكشي ص ٢٩٤، ولما توفي الإمام الكاظم وتواجد الناس في المدينة على باب أم أحمد زوجة الإمام وهي أُم محمد وحمزة، وكان الإمام أودع الأمانات - عندها سراً بأن الذي يطلب منها الأمانات هو الإمام ولما سمه الرشيد في بغداد - جاء إليها الإمام الرضا فطالبها بالأمانة فقال له أُم أحمد: لقد استشهد والدك؟ قال: بلى فشقت أُم أحمد جيبها وردت عليه الأمانة وبايعته بالإمامة واجتمع بعض على أحمد لما عليه من الجلالة ووفور العبادة يبايعون بالإمامة، فأخذ منهم البيعة وصعد المنبر وخطب الناس خطبة بليغة قائلاً:

(أيها الناس كما أنكم جمعاً في بيعتي فإني في بيعة أخي علي بن الرضا واعلموا أنه الإمام والخليفة من بعد أبي، وهو ولي الله والفرض علي وعليكم من الله والرسول طاعته ما يأمرنا فكل من كان حاضراً خضع لكلامه، وخرجوا من المسجد يقدمهم وحضروا عند الإمام الرضا فأقروا بإمامته).

ذكر معين الدين المتوفى حدود سنة ٧٩١ هـ إن السيد الأمير أحمد بن موسى قدم شيراز، فتوفى فيها في أيام المأمون بعد وفاة أخيه الرضا.

ويروي السيد الأمين في الأعيان ١/ ٣٨٦ عن بعض المصادر:

حينما غدر المأمون بالإمام الرضا عليه السلام كان في بغداد فحزن عليه حزناً شديداً، وخرج من بغداد للطلب بثأره وكان معه ثلاثة آلاف من أحفاد الأئمة

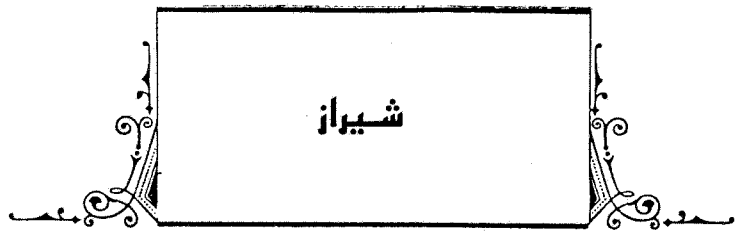

صاحب المزار:

السيد أحمد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام المعروف بشاه چراغ وأخوه السيد مير محمد المدفون قريباً من مقبرته وأبو حمزة أمير علي بن أبي حمزة بن موسى الكاظم المدفون خارج شيراز.

والروضة عامرة مشيدة تعرف بـ (شاه چراغ).

كان أحمد بن موسى عليه السلام من السادة الأجلاء الأتقياء، اعتق عدداً كبيراً من العبيد في سبيل الله، وكتب بخط يده نسخاً متعددة من القرآن الكريم ويروى أنه لما سمع خبر استشهاد أخيه ثامن الأئمة عليه السلام خرج من بغداد ليطالب بدمه، وكان يصحب ثلاثة آلاف من العبيد والمريدين، وثلاثة آلاف من الأهل والسادة فسار الشريف بهذه الحملة حتى أصبح قريباً من قم، دون أن يتعرض لأية مقاومة غير أن أزرق الشامي والي قم تصدى له في خارج المدينة، وقتل أثناء ذلك عدداً كبيراً من مرافقيه، فانصرف بعد ذلك عن الذهاب إلى قم، وتوجه عن طريق الري إلى خراسان، ومن ثم توفي على أثر مرض كان قد اعتراه في الطريق.

قال المفيد في الإرشاد: (كان أحمد بن موسى كريماً جليلاً ورعاً، وكان أبو الحسن موسى يحبه ويقدمه وهب له ضيعته المعروفة باليسيرة، ويقال أن أحمد بن موسى أعتق ألف مملوك...) إلخ.

قال السيد الأمين: (جعله الإمام من جملة أوصيائه في الظاهر)، يقول إسماعيل أحد أولاد الإمام الكاظم عليه السلام:

وقد هم المستعين باغتيال الإمام وأمر سعيد الحاجب بحمله إلى الكوفة وأن يحدث عليه في الطريق حادثة فانتشر الخبر بذلك في الشيعة فأقلقهم وكان ذلك بعد مضي أبي الحسن عليه السلام بأقل من خمس سنين. ولكنه خلع بعد ثلاث من هذا الحكم.

وقد روى عنه جمع كثير ممن يأمنون الرقابة العباسية آنذاك.

فقد جاء في أنساب السمعاني: (أن أبا محمد أحمد ابن الطوسي البلاذري الحافظ الواعظ كتب بمكة عن إمام أهل البيت أبي محمد الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام).

وقد جمع الخيري رسائل الإمام العسكري عليه السلام في كتاب سماه (مكاتبات الرجال عن العسكريين).

تفسير العسكري عليه السلام:

في البحار (إنه من الكتب المعروفة واعتمد عليه الصدوق وأخذ منه).

ورواه الصدوق عن محمد بن القاسم المفسر الاسترآبادي الخطيب عن أبي يعقوب يوسف بن محمد بن زياد وأبي الحسن علي بن محمد بن سيار.

قال ابن شهر آشوب (خرج من عند العسكري في سنة ٢٥٥ هـ كتاب ترجمة رسالة المنقبة تشمل على أكثر علم الحلال والحرام، وأوله أخبرني علي بن موسى).

ومن كلماته القصار عليه السلام:

١ ـ لا تمار فيذهب بهاؤك ولا تمازح فيتجرأ عليك.

٢ ـ من الجهل الضحك من غير عجب.

٣ ـ أقل الناس راحة الحقود.

٤ ـ أورع الناس من وقف عند الشبهة.

٥ ـ من يزرع خيراً يحصد غبطة.

٦ ـ ومن يرزع شراً يحصد ندامة.

٧ ـ قلب الأحمق في فمه وفم الحكيم في قلبه.

٨ ـ ما ترك الحق عزيز إلا ذل ولا أخذ به ذليل إلا عز.

٩ ـ خصلتان ليس فوقهما شيء الإيمان بالله ونفع الإخوان.

١٠ ـ جرأة الولد على والده في صغره تدعو العقوق في كبره.

١١ ـ رياضة الجاهل ورد المعتاد عن عادته كالمعجز.

١٢ ـ التواضع نعمة لا يحسد عليها.

١٣ ـ لا تكرم الرجل بما تشق عليه.

١٤ ـ ما أقبح المؤمن أن تكون له رغبة تذله.

١٥ ـ احذر كل ذكي ساكن الطرف.

١٦ ـ أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته.

١٧ ـ حسن الصورة جمال ظاهر وحسن الفعل جمال باطن.

١٨ ـ من لم يتقِ وجوه الناس لم يتقِ الله.

١٩ ـ من أكثر المنام رأى الأحلام.

٢٠ ـ جعلت الخيانة في بيت وجعل مفتاحه الكذب.

٢١ ـ من كان الورع سجيته والإفضال حليته انتصر على أعدائه بحسن الثناء عليه.

٢٢ ـ لا يعرف النعمة إلا الشاكر.

٢٣ ـ من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه.

٢٤ ـ أولى الناس بالمحبة منهم من أمّلوه.

٢٥ ـ من مدح غير المستحق لقد قام مقام المتهم.

٢٦ ـ إن الإلحاح في المطالب يسلب البهاء ويورث التعب والعناء.

خـالـديـن... تمـت (كـذا) هـذا البـاب لمشهـد الإمـام المقـدس سيـد عبـد العظيم عليه السلام سنة ثمان وأربعين وثمان مائة، والعام سنة ٨٤٨ هـ يعتبر في حكومة السلطان شاهرخ الذي حكم (٨٠٧ ـ ٨٥٠) هـ.

أما الضريح الفضي الذي يقوم فوق القبر فقد قدمه الشاه القاجاري فتح علي كهدية للحرم، كما أهدى أيضاً في عام ١٢١٩ هـ المرايا المنصوبة في أعلى الإيوان وجوانب الأروقة.

وأما التذهيب فقد تم سنة ١٢٧٠ هـ بأمر المرك ناصر الدين شاه وظهر في بعض الحفريات حول المرقد كتابة كوفية يقرأ منها ما يأتي:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم أمر بناء هذه القبة المطهرة على ساكنها السلام صاحب... سيد شمس الدين مجد الملك مشيد الدولة أبو الفضل أسعد بن محمد بن موسى، ثقة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وكيل مظالم على يدي عبداً... إلى رحمة الله زرينكفش إلى الفوا...).

وهـذا السيـد هـو مجـد الملـك أسعـد بـراوستـاني القمـي ويعـرف بـالسيـد شمـس الـديـن مشيـد الـدولـة أبـو الفضـل أسعـد بـن محمـد بـن مـوسـى، ثقـة أميـر المؤمنين وكيل المظالم وكان من سادات قم المدينة المعروفة بالتشيع في العصر السلجوقي، وله آثار كثيرة منها هذه وقد أدرج في البناء اليوم كتابة مفادها (إن جهود المتخصصين أسفرت عن أن العمارة الأولى لهذه الروضة المطهرة كانت في النصف الثاني من القرن الثالث بواسطة محمد بن زيد الداعي العلوي، والبوابة صنعت بأمر الملوك البويهيين ثم باهتمام مجد الملك القمي وزير بركيارق فيما بين ٤٨٠ ـ ٤٩٠ هجرية).

وفي هذه البلدة من مشاهد العلماء والسادات كثير منها:

١ ـ مقبرة الشيخ جمال الدين أبي الفتوح الخزاعي في صحن حمزة عليه السلام.

٢ ـ مقبرة الصدوق المتوفى ٣٨٠ هـ على بعد ميلين.

٣ ـ مقبرة الشيخ يعقوب بن إسحق الكليني ـ والد الشيخ الكليني ـ بعد ٧ كم في قرية فشا فويه.

٢٧ ـ إن للسخاء مقداراً فإن زاد عليه فهو سرف وللحزم مقداراً فإن زاد عليه فهو بخل وللشجاعة مقداراً فإن زاد عليه فهو تهور.

وفاته عليه السلام:

قال المفيد (مرض أبو محمد عليه السلام في أول شهر ربيع الأول وتوفي في الثامن منه) وفي الكافي رواية مفصلة عن أحمد بن عبد الله بن خاقان وهو عامل السلطان أنه ذكر في مجلسه سنة ٢٧٨ هـ خبر وفاة الإمام عليه السلام وقال: (ولقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفاة الحسن بن علي ما تعجب منه ما ظننت أنه يكون وذلك أنه لما اعتل الحسن بعث إلى أبي أن ابن الرضا قد اعتل فركب من ساعته إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً مع جماعة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، وأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف حاله وبعث إلى نفر المتطببين فأمرهم بالاختلاف إليه وبعهده صباحاً ومساءً فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف فركب حتى بكر إليه وأمر المتطببين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة وأمره أن يختار عشرة ممن يوثق بدينه وورعه وأمانته فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتى توفي فلما ذاع خبر وفاته صاحت سر من رأى صيحة واحدة مات ابن الرضا ثم أخذوا في تجهيزه وعطلت الأسواق وركب بنو هاشم والقواد والكتاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبهاً بالقيامة فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه فلما وضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين.

وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه وحضره من خدم أمير المؤمنين فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلانة ثم غطى وجهه وصلّى عليه وكبر خمسة وأمر عجلة فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه عليه السلام).

قال: قال الرضا عليه السلام ثمانية أشياء لا تكون إلا بقضاء الله وقدره: النوم واليقظة، والقوة والضعف، والصحة والمرض، والموت والحياة.

ثبتنا الله بالقول الثابت من موالاة محمد وآله، وصلّى الله على سيدنا رسوله محمد وآله أجمعين، انتهت الرسالة.

من تاريخ المزار:

يعتبر تاريخ تجديد مزاره في العهد السلجوقي على ما يقوله القاضي نور الله الشوشتري: أول من جدد هو مسجد الملك أبو الفضل أسعد بن محمد بن موسى الرادستاني القمي وزير السلطان السلجوقي بركيارق بن ملكشاه بن الب أرسلان فقد كان هذا الوزير قد جدد عدة مزارات أهل البيت راجع (مجالس المؤمنين ٢/ ٤٦٠).

وتوالت العناية من مختلف الزوار حتى العهد الصفوي فقام الشاه طهماسب في سنة ٩٤٤ هـ بتوسعة البناء والتعمير.

ويوجد على القبر صندوق عتيق مؤرخ سنة ٧٢٥ هـ عليه آيات قرآنية ومنها هذا النص:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم أمر بترتيب هذه التربة الشريفة والروضة المنيفة، والمشهد المقدس والمرقد المنور السيد الأعظم الأجل المعظم جلال آل طه ويس حبل الله في الأرضين، سراج الملة والدين عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، بإشارة المولى الصاحب الأعظم ومفتخر الحاج الحرمين دستور العهد خواجة نجم الحق والدين محمد بن المولى الصاحب الأعظم سلطان منصور الفومدي أعز الله أنصاره وطاب مثوى آياته العظام وأجداده الكرام، تحريراً في سنة خمس وعشرين وسبعمائة) والخواجة المذكور كان وزير المغول في (٧١٦ ـ ٧٣٦) هـ.

ويوجد باب عتيق كتب عليه ما نصه:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم: وبه نستعين سلام عليكم طبتم فادخلوها

قال الصدوق: (كان في ليلة وفاته قد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة لم يحضره في ذلك الوقت الاصقيل الجارية و...

وصلّى صلاة الصبح على فراشه وأخذ القدح ليشرب فأقبل القدح يضرب ثناياه ويده ترتعد فأخذت صقيل القدح من يده ومضى من ساعته عليه السلام.

وروى أنه عليه السلام مضى مسموماً سمه المعتمد.

الإمام المهدي عليه السلام:

محمد بن الحسن العسكري المهدي ولد ليلة الجمعة ١٥/ شعبان/ ٢٥٥ هـ قال ابن حجر في الصواعق (عمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الكلمة وسمي القائم المنتظر، قيل لأنه ستر بالمدينة (سامراء) وغاب فلم يعرف أين ذهب ومر في الآية الثانية عشرة قول الرافضة فيه أنه المهدي) انتهى.

والمستند في هذا الاعتقاد هو النص الصحيح - وعلى الأقل من وجهة نظر المعتقد بها - والاعتقاد بحياته عليه السلام إنما هو امتداد للاعتقاد بقدرة الله تعالى الذي هو على كل شيء قدير والنصوص في ذلك كثيرة منها:

رواية الكليني بإسناده عن جماعة منهم محمد بن عثمان العمري، قالوا: عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي ابنه عليه السلام ونحن في منزله وكنا أربعين رجلاً فقال: هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا بعدي فتهلكوا في أديانكم أما إنكم لا ترونه بعد يومكم هذا فما مضت إلا أيام قلائل حتى مضى أبو محمد عليه السلام.

وذكر السيد الأمين: جماعة ممن رآه في الغيبة وذكر كثيراً من البلدان في أعيان الشيعة (٤/ ٤٦٨).

وأما من رآه ولم يعرفه إلا بعد المفارقة فقد استقصى أحوالهم كل من اليزدي الحائري في إلزام الناصب والنوري في كتابه جنة المأوى وغيرهم في

علي بن محمد عليه السلام بسر من رأى فسألته عن أشياء من الحلال والحرام فأجابني فيها، فلما ودعته قال لي: يا حماد إذا أشكل عليك شيء من أمر دينك بناحيتك فسل عنه عبد العظيم بن عبد الله الحسني، واقرأه مني السلام.

روى علي بن الحسين السعد آبادي عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي قال: حدثني عبد العظيم الحسني في خبر طويل يقول: إن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، وليس بجسم ولا صورة، خالق الأعراض والجواهر.

عبيد الله بن موسى الروياني، عن عبد العظيم، عن ابراهيم بن أبي محمود، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في الحديث الذي يروي الناس بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا؟ فقال: لعن الله المحرفين الكلم عن مواضعه، والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك إنما قال إن الله عز وجل ينزل ملكاً إلى السماء الدنيا ليلة الجمعة فينادي هل من سائل فأُعطيه؟ وذكر الحديث وبهذا الإسناد عن الرضا عليه السلام في قوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة قال: مشرقة منتظرة ثواب ربها عز وجل.

روى علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن موسى الرضا عليهم السلام قال: خرج أبو حنيفة من عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فاستقبله موسى عليه السلام فقال: يا غلام ممن المعصية؟ فقال: لا تخلو من ثلاثة:

إما أن تكون من الله عز وجل وليس منه، فلا ينبغي للكريم أن يعذب عبده بما لم يكتسبه.

وإما أن تكون من الله ومن العبد، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف.

وإما أن تكون من العبد وهي منه، فإن عاقبه فبذنبه، وإن عفا عنه فبكرمه وجوده.

وروى عبد الله بن موسى، عن عبد العظيم، عن إبراهيم بن أبي محمود،

هو أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه وعلى آبائه السلام ذو ورع ودين عابد معروف بالأمانة وصدق اللهجة عالم بأمور الدين قائل بالتوحيد والعدل كثير الحديث والرواية.

يروي عن أبي جعفر محمد بن علي بن موسى وعن ابنه أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام، ولهما إليه رسائل ويروى عن جماعة من أصحاب موسى بن جعفر وعلي بن موسى عليهما السلام، وله كتاب يسميه: «كتاب يوم وليلة» وكتب ترجمتها روايات عبد العظيم بن عبد الله الحسني.

وقد روى عنه من رجالات الشيعة خلق: كأحمد بن أبي عبد الله البرقي ـ أحمد بن محمد بن خالد ـ وأبو تراب الروياني، وخاف من السلطان فطاف البلدان على أنه فيج، ثم ورد الري وسكن بسربان في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي، وكان يعبد الله عز وجل في ذلك السربان يصوم النهار ويقوم الليل، ويخرج مستتراً فيزور القبر الذي يقابل الآن قبره وبينهما الطريق ويقول: هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام، وكان يقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من الشيعة حتى عرفه أكثرهم فرأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن رجلاً من ولدي يحمل غداً من سكة الموالى ليدفن عند شجرة التفاح في بستان عبد الجبار بن عبد الوهاب فذهب الرجل يشتري الشجرة، وكان صاحب البستان رأى أيضاً رؤيا في ذلك، فجعل موضع الشجرة والبستان وقفاً على أهل الشرف والتشيع يدفنون فيه، فمرض عبد العظيم ـ رحمة الله عليه ـ ومات، فحمل في ذلك اليوم إلى حيث المشهد.

فضل زيارته:

دخل بعض أهل الري على أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام فقال: أين كنت؟ فقال: زرت الحسين صلوات الله عليه فقال: أما إنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين صلوات الله عليه.

روى أبو تراب الروياني قال: سمعت أبا حماد الرازي يقول: دخلت على

غيرها، وقد أنكر المخالفون ذلك حتى اعتبره البعض من اليوتيبيه في حين أن أشباه ذلك واقع في التاريخ بنص القرآن فقد قال تعالى في نوح النبي ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ العنكبوت/ ١٤، وعن أصحاب الكهف ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ الكهف/ ٢٥، وليس حال المهدي أكثر من حال النبي عيسى الذي قال الله فيه ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ النساء/ ١٥٧، وكذا الخضر النبي واليأس فإنهم أحياء بقدرة الله الذي أوجد الأشياء من العدم، (والغريب) أن التعصب الأعمى قد يعمي البصر والبصيرة، قال ابن حجر في الصواعق ص ١٦٦ (ثم إن المقرر في الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته فكيف ساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين وإنه أوتي الحكم صبياً) وغريب أن يوجه هذا الانتقاد الشديد والاتهام ويغفل عن قوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ مريم/ ١٢.

ويبدو من الضروري التلميح إلى أمر المهدوية في الإسلام.

من تاريخ المهدوية:

المهدي والمسيح لفظان بمعنى واحد فالمسيح اسم مفعول أي الذي مسحه للهداية والمهدي اسم مفعول أي الذي هدى ولا أظن لفظة استمر استعمالها جيلاً بعد جيل كلفظة المهدي، روي عن النبي في الإصابة ١٢١٣، وأسد الغابة (٤ ـ ٣١). (وان تؤمروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الصراط المستقيم).

ووصف قائد حركة التوابين سليمان بن صرد الإمام الحسين عليه السلام بالمهدي ابن المهدي، والمختار الثقفي وصف ابن الحنفية بالمهدي وعمر بن عبد العزيز وصف بالمهدي وعن الإمام الصادق: كلنا مهديون نهدي إلى الحق لما سئل أأنت المهدي من آل البيت؟.

والمهم أنه ليس الاعتقاد بظهور مخلص مقصوراً على الشيعة أو غير الشيعة من المسلمين إذ أنه اعتقاد شائع في كثير من الديانات الشرقية فلقد بشر أنبياء بني إسرائيل بظهور محرر مخلص يبعثه الله ليخلص البشر من الظلم والاستبداد.

وانصف مؤلف نظرية الإمامة قائلاً: (ولا ينفرد الشيعة الإثنا عشرية بمثل عقيدتهم في المهدي إذ يشاركهم المسلمون إن نص عليها القرآن ولم تدع صحة لمرتاب، بل إن أهل الديانات الأخرى يشاركونهم في مثل هذه العقائد فالمسيحيون فضلاً عن المسلمين يعتقدون أن المسيح حي في السماء وأما اليهود فيعتقدون أن الياهو (الياس) دعا الناس إلى التوراة ثم غاب خمسمائة عام ثم ظهر ودعا إليها ثم غاب ولا يزال حياً وقد تجاوز عمره ثلاثة آلاف عاماً...).

ومن هنا نعرف الغرابة في كلام أحمد أمين المصري الذي يرى أن المهدوية من اليهودية مستنداً إلى (عدم ورود هذا اللفظ فضلاً عن العقيدة في القرآن) ضحى الإسلام ٣/ ٢٣٥ في حين أن مادة الهداية في القرآن كثيرة جداً.

صحيح أن لفظ (المهدي) لم يرد في القرآن وهل إلى هذا الحد وصل فهم أحمد أمين بأن لا يؤمن بشيء إلا أن يرد في القرآن بلفظه وما أكثر المفاهيم التي يختلف تعبير القرآن فيها عن تعابير عصرنا.

وقد عرفت أن المهدوية والإصلاح بمعنى واحد وكم وردت مادة الإصلاح في القرآن ﴿إن أُريد إلاّ الإصلاح، وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾.

وأما عقيدة المهدوية فليس في نص القرآن وإنما هي من السنة المطهرة، فهل يصح أن تنكر ما ليس في القرآن من سنة النبي لمجرد أنها ليست فيه وإن صحت رواية عن النبي ﷺ وعلى الأقل في نظر المعتقد مع أن الزيدية تعتقد المهدوية والإمامة شيئاً واحداً فالإمام هو المهدي والإمام هو القاضي الشجاع العالم الزاهد الخارج بالسيف، يدعو إلى الحق ولا يزال التاريخ يحتفظ بالحركات المهدوية التي قامت مستندة إلى هذه العقيدة وهذه السلسلة المترابطة من السنة النبوية.

المهدي في السنة:

على ضوء ما تقدم عرفنا أن الاعتقاد بالمهدي المصلح إنما هو اعتقاد نابع مما روي في السنة المطهرة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين، لذلك ترى

بالبلدان على أنه فيج أي رسول.

ثم ورد الري وسكن برستاق دار رجل من الشيعة في سكة الموالى وكان يعبد الله في ذلك السرب يصوم نهاره ويقيم ليله وكان يخرج مستتراً يزور قبراً ويقول: هو رجل من ولد موسى بن جعفر عليه السلام فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب ويقع خبره إلى أفراد الشيعة حتى عرفه أكثرهم، فرأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله ﷺ قال له: إن رجلاً من ولدي يحمل في سكة الموالي ويدفن عند شجرة التفاح في بستان عبد الجبار بن عبد الوهاب، وأشار إلى المكان فذهب الرجل ليشتري الشجرة ومكانها من صاحبها فقال: لأي شيء يطلب الشجرة ومكانها فأخبره بالرؤيا فذكر صاحب الشجرة أنه رأى مثل هذه الرؤيا، وأنه جعل البستان وقفاً على الشريف والشيعة يدفنون فيه فمرض عبد العظيم ومات (ره) فلما جرد عن ثيابه على المغتسل وجدت ورقة في ثيابه مكتوب فيها ما نصه:

أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

والإمام عليه السلام كان يوصي بزيارته إذ دخل عليه بعض الشيعة من أهل الري فقال عليه السلام: أين كنت؟ قال: زرت الحسين عليه السلام فقال: أما إنك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين عليه السلام لذلك تعظم الشيعة حتى اليوم مزاره لأنه رمز التضحية والعمل الإسلامي الهادف.

وللصاحب بن عباد المتوفى ٣٨٥ هـ رسالة في أحوال عبد العظيم الحسني أوردها المحدث النوري نقلاً عن نسخة بخط بعض بني بويه بتاريخ سنة ٥١٦ هـ في كتابه خاتمة المستدرك ٣/ ٦١٤ ننقلها هنا تتميماً للفائدة:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

سألت عن نسب عبد العظيم الحسني المدفون بالشجرة، صاحب المشهد ـ قدس الله روحه ـ وحاله واعتقاده، وقدر علمه وزهده، وأنا ذاكر ذلك على اختصار وبالله التوفيق:

امورٌ دينك بناحيتك «أي في بلدة الري» فسل عنه عبد العظيم بن عبد الله الحسني واقرأه مني السلام).

قال المحقق الداماد (إن الروايات في فضل زيارة عبد العظيم متضافرة).

وروي أن من زار قبره وجبت له الجنة، وهذا الخبر رواه أيضاً الشهيد في حواشي الخلاصة.

قال المحدث القمي:

(علو مقامه وجلالة شأنه أظهر من الشمس فإنه من سلالة خاتم النبيين وهو من أكابر المحدثين وأعاظم العلماء والزهاد والعباد وذوي الورع والتقوى وهو من أصحاب الجواد والهادي وكان متوسلاً بهما أقصى درجات التوسل ومنقطعاً إليهما غاية الانقطاع).

وكان من شدة ورعه أن عرض دينه على الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام قائلاً: (إني أقول أن الله واحد ـ إلى أن قال ـ إن الفرائض بعد الولاية الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عليه السلام: «هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة).

رواه الصدوق مفصلاً في صفات الشيعة والتوحيد ص ٤٦ والمجالس ٢٠٤ والإكمال ٢١٤ ومن وصايا الإمام الرضا عليه السلام له:

(يا عبد العظيم ابلغ عني أوليائي السلام وقل لهم أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلاً ومرهم بالصدق في الحديث وأداء الأمانة، ومرهم بالسكوت وترك الجدال فيما لا يعنيهم وإقبال بعضهم على بعض والمزاورة فإن ذلك قربة إليَّ ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضاً، فإني آليت على نفسي أنه من فعل ذلك وأسخط ولياً من أوليائي دعوت الله ليعذبه في الدنيا أشد العذاب وكان في الآخرة من الخاسرين).

وكان قائماً بالدعوة إلى الحق في البلاد الإسلامية ولما خاف السلطان طاف

هذا الاعتقاد سائداً بين علماء الطائفتين معاً السنة والشيعة ـ على حد سواء ـ ونكتفي بهذا الصدد ببيان بعض الكتب في الموضوع وإضمامة من الروايات لعل طالب التفصيل يرجع إليها.

فقد ألف من علماء السنة في إثبات المهدي:

البيان في اخبار صاحب الزمان للكنجي، والعرف الوردي في اخبار المهدي للسيوطي، والقول المختصر في علامات المهدي المنتظر لابن حجر العسقلاني، وعقد الدرر في اخبار المنتظر ليوسف بن علي الدمشقي، وفي الفتوحات المكية لابن العربي ٣ ـ ٢٦٥ (واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلىء الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسطاً وعدلاً ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي ذلك الخليفة وهو من عترة رسول الله من ولد فاطمة عليها السلام، جده الحسين بن علي بن أبي طالب ووالده الحسن العسكري ابن الإمام التقي واسمه اسم رسول الله يبايعه المسلمون بين الركن والمقام شبيه رسول الله في الخلق).

وروى ابن حجر في الصواعق/ ١٦٠ جملة منها وقال: (ومن ذلك ما أخرجه مسلم وداود والنسائي وابن ماجة والبيهقي وآخرون: المهدي من عترتي من ولد فاطمة، وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة:

(لو لم يبقَ من الدهر إلا يوم ليبعث الله فيه رجلاً من عترتي ـ وفي رواية رجلاً من أهل بيتي ـ يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً).

وفي رواية لما عدى الأخير، لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي...

وجاء في الهامش ص ١٦٣ (أحاديث المهدي كثيرة متواترة ألف فيها كثير من الحفاظ منهم أبو نعيم وقد جمع السيوطي ما ذكره أبو نعيم وزاد عليه في العرف الوردي في اخبار المهدي، ولابن حجر أيضاً كتاب المختصر في علامة المهدي المنتظر، بالإضافة إلى ما ذكره العلماء استطراداً في كتبهم في السنة النبوية.

فإن للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني صاحب الحلية كتاباً اسمه (ذكر بعث المهدي) أورد فيه خبره. . .

وفي سنن أبي داود (كتاب المهدي) والترمذي في أبواب الفتن وابن ماجة في باب خروج المهدي.

ثم إن نصوص الأحاديث كثيرة ومفادها أن المهدي من أهل البيت وإنه من ولد الحسين وإنه من ولد فاطمة وذكر السيد محسن الأمين قائمة بأسماء علماء قالوا بوجود المهدي مع تراجمهم منهم:

١ ـ أبو سالم كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد الشافعي في مطالب السؤول.

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في البيان.

٣ ـ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المالكي في الفصول المهمة.

٤ ـ شمس الدين أبو المظفر يوسف غزاوغلي سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص.

٥ ـ الشيخ محي الدين أبو عبد الله محمد ابن العربي في الفتوحات المكية ص ٤٤٢.

٦ ـ نور الدين عبد الرحمٰن أحمد الجامي في شواهد النبوة.

٧ ـ الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني المصري المشهور في اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.

٨ ـ السيد جمال الدين عطاء الله بن فضل الله المحدث في روضة الأحباب.

٩ ـ الحافظ محمد بن محمد البخاري المعروف بخادم پارسا الحنفي في فصل الخطاب.

١٠ ـ العارف عبد الرحمٰن من مشايخ الصوفية في مرآة الأسرار.

وتستر ويظهر أن الذي أوجب اللبس أن حمزة له ولد اسمه أيضاً حمزة واحدهما في الري والآخر في اصطخر شيراز والاختلاف في محل دفنهما، قال في عمدة الطالب (حمزة بن الإمام موسى المكنى بأبي القاسم مدفون في اصطخر شيراز وله ثلاثة أولاد: علي وهو بلا عقب والقاسم وحمزة) وجاء في تاريخ قم ما نصه:

إن حمزة بن موسى مدفون في قم في محلة (شاه زاده حمزة) وبقعته واسعة وعليه قبة أمام مرقده صحن. . . وفي سنة ١٣١٦ هـ جاء الميرزا على أصغر خان أتابك أعظم وعمر صحنه بأحسن عمارة كما عمر في شكل عالٍ مرتفع.

وفي المراقد ١/ ٢٦٢ (مرقده في الري بارز معنون متصل برواق مرقد السيد عبد العظيم الحسني جنوباً، عليه قبة شاهقة البناء سميكة الدعائم وله ضريح وشباك ثمين). وقال: (ولا يخفى أنه يؤثر لحمزة بن الإمام موسى بن جعفر مراقد في مدن متعددة منها ما مر عليك في الري وهو أشهرها ورواداً، ومنها في قم عامر مشيد قديم البناء عليه قبة بديعة الصنع، ومنها في ميدان شيراز أيضاً عامر مجلل ومنها في كرمان وهو أضعف الأقوال).

وقال في ص ٢٦٧ (كان من العلماء والأجلاء والفقهاء الورعين، وكان يقول بإمامة أخيه علي بن موسى الرضا وفي خدمته ملبياً لامتثال أوامره ومن أصحابه عليه السلام كان يتولى خدمة أخيه في السفر والحضر).

وفي بعض الأحاديث أن عبد العظيم كان يخرج عند إقامته بالري متستراً يزور قبراً يقول: إنه قبر رجل من ولد موسى بن جعفر.

قال المحدث القمي:

(ونجد هناك في عصرنا قبراً ينسب إلى حمزة بن الإمام موسى والظاهر انه القبر الذي كان يزوره عبد العظيم وينبغي زيارته أيضاً).

ويكفي في عظمة عبد العظيم عليه السلام ما ورد عن الأئمة عليهم السلام فيه:

قال الإمام الهادي عليه السلام لحماد: (يا حماد إذا أشكل عليك شيء من

صاحب المزار:

الري هي المدينة التاريخية التي استولى عليها المسلمون في ٢٣ هـ وكان لسعد بن أبي وقاص دور بارز في أحداثها وكانت مطمحاً لأنظار الولاة من بعده ولهذا السبب أقدم عمر بن سعد المذكور على قتل الامام الحسين عليه السلام، وقال قولته المحكية:

أأترك ملك الري والري منيتي أم أرجع مذموماً بقتل حسين

وقد نزل السيد عبد العظيم الحسني المكنى ـ قافة ـ هذه المدينة عام ٢٠٠ هـ لغرض نشر الفكر الإسلامي واستمر في دعوته بكل صلابة، حتى وافته المنية ولم يعرف تاريخ وفاته بالضبط، ويمكننا أن نستنتج من مهاجرته في خلافة المعتز بالله المتوفى ٢٥٥ هـ ان وفاته في هذه الحدود.

السيد حمزة بن الإمام الكاظم عليه السلام:

كان من الأسباب الداعية لأن ينزل السيد عبد العظيم مدينة ري زيارة قبر حمزة بن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

وهذا المعنى موجود في زيارة السيد عبد العظيم بما لفظه:

(يا زائراً قبر خير رجل من ولد موسى بن جعفر) وعلى بعض الروايات كان السيد حمزة (ره) قد سافر مع أخيه الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان وكان قائماً بخدمته في الطريق ساعياً في ماربه طالباً الرضا وممتثلاً لأوامره، خرج عليه قوم من أتباع المأمون فقتلوه وقبره في بستان، وفي مرقده خلاف بين الري وسبزوار

١١ ـ أبو محمد أحمد بن إبراهيم البلاذري في الحديث المسلسل.

١٢ ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن الخشاب في تواريخ مواليد الأئمة. ولمؤلف كتاب نظرية الإمامة كلمة وافية نكتفي بها: (لقد شارك في الاعتقاد بالمهدية من أهل السنة من هو أحق بحكم عدائه التقليدي للشيعة أن يستنكر عقيدة المهدي استنكاره عقائد الشيعة أعني المذهب السلفي ولكن ابن تيمية يعتقد بصحة الحديث الذي رواه ابن عمر (يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته ككنيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وذلك هو المهدي)، وقول النبي صلى الله عليه وآله: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» كما يرى ابن تيمية أن أحاديث المهدي صحيحة مستنداً إلى مسند أحمد وصحيح الترمذي وابن أبي داود.

روايات الشيعة:

وكذلك رويت أحاديث كثيرة من طرق الشيعة وإن كانت أقل بالنسبة إلى ما تحتويه كتب العامة.

وقد كان هذا الاعتقاد موجوداً في تاريخ الشيعة منذ القدم حتى جاء على لسان شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي حيث قال:

فلولا الذي أرخوه في اليوم أو غد لقطع قلبي اثرهم حسرات
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم اللّه والبركات
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

قال الطبرسي في أعلام الورى: (وإذا كانت أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجة بل زمان أبيه وجده حتى تعلقت الكيسانية بها في إمامة ابن الحنفية والناووسية وغيرهم قبل الصادق والكاظم عليهما السلام وخلدها المحدثون من الشيعة في أصولهم المؤلفة في أيام السيدين الباقر والصادق، وأثروها عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد، صح بذلك القول في إمامة صاحب الزمان لوجود هذه الصلة له والغيبة المذكورة في دلائله) اهـ.

وممن أورد نصوص أحاديث الغيبة النعماني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم والصدوق محمد بن علي بن بابويه في كمال الدين والشيخ الطوسي وإليك بعضاً منها:

روى الصدوق بإسناده عن جابر عن الرسول ﷺ في بيان أولي الأمر بعد الأئمة عليهم السلام واحداً واحداً ثم قال: (ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده، ابن الحسن بن علي ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان.

فقال جابر يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته فقال ﷺ: (أي والذي بعثني بالنبوة إنهم ينتفعون به ويستضيؤن بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب».

وعن النبي ﷺ: «المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً يكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم».

وفي غيبة النعماني عنه ﷺ: «إن القائم الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً من ذريتك من ولد الحسين عليه السلام.

وعن الإمام علي عليه السلام قال للحسين عليه السلام: «التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق المظهر للدين الباسط للعدل».

وعن الإمام الحسن عليه السلام: «ما منا أحد إلا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذي يصلي روح الله عيسى بن مريم خلفه فإن الله يخفي ولادته ويغيب شخصه».

وعن الإمام الحسين عليه السلام: «قائم هذه الأمة هو التاسع من ولدي وهو صاحب الغيبة وهو الذي يقسم ميراثه وهو حي».

وعن الإمام السجاد عليه السلام: «القائم منا يخفي ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ليخرج حتى يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة».

النبي فاطمة بنت مولانا وسيدنا أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمدبن علي بن الحسين... في زمن باسط مهاد الأمن والأمان ماحي الكفر والطغيان، ناشر العدل والإحسان هادي الخلائق إلى أشرف الأديان السلطان بن السلطان أبو المظفر طهماسب بهادر خان خلد الله تعالى ملكه وسلطانه وأفاض على العالمين بره وإحسانه، وأبر ظلال معدلته على مفارق المسلمين إلى يوم الدين كتبه علي الحسيني سنة ٩٥٠ هـ).

وتقدر مساحة ـ المرقد والمرافق ـ ٣٥٢٧ متراً تشمل على مساجد، ومرجع عصره السيد البروجردي بنى المسجد الأعظم، وتوجد من مزارات السادة والأعلام في قم وضواحيها:

١ ـ مرقد علي بن جعفر الصادق عليه السلام.

٢ ـ مرقد السيد موسى المبرقع ابن الإمام محمد الجواد عليه السلام وقد توفي قي ٢٢/ع ٢/ ٢٩٦ هـ وترجمه المحدث النوري في كتاب باسم البدر المشعشع.

٤ ـ مرقد الشيخ علي ابن بابويه الصدوق المتوفى سنة ٣٢٩ هـ.

٥ ـ زكريا بن آدم الأشعري من أصحاب الرضا عليه السلام في (شيخان).

٦ ـ جعفر بن موسى بن قولويه وغيرهم.

٧ ـ علي بن إبراهيم القمي صاحب التفسير.

٨ ـ مسجد جمكران.

وهي قرية تبعد عن قم ٦ كم في طريق كاشان جاء في تاريخ قم تأليف الحسن بن محمد بن الحسن القمي، عن كتاب مؤنس الحزين في معرفة الحق واليقين للشيخ أبي جعفر محمد بن بابويه القمي، عن الشيخ العفيف الحسن بن مثله الجمكراني انه في ليلة الثلاثاء ١٧/ رمضان ٢٩٣ هـ أوقظ من منامه فرأى الإمام الحجة يأمره ببناء المسجد وقال: (إنا سنعلم هناك علامة).

* * *

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «مولود في آخر الزمان هو المهدي من هذه العترة يكون له حيرة وغيبة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها أقوام».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن في القائم عليه السلام سنة من يوسف قلت كأنك تريد حيرة أو غيبة قال لي وما تنكر من هذا إن إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء تاجروا بيوسف وباعوه وخاطبوه وهم اخوته وهم أخوهم، فلم يعرفوه حتى قال لهم أنا يوسف فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله عز وجل في وقت من الأوقات يريد أن يستره».

وفي رواية الإمام الكاظم عليه السلام لما قيل له: أأنت القائم بالحق؟، قال: «أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يظهر الأرض من أعداء الله ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمرها خوفاً على نفسه يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون».

وعن الإمام الرضا عليه السلام لدعبل لما انشأ:

خروج إمام لا محالة قائم يقوم على اسم الله والبركات

وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج يملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

وعن الإمام الجواد عليه السلام: «القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي، والذي بعث محمداً بالنبوة وخصنا بالإمامة أنه لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وعن الإمام الهادي عليه السلام: «الخلف من بعدي ابني الحسن فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف فقلت: لم جعلني الله فداك؟ فقال: لأنكم لا ترون شخصه ولا يحل لكم ذكره باسمه قلت فكيف نذكره؟ قال: قل الحجة من آل محمد».

وفي سنة ٣٥٠ هـ جدد البناء أبو الحسين زيد بن أحمد بن بحر الأصفهاني.

وفي سنة ٤٢٩ هـ جدد البناء أبو الفضل العراقي من رجال العهد السلجوقي وفي سنة ٩٢٥ هـ؛ جدده الشاه إسماعيل الصفوي وفي هذا العهد الصفوي زادت العناية بالمرقد الشريف وتكررت زيارات السلاطين للمرقد كما أوصوا بدفن موتاهم بجوارها ودفن بالفعل من السلاطين:

١ ـ شاه صفي المتوفى/ ١٠٥٢ هـ أول الملوك الصفوية.

٢ ـ شاه عباس الثاني/ ١٠٧٧ هـ.

٣ ـ شاه سليمان/ ١١٠٥ هـ.

٤ ـ شاه سلطان حسين/ ١٢١٥ هـ.

وأمر فتحعلي شاه ثاني ملوك القاجارية بتذهيب القبر والقبة المنورة باب المرقد الشريف وتم سنة ١٢١٣ هـ ولا تزال العناية بالمرقد مستمرة.

مساحة المرقد ٢٠ × ٩٥ ×٢ × ١/٢٠ متراً ويعلوها لوح المرقد وكتابات قرآنية بالخط الكوفي والثلث منها النص التالي:

(أمر بتركيب هذه الكتابة... العبد الضعيف الفقير المحتاج إلى رحمة الله تعالى وغفرانه مظفر بن أحمد بن إسماعيل بن الوزير الشهيد معين الدين أحمد بن فضل بن محمود ابتغاء لمرضاة الله تعالى، وتقرباً إليه وإلى رسوله محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمين الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين، كتبه أبو زيد في الثاني من رجب سنة ٦٠٢ هـ).

ويقرأ في لوح المرقد النص الثاني أيضاً (كتبه وعمله محمد بن أبي طاهر بن أبي الحسين).

ويعلو لوح المزار سياج مكسو بالقاشي المعرق جاء عليه ما نصه:

(اتفقت عمارة هذه الروضة المنورة المقدسة التي شرفتها سمية قرة عين

وعن الإمام العسكري عليه السلام كما في الكافي بسنده عن علي بن بلال، قال: خرج إلي أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام قبل مضيه بسنتين يخبرني بالخلف من بعدك ثم خرج إليَّ من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده.

وأيضاً عن الإمام العسكري عليه السلام قال: «إن الأرض لا تخلو من الحجة على خلقه إلى يوم القيامة» لما سئل من الحجة والإمام بعدك؟ فقال: «ابني محمد وهو الإمام والحجة بعدي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقاتون ثم يخرج فكأني أنظر إلى الأعلام البيض فوق رأسه بنجف الكوفة» ويعتبر أوسع كتب المتأخرين في الموضوع إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب، تأليف الشيخ علي اليزدي الحائري: عندنا منه نسخة مخطوطة ذكرتها في الصيانة وقد طبع بأصبهان سنة ١٣٥١ هـ.

شبهات المخالفين:

هناك شبهات حول عقيدة المهدوية ترجع كلها إلى: استبعاد طول العمر؟ وفائدة الغيبة.

وأما غيرهما من الأسئلة والشبهات فراجعة إليهما وبعضها تستند إلى دعاوى باطلة ليس من عقيدة الشيعة من شيء إن ملخص العقيدة، (وجود محمد بن الحسن العسكري وأنه المهدي الموعود في لسان الله كما وردت به روايات الفريقين، وإن غيبته بإرادة الله الذي على كل شيء قدير) والمسلمون سنة وشيعة يعتقدون بوجود النبي الخضر وحياة النبي عيسى، كل ذلك استناداً إلى قدرة الله ومن التهم الموجهة إلى الشيعة أن المهدي قد اختفى في السرداب وإنه يظهر منها وما انصف ما جاء في خطط الشام (ج ٥ ـ ٢٤٨).

(وأما القول بأنه يخرج من سرداب من سر من رأى فلم يقل به أحد من الشيعة وإن نسبه إليهم من لا يعرف مذهبهم جهلاً بحقيقة الحال).

ودفنها في أرض كانت له وهي الآن روضتها وبنى عليها سقيفة من البواري إلى أن بنت زينب بنت محمد بن علي الجواد عليها قبة، وقال: المحراب الذي كانت فاطمة تصلي فيه موجود إلى الآن في دار موسى ويزوره الناس).

ويقال أن مولدها ١/ ذو القعدة ١٨٣ هجرية وأما وفاتها ١٠/ ربيع الثاني/ ٢٠١ هـ.

كما جاء على لوح المرقد بالخط الكوفي ـ كما في راهنماي قم ـ ما نصه:

(توفيت فاطمة بنت موسى في سنة إحدى ومائتين كتبه وعمله محمد بن طاهر بن أبي الحسن وإن المتبرع للصندوق وهو مظفر بن أحمد بن إسماعيل وصنعه محمد بن طاهر في الثاني من رجب سنة ٦٥٢ هـ).

وقد أشاد الأئمة عليهم السلام بهذه المدينة الشيعية، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا عمت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها فإن البلاء مدفوع عنها».

وقال أيضاً: «إن لله حرماً وهو مكة وإن للرسول حرماً وهو المدينة وأن لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة وأن لنا حرماً وهو ببلدة قم وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنة».

ولذلك ورد التأكيد على زيارتها عليها السلام.

قال الإمام الرضا: «من زارها عارفاً بحقها فله الجنة».

وقال الإمام الجواد: «من زار قبر عمتي بقم فله الجنة».

وفي هذا القيد (عارفاً بحقها) تكمن شروط الزيارة وأثرها في التمسك بالحقائق الإسلامية.

من تاريخ المزار:

جددت بناء قبرها زينب بنت الإمام الجواد عليه السلام في سنة ٢٥٦ هـ حينما جاءت لزيارة عمتها.

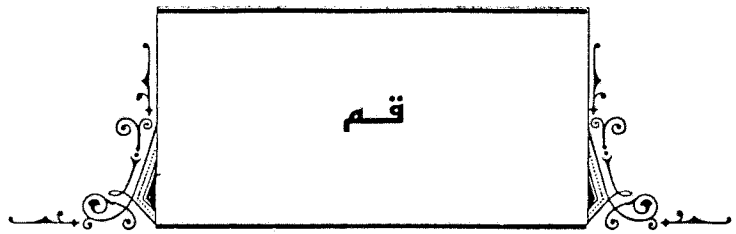

تبعد مدينة قم عن العاصمة ـ طهران ـ ١٥٠ كم وتعتبر المدينة المقدسة الثانية في ايران بعد مشهد الرضا عليه السلام.

كان تأسيس مدينة قم على يد الأشعريين وتوارد الضغط على الشيعة عموماً وشيعة الكوفة خصوصاً وكانت الهجرة في سنة ٨٣ هـ أو سنة ٩٤ هـ.

وبذلك كانوا أول من نشر التشيع في إيران وكانت في قسمين عجمي وعربي ويسمى القسم العجمي بـ (كوميذان) والقسم العربي حتى يومنا هذا ١٣٩٥ هـ يسمى بـ (عربستان) أو حسين آباد.

وقد تمصرت بحلول السيدة المعصومة فيها وهي السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم، ولشدة ورعها وتقاها عرفت بالمعصومة وكانت قد خرجت من المدينة المنورة تقصد مرو للقاء أخيها الإمام الرضا عليه السلام.

وفي تاريخ قم للحسن بن محمد القمي قال: (أخبرنا مشايخ قم عن آبائهم أنه لما أخرج المأمون الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو لولاية العهد سنة ٢٠٠ من الهجرة خرجت فاطمة أُخته تقصده في سنة ٢٠١ فلما وصلت إلى ساوة مرضت فسألت كم بينها وبين قم قالوا عشرة فراسخ، فقالت: احملوني إليها فحملوها إلى قم وأنزلوها في بيت موسى بن الخزرج بن سعد الأشعري، قال: وفي بعض الروايات أنه لما وصل خبرها إلى قم استقبلها أشراف قم وتقدمهم موسى بن الخزرج، فلما وصل إليها أخذ زمام ناقتها إلى منزلها وكانت في داره سبعة عشر يوماً ثم توفيت (رض)، فأمر موسى بتغسيلها وبكفنها وصلّى عليها

ولادة المهدي عليه السلام:

إن الظروف الحرجة التي مرت بالشيعة وكثرة الأعداء والمناوئين دعت الإمام العسكري عليه السلام أن يكتم ميلاد الحجة عن العامة.

قال مؤلف كتاب نظرية الإمامة/٤٠٩ (ولقد أثار معارضوا العقيدة المهدوية بمفهوم الشيعة الشك في ولادة المهدي عليه السلام فاستند ابن تيمية وابن حجر الهيثمي إلى أن جعفر بن علي قد أنكر وجود ولد لأخيه الحسن العسكري، وطالب باستحقاقه ميراث أخيه ورفع الأمر إلى السلطان العباسي وحمله على حبس جواري الحسن العسكري للتأكد من عدم حملهن).

ففي إرشاد المفيد (خلف أبو محمد عليه السلام ابنه المنتظر لدولة الحق وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له واجتهاده في البحث في أمره، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه وعرف من انتظارهم له فلم يظهر ولده في حياته ولا عرفه الجمهور بعد وفاته، وتولى جعفر بن علي أخو أبي محمد أخذ تركته وسعى في حبس جواري أبي محمد واعتقال حلائله وشنع على أصحابه بانتظارهم ولده وقطعهم بوجوده والقول بإمامته وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشردهم وجرى على مخلفي أبي محمد بسبب ذلك كل عظيمة من اعتقال وحبس وتهديد وتصغير واستخفاف وذل ولم يظفر السلطان منهم بطائل...).

قال الشيخ الصدوق: (فلما دفن العسكري) وتفرق الناس اضطرب السلطان وأصحابه في طلب ولده وكثرة التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسم ميراثه، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا فيها الحبل ملازمين لها سنتين وأكثر حتى تبين لهم بطلان الحمل فقسم ميراثه بين أُمه وأخيه جعفر... والسلطان يطلب اثر ولد الحسن بن علي إلى اليوم وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً وشيعته مقيمون على أنه مات وخلف ولداً يقوم مقامه في الإمامة).

قال السيد الأمين في الأعيان ٤ ـ ٣٣٤: وقد تضافرت الروايات على أن

السلطان طلبه وفتش عليه أشد الطلب والتفتيش لما شاع من قول الإمامية فيه وانتظارهم له ولما سبق من آبائه من وصية السابق للاّحق.

. . . والسلطان مع ذلك يفحص عن وجود ولد له (للعسكري) فأخفى الله تعالى أمر ولده المهدي عنهم حفظاً له من شرهم وانقاذاً لما يريده من طول عمره والانتصار به لتمتلىء الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وعن إنكار جعفر الكذاب يقول الشيخ الطوسي في الغيبة:

(قد نطق القرآن بما كان من ولد يعقوب عليه السلام مع أخيهم يوسف عليه السلام وطرحهم في الجب وبيعهم إياه بالثمن البخس وهم أولاد الأنبياء وفي الناس من يقول: كانوا أنبياء فإذا جاز منهم مثل ذلك مع عظم الخطأ فيه فلم لا يجوز مثله من جعفر بن علي مع ابن أخيه أن يفعل معه من الجور طمعاً في الدنيا ونيلها وهل يمنع من ذلك إلا مكابر معاند).

إن اخفاء ولادة صاحب الزمان ليس بخارق للعادة إذ جرى مثال ذلك فيما تقدم من أخبار الملوك. . .

وقد نطق القرآن بقصة إبراهيم عليه السلام وإن أُمه ولدته خفياً وغيبته في المغارة حتى بلغ وكان من أمره ما كان من قضية موسى عليه السلام فإن أُمه ألقته في البحر خوفاً عليه وإشفاقاً من فرعون، نطق بذلك القرآن ومثل ذلك قضية صاحب الزمان سواء، فكيف يقال إن هذا خارج من العادات ومن الناس من يكون له ولد من جارية يتستر به من زوجته برهة من الزمان حتى إذا حضرته الوفاة أقر به، وكم وجدنا من ثبت نسبه بعد موت أبيه في حين أن النسبة لم تكن معروفة حال الحياة لأسباب عائلية.

طول العمر:

هذا هو أساس الشبهات ولكن الكلام فيه كغيره مما أقر الإسلام أن جمهور المسلمين متفقون على حياة أربعة من الأنبياء إثنان منهم في السماء وهما إدريس وعيسى، واثنان في الأرض هما الياس والخضر وهم أكثر عمراً من المهدي

ضواحي مشهد:

١ ـ مقبرة الخواجة ربيع بن خيثم وهو أحد الزهاد الثمانية وهو ثقة عدل من خيار المؤمنين وكبار الصالحين عينه أمير المؤمنين علي عليه السلام والياً على جهة الري ولذلك لم يشهد واقعة صفين صنة ٦٣ هـ.

٢ ـ مرقد الشيخ العارف الشيخ محمد پير پالاندوز المتوفى سنة ٩٨٥ هـ في مشهد.

٣ ـ الخواجة أبو الصلت الهروي/٢٣٦ هـ، اسمه عبد السلام بن صالح ترجمه الشيخ محمد طه نجف قائلاً:

(ثقة صحيح الحديث له كتاب وفاة الرضا عليه السلام ـ إلى أن قال (ره) ـ: الرازي يقول إن أبا الصلت الهروي ثقة مأمون على الحديث إلا أنه يحب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان دينه ومذهبه قلت:

هذه من سهامهم إحداها وعلى هذه فقس ما سواها

انتهى كلامه (ره) راجع إيقان المقال.

* * *

المنتظر. راجع هامش الصواعق/ ٢٢٣ طبعة سنة ١٣٧٥ هـ القاهرة.

ذكر النووي في تهذيب الأسماء أن أكثر العلماء على أن الخضر حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر.

إن المسألة إذن تعود إلى معرفة هل أن عقيدة المهدوية ثابتة بالدليل أم لا، الشيعة قاطبة وجمع كثير من أهل السنة على ذلك استناداً إلى روايات النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام وقد تقدمت الإشارة إليها.

يقول سبحانه: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ العنكبوت/ ١٤.

وقال في أصحاب الكهف: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ الكهف/ ٢٥.

وقال: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية، على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام قال كم لبثت؟ قال لبثت يوماً أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ إن القدرة العليا الخالقة قادرة على تحقيق طول العمر، وأما من الناحية التاريخية فالذين يثبت التاريخ لهم طول العمر كثيرون راجع كتاب المعمرون لأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ طبعة القاهرة عام ١٩٦١ م. وأما ما ألف بعده فكثير جداً راجع الفصول العشرة في الغيبة للشيخ الطوسي وكتب الغيبة الأخرى.

وأما من الناحية العلمية فقد قال الشيخ كاشف الغطاء في كتاب أصل الشيعة وأصولها ص ١١١: (أقر بعض العلماء أنه في الإمكان بقاء الإنسان حياً آلاف السنين إذا لم تتعرض خلاياه وأنسجة جسمه للتلف، فالإنسان لا يموت لكبر سنه أو لبلوغه الثمانين أو التسعين ولكن لأن عوارض طارئة كالجراثيم تنتاب بعض أعضائه وتتلفها، فإن أمكن للعلم إزالة العوارض لم يكن هناك مانع من استمرار الحياة مئات السنين).

وتوالت العناية بالمشهد والمزار خاصة في العهد الصفوي حيث كان السلاطين يزورونه مشياً على الأقدام ومنها سنة ١٠٠٩ هـ كما جاء في كتابة القبة ـ كما ينقلها المحدث القمي ـ ونصها:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم من عظائم توفيقات الله سبحانه أن وفّق السلطان الأعظم مولى ملوك العرب والعجم صاحب النسب الطاهر النبوي، والحسب الباهر العلوي تراب إقدام خدام هذه العتبة المطهرة اللاهوتية، غبار نعال زوار هذه الروضة المنورة الملكوتية مروج آثار أجداده المعصومين السلطان ابن السلطان أبو المظفر شاه عباس الحسيني الموسوي الصفوي بها درخان، فاستسعد بالمجيء ماشياً على قدميه من دار السلطنة أصفهان إلى زيارة هذا الحرم الأشرف وقد تشرف بزينة هذه القبة من خالص ماله في سنة ألف وعشر وتم في سنة ألف وست وعشرة).

ومن الحوادث الأخيرة اعتداء الروس على القبة بالمدافع في ١٠ ربيع الأول ١٣٣٠ هـ وقد ذكر هذا السيد الحسن الصدر (قده) في إجازته الكبيرة للشيخ آغا بزرك الطهراني دام ظله في الحاشية ما نصه: (٣/ب) الحمد لله حمداً لا يقوى على إحصائه إلا هو والصلاة على رسوله وآله صلاة لا يحصها إلا الله، قد أخذ الله بثار الحرم الرضوي من الدولة الروسية في هذه السنة سنة ١٣٣٥ هـ حيث بددها وقتل رجالها وسلطانها وشتت شملها وفرق جمعها، وألقى بأسها بين أهلها حتى تمزقوا عباديد وصاروا طوائف لا جامع لهم بعد أن كانوا أقوى الدول ولا أضعف منهم اليوم تتقاسمهم الدول وهم مع ذلك يقتل بعضهم بعضاً فاعتبروا يا أولى الأبصار من بطش الجبار وكيفية أخذ الثأر، وفي سنة ١٣٣٥ الهجرية والاختلاف فيهم فإنه إلى اليوم وهو آخر ذي القعدة من شهور سنة ١٣٣٩ هـ وقد انتهى بهم الحال إلى ما لم يكن يخطر على قلب بشر ووقوعه من غير مبالغة والحمد لله رب العالمين.

ولا شك أن تاريخ هذه المدينة المقدسة مليء بالحوادث الإصلاحية المركزة حيث كانت ولا تزال مركز الإشعاع الفكري للشيعة ومنبثق صوت العدالة الإسلامية على الآف الزائرين الذين يتوافدون عليها.

(شبهة أُخرى): قال ابن حجر في الصواعق (والشيعة ترى فيه أنه المنتظر القائم المهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان من السرداب بسر من رأى دخله في دار أبيه وأُمه تنظر إليه سنة ٢٦٥ هـ، وعمره حينئذ تسع سنين فلم يعد يخرج إليها، وقيل: دخله وعمره أربع وقيل سبعة عشر، انتهى ملخصاً.

وتعني هذه الشبهة التشكيك في هذا الاعتقاد بعد أن ثبت بالسنة المطهرة النبوية ـ وعلى الأقل في نظر المعتقد بها ـ وملخصها أنه لا فائدة في الغيبة وينبغي أن نكتفي في الجواب بما ورد من السنة عن أهل البيت عليهم السلام:

ففي رواية عن السجاد عليه السلام: «كما ينتفع بالشمس إذا اختفت وراء السحاب» وفي رواية عن الرضا عليه السلام: «لئلا يكون في عنقه بيعة لأحد الحكام إذا قام بالأمر».

وعن الصادق عليه السلام: «لا ينكشف وجه الحكمة في غيبته إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة لموسى حتى خرق صاحبه السفينة وحين قتل الغلام وحين أقام الجدار إلا وقت افتراقهما».

اتهام ظالم:

والنقطة الجديرة بالملاحظة هي أن غيبة الإمام تنافي وجوب الإمامة فإن الغرض من نصب الإمام إنما هو بيان أحكام الإسلام وتنفيذها ومن هنا نشأ اتهام الشيعة باليوتيبية والغيبية البعيدة عن واقع الحياة، ولكنه اتهام ظالم ذلك أن طائفة عاشت برهة طويلة من التاريخ واحتفظت بكيانها ـ رغم المضايقات ـ لا يمكنها أن تعيش بدون نظام أو بنظام غير صالح للتطبيق، حيث طبق فعلاً في هذه الفترة من الزمن (ومن الناحية النظرية) هناك نظرية اللطف القائلة بأن وجوده عليه السلام لطف وتصرفه لطف آخر وغيبته منا، كما تفصله كتب العقائد.

ومن الناحية العملية باشرت المرجعية الدينية (الخاصة والعامة) في القيادة الفكرية أداء دورها العملي وحتى ظهور الحجة عليه السلام.

يحتلها الصحن الجديد و ٧١٥٠ متراً الصحن القديم و ٨٧٩٨ متراً يقوم عليها مسجد گوهرشاد، و ٨٠٠٠ متراً يستقر عليها مبنى وصحن دار المتحف الرضوي.

ويوجد في داخل مقر الضريح كثير من نفائس القاشاني القيمة والمخطوطات الرائعة. وعلى المرقد الطاهر قبة ارتفاعها ٣١ متراً وكان وجه القبة، أي قشرها الخارجي، حتى عام ٩٣٢ هـ مكسواً بالقاشاني، وفي هذا العام أمر الشاه طهماسب بتبديله إلى الذهبي كما أقام منارة مذهبة رائعة، ونصب حول المرقد ضريحاً من الذهب ولكن كل هذا الذهب راح نهباً في غزوات الأزبك على عهد الأمير عبد المؤمن خان الأزبكي، حيث أمر بخلعه وتذويبه للاستفادة منه في مصالح أُخرى.

ومنذ ذلك الحين حتى عام ١٠١٠ هـ باتت متروكة وخربة. وفي هذا العام توجه الشاه عباس الكبير من أصفهان لزيارة الحرم المطهر.

ويقع في الضلع الشرقي في الحرم الصحن الجديد ويبلغ طوله ٨٥ وعرضه ٥٤ متراً، وفي عهد فتح علي شاه القاجاري بوشر بتشييده عام ١٢٣٣ هـ وتم تزيينه بالقاشاني نهائياً عام ١٢٦٠ هـ على عهد محمد شاه، ولهذا الصحن أيضاً ايوان مذهب أقامه فتح علي شاه وأكمل تذهيبه ناصر الدين شاه ويضم الحرم الطاهر مئذنتين تقعان في الصحن العتيق، قاعدة إحداهما في الضلع الجنوبي، وقاعدة الأخرى في الضلع الشمالي من الصحن أقام الأولى الشاه طهماسب الصفوي، وتم تذهيبها على يد نادرشاه.

ووصف الرحالة ابن بطوطة المزار بقوله: «المشهد المكرم عليه قبة عظيمة في داخل زاوية تجاورها مدرسة ومسجد وجميعها مليح البناء، مصنوع الحيطان بالقاشاني وعلى القبر دكانة خشب ملبسة بصفائح الفضة وعليه قناديل فضة معلقة تحته، باب القبة فضة، وعلى بابها حرير مذهب وهي مبسوطة بأنواع البسط وإزاء هذا القبر قبر هارون الرشيد أمير المؤمنين وعليه دكانة يضعون عليها الشمعدانات التي يعرفها أهل المغرب بالحسك والمناثر، وإذا دخل الرافضي بالزيارة ضرب قبر الرشيد برجله وسلم على الرضا عليه السلام.

المرجعية الدينية: وبما أن القيادة الفكرية أمر ضروري في حياة المسلمين ولها مواصفاتها وشروطها المشروحة في الفقه لذلك لم يخل تاريخ الشيعة في أي دور من الأدوار من مرجع ديني يؤدي مهمته الرسالية الدينية حسب الملابسات والظروف ولهذه المرجعية دوران.

الدور الأول: ويعبر عنه بـ(الغيبة الصغرى) من سنة ٢٦٠ هـ إلى ٣٢٩ هـ وكانت المرجعية لأربعة أشخاص يعبر عنهم بـ(السفراء) والنواب كانت لهم نيابة خاصة عن الإمام عليه السلام وكان مركزهم بغداد وهم:

١ ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد الأسدي العمري المتوفى/ ٢٨٠ هـ،

٢ ـ أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد الأسدي المتوفى ٣٠٥ هـ.

٣ ـ أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي المتوفى ٣٢٦ هـ.

٤ ـ أبو الحسن علي بن محمد السمري المتوفى ٣٢٩ هـ.

الغيبة الثانية: ويعبر عنها بـ(الكبرى) وابتدأت بوفاة السفير الرابع السمري ٣٢٩ هـ وانتقلت القيادة الدينية إلى المرجعية في الافتاء والحكم منذ ذلك العهد حتى اليوم، ومما ينبغي الالتفات إليه أن مسألة الإمامة في مفهومها الشيعي يختلف عن مفهومها السني.

فالإمامة في اعتقاد السنة هي منصب سياسي لا يمكن أن يبقى شاغراً ويمكن أن يقوم به كل بر وفاجر، لذلك لا يمكن أن يتقيد بعدد خاص والإمامة في اعتقاد الشيعة منصب إلّهي لا يمكن أن يكون شاغراً أبداً، ولكن قد يجتمع مع المنصب السياسي وقد لا يجتمع وهي ثابتة لأصحابها أقر به الناس أم لا؟ ولا يقوم به سوى البر ولهذا يمكن للإمامة الروحية أن تتحدد بعدد خاص كما روي تحديدها بالفعل عن الرسول صلى الله عليه وآله في إثني عشر خليفة كما في صحيح مسلم وقد سموا هؤلاء الإثني عشر في روايات الشيعة آخرهم محمد بن الحسن العسكري.

روى الصدوق عن السجاد عليه السلام: «في القائم منا سنناً من سنن الأنبياء عليهم السلام سنة من آدم، وسنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة

مزارات أهل البيت عليهم السلام: تقصده الزوار من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، والمهم الوقوف على لمحة تاريخية عن هذه الروضة فإن هذا المكان الذي فيه الضريح الطاهر، كان قبل وفاة الإمام بناء مشيداً يعود إلى حميد بن قحطبة الطائي أحد قواد أبي مسلم الخراساني الذي قتل في إحدى الحروب، وبقي مبناه الرفيع قائماً وعندما توفي هارون الرشيد عام ١٩٣ هـ في خراسان دفنوه في هذا المكان وأقاموا على قبره قبة، سميت فيما بعد بالقبة الهارونية، وحينما توفي الإمام الرضا عليه السلام دفن جثمانة الطاهر كذلك في القبة الهارونية غير أن هذه القبة دُمرت عام ٣٨٠ هـ، على يد الأمير سبكتكين تدميراً كاملاً، وهذا الدمار لم يدم مدة طويلة حيث أن السلطان محمود بن سبكتكين جدد بناء تلك الروضة ثم قام ابنه مسعود بإضافة بعض الأبنية إليها ووضعوا على قبر الإمام ضريحاً مذهباً. ومن الذين ساهموا أيضاً في تجديد بناء قبة الإمام أبو طاهر القمي الوزير الشيعي للسلطان سنجر، حيث دفن من ثم هو الآخر إلى جوار المرقد الطاهر. وانهدم مرة أُخرى أثناء حملات المغول حيث لم يبقَ منه إلا القبة فقط وأُعيد بناؤه هذه المرة بأمر أولجايتو السلطان محمد خدا بنده على النمط الذي يصفه الرحالة المعروف ابن بطوطة بعد أن زار مشهد سنة ٧٣٤ هـ حيث يقول: (وهناك قبة رائعة ضخمة، ومدرسة ومسجد كبير، وكانت أرض هذه المباني وجدرانها تزدان بالقاشاني البديع، وكان يقوم فوق القبر ضريح من الفضة، وكانت الأبواب المفضضة، والقناديل الذهبية والفضية المدلاة من السقوف والستائر الحريرية المسدلة على جوانب المكان، تزيد الوضع أُبهة وجلالاً ومنذ ذلك الحين لم يواجه هذا المرقد خطر، بل كانت تزداد هدايا الزوار والأعيان وعناية الأُمراء والملوك خاصة الصفويين، لا سيما الشاه عباس الكبير، الذي أمر بتذهيب القبة سنة ١٠١٠ هـ، وتم ١٠١٦ هـ.

ويقع مقر الضريح الطاهر حالياً في وسط الأبنية التابعة له والأبنية التي تحيط به عبارة عن صحن الدار القديمة، والجديدة ومسجد گوهرشاد والأروقة، أما مساحة الأراضي التي يقوم عليها مقر الضريح والمباني التي تحيط به فتبلغ مساحتها حوالي ٤٠٠٠٠ متراً مربعاً يقوم على ٥٠٤٠ متراً منها الضريح وأروقته، وعلى ٥٢١١ متراً منها الشرفات المواجهة للشوارع الجانبية، ثم ٤٩٥٠ متراً

من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد ﷺ، فأما من آدم عليه السلام، ومن نوح عليه السلام فطول العمر. وأما من ابراهيم عليه السلام فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأما من موسى عليه السلام فالخوف والغيبة، وأما من عيسى عليه السلام فاختلاف الناس فيه، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأما من محمد ﷺ فالخروج بالسيف».

وعن الصادق عليه السلام: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بد منها يرتاب فيها كل مبطل فقلت له: ولم جعلت فداك.

قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، قلت: فما وجه الحكمة في غيبته قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبة من تقدمه من حجج الله تعالى، وذكر أن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما آتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لموسى عليه السلام إلا وقت افتراقهما.

يا ابن فضل: إن هذا الأمر أمر من الله وسر من سر الله وغيب من غيب الله ومتى علمنا أنه عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة وإن كان وجهها غير منكشف لنا.

والذي يبدو بعد التأمل في الأصل المتقرر عند الشيعة من أن النبوة لا بد وأن تتبعها الإمامة وإنهم إثني عشر وإنه لا فرق بين النبوة والإمامة في القيادة سوى الوحي الفارق بينهما.

إن السبب الذي اقتضى بعثة النبي ﷺ هو بنفسه يقتضي وجود الإمام وهو (اللطف) من الله على العباد بوجود الحجة على الأرض.

فإن على الله سبحانه أن يوجد ما به صلاح عموم العباد وحياتهم كالهواء والماء والليل والنهار، إذ لولاها لهلك الناس ولم يتمكنوا من الحياة وكذلك الحجة على الخلق كالعقل الذي هو حجة الباطن والرسول أو الإمام اللذان هما حجة الظاهر، فإن الأرض لا تخلو من حجة ولو خليت لساخت بأهلها وقد أكثر سبحانه على ذلك في الأنبياء حيث قال تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت

من تاريخ المزار:

يا قبر طوس سقاك الله رحمته ماذا ضمنت من الخيرات يا طوس

مشهد: المدينة المقدسة الأولى في إيران كانت تعرف بطوس ومشهد الرضا عليه السلام فغلب عليها الإسم، تبعد عن العاصمة طهران ٩٢٤ كم، جاء في مقاتل الطالبيين: (احضر المأمون الإمام الرضا قبل أن يحفر قبره وأمر أن يحفر إلى جانب أبيه).

واتفقت المصادر على أنه عليه السلام دفن في القبة التي دفن فيها هارون الرشيد بطوس في دار حميد بن قحطبة الطائي ويظهر أن الذي بنى تلك القبة على الرشيد هو ولده المأمون.

وكان المأمون العالم السياسي يريد بذلك أن يبقي أثر قبر أبيه ثابتاً لا يمحى وهو عالم بتاريخ الطغاة والظلمة مهما كانت جبروتهم، ولكن بعد مرور الزمن أصبحوا في خبر كان، فأراد أن يستغل شخصية الإمام عليه السلام ليخلد قبر أبيه هارون الرشيد، ولكنه غفل أن الحق يعلو ولا يعلى عليه ولا سلطان إلا للحق فإذا مات السلطان ماتت معه جبروته ويبقى منطق العدالة وحده هو الحاكم، وبعد أن كسر الدهر قوة العباسيين أصبح مرقد الإمام عليه السلام هو المزار وحده حتى أصبحت البلدة لا تعرف إلا باسم مشهد الرضا عليه السلام ولم تعد تسمع ذكراً لقبر هارون في بطون التاريخ، وفي ذلك يقول شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي:

قبران في طوس خير الخلق كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرىء رهن بما كسبت له يداه فخذ ما شئت أو فذر

ولم تعرف هذه المنطقة في المعاجم العربية إلا بطوس أو المشهد، وعبر عنه ياقوت الحموي (المشهد الرضوي). وواضح أن قبر الإمام المقدس وليس قبر الخليفة هو الذي جعل سناباد وهي القرية الخاملة تصبح اليوم من أهم

فيهم﴾ الأنفال/ ٣٣.

وكذلك لم ينزل العذاب من قبل على أُمة لوط مثلاً وهو فيهم وبما أن الإمامة في اعتقاد الشيعة هي وصاية للنبوة فيكون كذلك ولولا وجود الإمام عليه السلام لنزل العذاب عند استحقاقه.

وما أشبه الليلة بالبارحة فلو تأمل الإنسان في أنواع المعاصي التي كانت ترتكب في عهد النبي لوط عليه السلام والتي بسببها استحق القوم العذاب لوجدها متقاربة في هذا العصر المنكود.

وأجاب الشيخ المفيد قائلاً: (المصلحة قائمة في غيبته واستتاره ويرجع لتفصيل ذلك إلى كتابه الفصول العشرة/ ٣٣).

هذا والظاهر أن المنع من تسمية الإمام عليه السلام والتأكيد على إخفاء اسمه إنما كان فقط في الغيبة الصغرى التي كان الخوف للسلطان سائداً.

وأما في الغيبة الكبرى فلا مجال للقول بالخوف كما توهم وإنما ذلك أمر أراده الله فقد روي في كتاب الاحتجاج: أنه ورد عليه من الناحية المقدسة على يد محمد بن عثمان (ره) في ذلك ما نصه:

«وأما علة ما وقع من الغيبة فإن الله عز وجل يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾ إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فأغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم ولا تتكلفوا على ما قد كفيتم، أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم والسلام عليكم يا إسحٰق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى».

علامات الظهور:

تظهر السمات البارزة في الحركة الإصلاحية التصحيحية التي يقوم بها

وعن عبد الكريم بن طاووس لما طلب المأمون الرضا عليه السلام من المدينة، إلى خراسان سار عليه السلام من المدينة إلى البصرة ولم يذهب إلى الكوفة ثم توجه من البصرة إلى بغداد على طريق الكوفة ومن هناك إلى مدينة قم ودخل قم فاستقبله أهلها فتخاصموا في ضيافته كل يبغي أن يحل عليه السلام داره، فقال عليه السلام: إن جملي هو المأمور أي أنه عليه السلام يحل حيثما برك الجمل، فأتى الجمل داراً واستناخ على بابه وكان صاحب الدار قد رأى في المنام في ليلته أن الرضا عليه السلام سيكون ضيفه غداً فلم تمضِ مدة طويلة حتى أصبحت الدار مقاماً من المقامات الرفيعة، وهو في عصرنا مدرسة معمورة وتعرف اليوم ١٣٨٥ هـ باسم المدرسة الرضوية.

وعن الرضا عليه السلام إني سأُقتل مسموماً مظلوماً وأُقبر إلى جنب هارون ويجعل الله عز وجل تربتي مختلف شيعتي فمن زارني في غربتي وجبت له زيارتي يوم القيامة، والذي أكرم محمداً صلى الله عليه وآله بالنصرة واصطفاه على جميع الخليقة لا يصلّي عليّ أحد منكم عند قبري ركعتين إلا استحق المغفرة من الله عز وجل يوم يلقاه، والذي أكرمنا بعد محمد صلى الله عليه وآله بالإمامة وخصنا بالوصية إن زوار قبري لأكرم الوفود على الله يوم القيامة.

وعن الجواد عليه السلام: ضمن لمن زار أبي بطوس عارفاً بحقه الجنة على الله تعالى، وأيضاً: من زار قبر أبي فله الجنة.

وعن الجواد عليه السلام: من زار قبر أبي بطوس غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال ابن مهزيار قلت لأبي جعفر (الجواد) جعلت فداك زيارة الرضا أفضل أم زيارة أبي عبد الله الحسين بن علي قال: زيارة أبي أفضل وذلك أن أبا عبد الله يزوره كل الناس وأبي لا يزوره إلا الخواص من الشيعة.

قال الإمام الهادي عليه السلام: من كانت له إليَّ حاجة فليزر قبر جدي الرضا بطوس وهو على غسل وليصل عند رأسه ركعتين وليسأل الله تعالى خاصة في قنوته فإنه يستجاب له ما لم يسأل في مأثم أو قطيعة رحم، فإن موضع قبره لبقعة من بقاع الجنة لا يزورها مؤمن إلا أعتقه الله تعالى من النار وأدخله دار القرار.

الإمام المهدي في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام ونصها:

(إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام من جديد وهداهم إلى أمر قد دثر فضل عنه الجمهور، وإنما سمي القائم مهدياً لأنه مهدي إلى أمر قد ضلوا عنه وسمي بالقائم لقيامه بالحق).

وروي أن أصحابه يجمعون من أقاصي الأرض يجمعهم إليه بمكة (قزع كقزع الخريف) والقزع محركة قطع السحاب، وروي أن منهم خمسون امرأة وهؤلاء هم خواص أصحابه وإن عدة من يخرج معه أولاً ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدد أهل بدر وقد استقصاهم السيد الأمين في الأعيان (٤ ـ ٥٤٠).

وهناك روايات بعلامات الظهور منها:

ما عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذاباً كلهم يقول أنا نبي». وعن الإمام علي عليه السلام: (من علاماته خروج الدجال الذي هو من علامات الظهور إذا امات الناس الصلاة وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكذب وأكلوا الربا وأخذوا الرشا وشيدوا البنيان وباعوا الدين بالدنيا واستعملوا السفهاء وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام واتبعوا الأهواء واستخفوا بالدماء وكان الحلم ضعفاً والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة والوزراء ظلمة والعرفاء خونة والفقراء فسقة وظهرت شهادات الزور واستعلن الفجور) إلخ.

وعن الباقر عليه السلام: «إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وركب ذوات الفروج السروج وقبلت شهادات الزور وردت شهادات العدل واستخف الناس بالدماء وارتكاب الزنا وأكل الربا واتقي الأشرار مخافة ألسنتهم فعند ذلك يخرج السفياني «إلخ».

وفي رواية أن السفياني يخرج من وادي اليابس بفلسطين ويملك دمشق وفلسطين والأردن وغيرها ويقتل الأصهب والأبقع بالشام اللذين يطلبان الحكم ثم يرسل جيشين:

١ ـ إلى المدينة والمهدي بها وينهب الجيش ثلاثاً بالمدينة ويخرج المهدي إلى مكة فيرسل آمر الجيش جيشاً إلى مكة فيخسف بهم في البيداء.

والغش لا يحل لمؤمن، إن العامة تكره ما فعلت معي والخاصة تكره الفضل بن سهل، فالرأي أن تنحينا عنك حتى يستقيم لك الخاصة والعامة).

فالإمام اقترح الاستقالة لما أحس بخطة الاغتيال.

ولم يرَ المأمون أن ينحي هذين الرجلين ولكن يسجل التاريخ أن الفضل قتل في الحمام غيلة أو بأمر غيره، والمهم أنه اغتيل، وإن الإمام الرضا توفي حين توجه موكب المأمون إلى بغداد الساخط على ولاية عهده، ولا شك أن التخلص منه شيء يقتضيه الموقف وطبيعة الموقف تقتضي ارتباط الوفاة أيضاً بالموقف العباسي وهذا ما تؤكده الشيعة.

ويروى في نصوص غير الشيعة أيضاً، قال في خلاصة تهذيب الكمال عن سنن ابن ماجة: (إن الرضا مات مسموماً بطوس) وابن خلكان: (قد أكل عنباً وأكثر منه، وقيل: بل كان مسموماً فاعتل منه ومات) في الوفيات ٢/ ٤٣٢.

وأبو الفرج الأصبهاني عن أبي الصلت الهروي (دخل المأمون إلى الرضا يعوده فوجده يجود بنفسه فبكى، وقال عزيز عليَّ يا أخي بأن أعيش ليومك وقد كان في بقائك أمل وأغلظ عليَّ من ذلك وأشد أن الناس يقولون إني سقيتك سماً، وأنا إلى الله من ذلك بريء، فقال الرضا: صدقت يا أمير المؤمنين أنت والله بريء).

فيظهر أن الامام عليه السلام كان يستهزىء به أو يريد أنه ليس مباشراً بل هو الآمر فبرأه عن المباشرة وليس براءة عن التسبب ولم تكن هذه المرة الوحيدة التي أشار الإمام عليه السلام إلى الخلفيات بل كان متنبهاً إليها منذ البداءة وهو في المدينة، ففي الدر النظيم للشامي عن الرضا عليه السلام: (لما أردت الخروج «أي إلى خراسان» جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليَّ حتى أسمع بكاءهم ثم فرقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت لهم إني لا أرجع إلى عيالي أبداً ثم أخذت أبا جعفر الجواد فأدخلته المسجد، ووضعت يده على حافة القبر وألصقته به، واستحفظته برسول الله وأمرت جميع ولدي له السمع والطاعة وترك مخالفته وعرفتهم أنه القائم مقامي).

٢ ـ وثانيهما إلى العراق ويصيب من شيعة آل محمد قتلاً وصلباً ويرجع إلى الشام فتلحقه راية هدى من الكوفة فتقتله كله وما هم من السبي والغنائم.

ولما يصل المهدي عليه السلام إلى مكة يجمع عليه أصحابه وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر فإذا اجتمعت له هذه العدة ظهر أمره فينتظر بهم يومه بذي طوى ويبعث رجلاً من أصحابه إلى مكة يدعوهم فيذبحونه بين الركن والمقام، وهو النفس الزكية فيبلغ ذلك المهدي فيهب بأصحابه عن عقبة ذي طوى حتى يأتي المسجد الحرام فيصلي بهم عند مقام إبراهيم أربع ركعات ويسند ظهره إلى الحجر الأسود ويخطب في الناس ويتكلم بكلام لم يتكلم به أحد، وروي أنه أول ما ينطق به هذه الآية: ﴿بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾ وإذا كمل له العدد وهو عشرة آلاف خرج بهم من مكة ثم يستعمل على مكة ويسير إلى المدينة، فيبلغه أن عامله بمكة قد قتل فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة ثم يرجع إلى المدينة فيقيم بها ما شاء.

ثم يخرج حتى يأتي الكوفة وينزل نجفها ثم يفرق الجنود منها في الابصار، وفيها يخرج بضعة عشر ألف يدعون البترية (المعارضة) فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة فيقع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم ويكون منزله بالكوفة فلا يترك مسلماً إلا اشتراه وأعتقه ولا غارماً إلا قضى دينه، ولا مظلمة لأحد من الناس إلا ردها حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

وقد ورد في العلامات روايات كثيرة أنهاها السيد الأمين (ره) إلى (١١٨) علامة والمتفق عليها خمس قال:

(فأما المحتوم فقد اختلفت الروايات في تعداده زيادة ونقيصة ففي بعضها خمس علامات محتومات قبل قيام القائم عليه السلام:

١ ـ السفياني من وادي اليابس بفلسطين من ولد أبي سفيان لم يرَ مكة ولا المدينة.

٢ ـ اليماني من اليمن يدعو إلى الحق وفي رواية (يخرج قبل خروج السفياني).

وقد قتل الفضل في سرخس في الحمام ومات الرضا عليه السلام في طوس سنة ٢٠٢ ـ وبعد وفاتهما معاً استقبل في بغداد بحفاوة بالغة من قبل العباسيين.

وفاة الإمام عليه السلام:

إن الأحداث التي جرت بعد العهد كانت هامة من عدة نواحي من التأثير المباشر لسيرة الإمام عليه السلام التي كانت تمثل السيرة النبوية بالنسبة إلى مجتمعه، وكان الرأي العام بلا شك يقارن بينها وبين ما عليه سيرة الخلفاء والعباسيين وما بينهما من بون شاسع مما جعل الخليفة نفسه يكيف نفسه بما يسعه بما تقتضيه طبيعة الموقف.

وكان لمكانة الإمام عليه السلام تأثير في سياسة الدولة مما جعل المأمون يقتنع أو يتظاهر بالاعتقاد بما يأتي:

١ ـ أفضلية علي عليه السلام.

٢ ـ خلق القرآن.

٣ ـ الاختيار.

٤ ـ حلية المتعة.

وكان الإمام الرضا عليه السلام يفضح خطط المأمون السياسية في كل فرصة متاحة وذلك بتطبيق سنن النبي صلى الله عليه وآله في حياته العامة.

وقد توترت العلاقات بين الخليفة والإمام، وصار يزداد شيئاً فشيئاً حتى بات الإمام يعتقد بدنو أجله.

ولما أحس الإمام عليه السلام بالخطر اقترح ما يأتي كما في الطبري ٧/ ١٤٧.

قال الرضا للمأمون: (من جملة ما ينقسم الناس عليه هو مكان الحسن بن سهل في العراق ومكان أخيه الفضل بن سهل في خراسان ومكانه هو «الرضا عليه السلام» ومكان بيعة المأمون له بولاية العهد من بعده).

وفي تذكرة الخواص: قال الرضا: (يا أمير المؤمنين النصح لك واجب

٣ ـ والمنادي من السماء باسم المهدي وعن الإمام الصادق عليه السلام النداء من المحتوم، وفي رواية (عام يسمعه كل قوم بلسانهم) ولكثرة الروايات فيه قال الأمين (٤ ـ ٤٩) (إن هذا النداء يكون أربع مرات).

٤ ـ وخسف في البيداء.

٥ ـ وقتل النفس الزكية.

قال النعماني: (هذه العلامات التي ذكرها الأئمة عليهم السلام مع كثرتها واتصال الروايات بها وتواترها واتفاقها موجبة أن لا يظهر القائم عليه السلام إلا بعد مجيئها إذ كانوا قد أخبروا أنه لا بد منها، وهم الصادقون حتى أنه قيل لهم: نرجو أن يكون ما نؤمل من أمر القائم ولا يكون قبله السفياني فقالوا: بلى والله إنه لمن المحتوم الذي لا بد منه ثم حققوا كون العلامات الخمس هي أعظم الدلائل على ظهور الحق بعدها).

كلمة أخيرة:

إن البشرية تنتظر دولة عادلة قائمة على أُسس العدل والفطرة الإنسانية والخير والتعاون والأمن، هذا ما تشير به العقيدة بالمهدي المنتظر عليه السلام كما جاءت النصوص:

(إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وآمنت به السبيل وأُخرجت الأرض بركاتها ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا بره وهو قوله تعالى: ﴿والعاقبة للمتقين﴾.

فالاعتقاد بالمهدي المنتظر عليه السلام ليس إلا قوة واستعداد للثورة المسلحة في وجه الظلم والطغيان لذلك نجد التأكيد في روايات أهل البيت عليهم السلام على استمرار هذه الروح روح الاستعداد للجهاد.

كما عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «كذب الوقاتون كذب الوقاتون كذب الوقاتون» وتنمي هذه الروح سلسلة من الأدعية المأثورة ونختم حديثنا عن

من فضله البارع وعلمه الناصع وورعه الظاهر، وزهده الخالص وتخليه عن الدنيا وتسلمه من الناس، وقد استبان له ما لم تزل الأخيار عليه متواطئة والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة ولم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً وحدثاً ومكتهلاً فعقد له بالعقد والخلافة إيثاراً لله والدين ونظراً للمسلمين وطلباً للسلامة وثبات الحجة والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين) انتهى العهد بطوله على رواية أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي المتوفى ٨٢١ هـ في صبح الأعشى ٩/ ٣٦٤ وأضاف قائلاً: (ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه فبايعوه مسرعين مسرورين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله عن الهوى في ولده وغيرهم عمن هو أشبك رحماً وأقرب قرابة وسماه (الرضى) إذ كان رضياً عند أمير المؤمنين فبايعوا معشر بيت أمير المؤمنين ومن بالمدينة المحروسة من قواده وجنده وعامة المسلمين (الرضى) من بعده.

ولقب الإمام بالسلطان واتبعت معه عادات السلاطين ولها بعض الآثار، ومن العادات المتبعة في مشهد (نقار خانه) تقرع الطبول والأبواق عند طلوع الشمس وغروبها في كل يوم، وكذلك إذا حصلت حادثة مهمة جداً.

والسبب فيه على ما يقال أن هذه العادة كانت من رسوم الخلفاء والسلاطين وبما أن الإمام الرضا عليه السلام كان ولي عهد الخليفة استعملوها ولا تزال العادة المتبعة في قيادات الجيش والشرطة، وكان لأخذ البيعة للرضا إساءة إلى الحزب العباسي العربي في بغداد وكان رد الفعل منهم أن خلعوا المأمون وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي العباسي في ٥/محرم/٢٠٢ هـ، وكان وصول النبأ سبباً مباشراً في عزم المأمون للسفر إلى العراق لتصفية الأمر وكان تصفية الفضل بن سهل، وولي عهده الرضا عليه السلام والذي يقتضيه الموقف لترضية الحزب العربي بالتخلص من العناصر التي أدت إلى نقمتهم وهي:

١ ـ استخلاف الإمام العلوي.

٢ ـ استوزار الفضل الفارسي وتختلف الروايات في كيفية التخلص أو أسبابه والمهم أن وفاة هذين حصل متعاقباً مما يدل على يد المأمون في ذلك.

المصلح الإسلامي والمهدي المنتظر عليه السلام بالدعاء المأثور:

(اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله وتذل بها النفاق وأهله وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة).

* * *

عمر بن الخطاب، قال: (لو ضاعت سخلة بشاطىء الفرات لتخوفت أن يسألني الله عنها) وأيم الله أن المسؤول عن خاصة نفسه الموقوف على عمله فيما بين الله وبينه ليعرض على أمر كبير وعلى خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الامة وبالله الثقة وإليه المفزع والرغبة في التوفيق مع العصمة والتسديد والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجة والفوز من الله بالرضوان والرحمة... وأنظر الامة لنفسه وأنصحهم في دينه وعباده من خلائفه في أرضه من عمل بطاعة الله وكتابه وسنة نبيه عليه السلام في مدة أيامه وبعدها وأجهد رأيه ونظره فيمن يوليه عهده ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده وينصبه علماً لهم ومفزعاً في جمع إلفتهم، ولَمّ شعثهم وحقن دمائهم، والأمن بإذن الله من فرقتهم، وفساد ذات بينهم واختلافهم ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم، فإن الله عز وجل جعل العهد بعد الخلافة من تمام أمر الإسلام وكماله وعزه وصلاح أهله، وألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، وشملت فيه العافية، ونقض الله بذلك مكر أهل الشقاق والعداوة والسعي في الفرقة والتربص للفتنة، ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، فاختبر بشاعة مذاقتها، وثقل محملها وشدة مؤونتها، وما يجب على من تقلدها من ارتباط طاعة الله ومراقبته فيما حمله منها فانصب بدنه وأسهر عينه وأطال فكره، فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة ومنعه ذلك من الخفض والدعة ومهنأ العيش علماً بما الله سائله عنه ومحبة أن يلقى الله مناصحاً له في دينه وعباده ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وعلمه وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقه، مناجياً لله بالاستخارة في ذلك ويسأله الهامه ما فيه رضاه وطاعته في ليله ونهاره، معملاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، ومقتصراً فيمن علم حاله ومذهبه منهم على علمه وبالغاً في المسألة عمن خفي عليه أمره جهده وطاقته حتى استقصى أمورهم بمعرفته، وابتلى أخبارهم مشاهدة واستبرى أحوالهم معاينة وكشف ما عندهم مساءلة فكانت خبرته بعد استخارته لله وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في البيتين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لما رأى

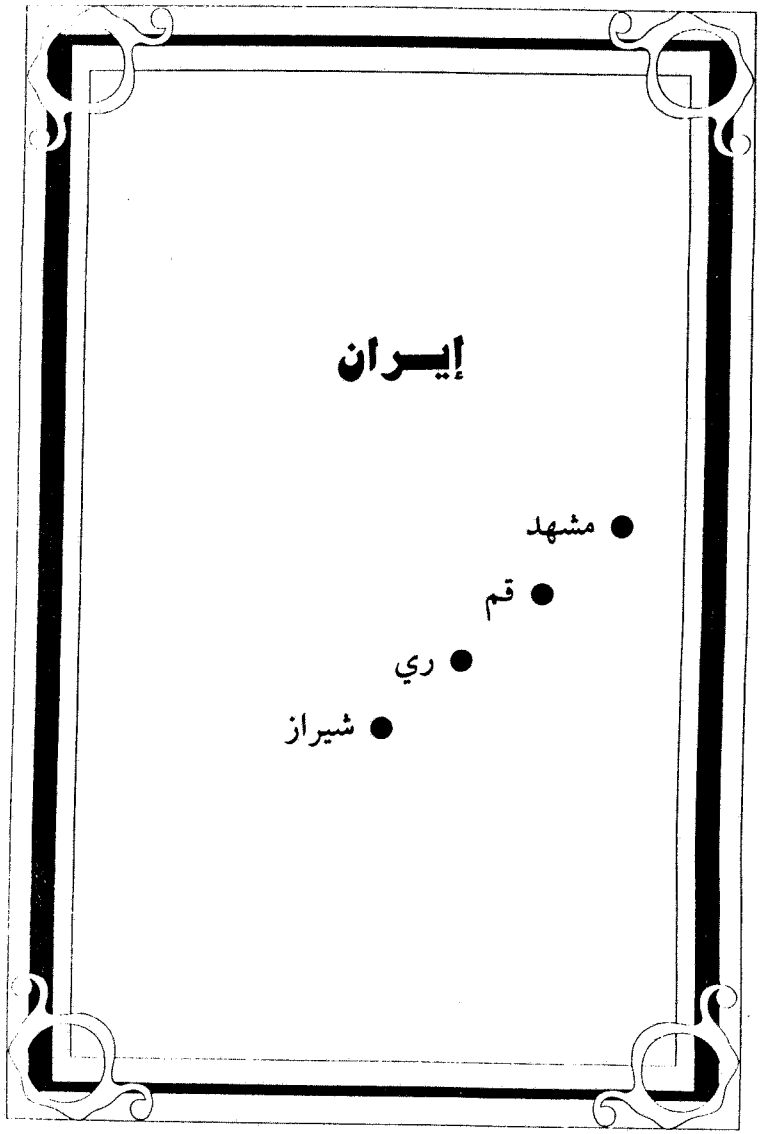

نص ولاية العهد:

(هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده، أما بعد فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام ديناً واصطفى له من عباده رسلاً، دالين عليه وهادين إليه يبشر أولهم، بآخرهم ويصدق تاليهم بماضيهم، حتى انتهت نبوءة الله إلى محمد ﷺ، على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من الساعة فختم الله به النبيين وجعله شاهداً لهم ومهيمناً عليهم، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فأحل وحرم ووعد وأوعد وحذر وأنذر وأمر به ونهى عنه لتكون له الحجة البالغة على خلقه، و ﴿ليهلك من هلك عن بينة، ويحيي من حيي عن بينة، وإن الله لسميع عليم﴾، فبلغ عن الله رسالته ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد والغلظة حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده ﷺ، فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الوحي والرسالة جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين بالخلافة وإتمامها وعزها والقيام بحق الله فيها، وبالطاعة التي تقام بها فرائض الله وحدوده وشرائع الإسلام وسننه، ويجاهد به عدوه فعلى خلفاء الله طاعته فما استحفظهم واسترعاهم من دينه أو عباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم ومعاونتهم على إقامة حق الله وعدله وأمن السبل وحقن الدماء وصلاح ذات البين، وجمع الألفة وفي اختلال ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم واختلاف ملتهم وقهر دينهم واستعلاء عدوهم، وتفرق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة فحق على من استخلفه الله في أرضه وأئتمنه على خلقه أن يؤثر ما فيه رضا الله وطاعته ويعدل فيما الله واقعه عليه وسائله عنه ويحكم بالحق ويعمل بالعدل فيما حمله الله وقلده، فإن الله عز وجل يقول لنبيه عليه السلام: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾.

وقال عز وجل: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾ وبلغنا أن

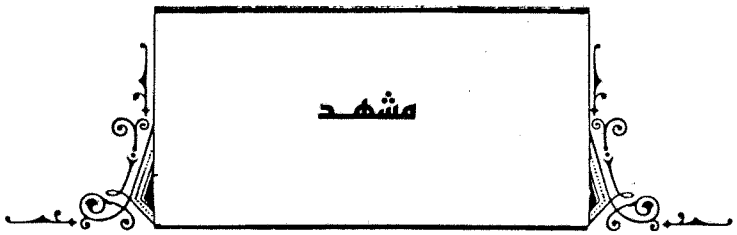

من حياة الإمام عليه السلام :

الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام هو الإمام الثامن للشيعة الإمامية كان يسكن مدينة جده الرسول صلى الله عليه وآله فاستدعاه الخليفة الداهية المأمون في خطة سياسية لتركيز قواعد ملكه فأجاب الإمام مكرهاً ومرت الفترة القصيرة من مجيئه مصحوبة باستقبال شعبي، خابت آمال الخليفة ورأى التخلص منه عليه السلام بطريقة الحكام، فدس إليه السم ومات شهيداً، وكان بطبيعة حال القتلة أول الباكين عليه.

صفحة من التاريخ :

وينبغي أن نلقي نظرة خاطفة للأحداث قبل مجيء الإمام في العهد العباسي ففي سنة ١٢٩ هـ كان أبو مسلم الخراساني (عبد الرحمٰن) أول من ثار في وجه العباسيين بتوجيه إبراهيم الإمام وقد أرسل الإمام إليه في ٥ رمضان ١٢٩ هـ لواءين سماهما (الظل) و (السحاب) وهو يتلو:

﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾، واستجاب له الرأي العام حتى أتاه في ليلة واحدة أهل ستين قرية متبايعين (الكامل لابن الأثير ٥ ـ ٣٤٢ ـ بيروت)، وبعد سنة واحدة سنة ١٣٠ هـ، استولى أبو مسلم على (مرو) العاصمة وكان نص البيعة:

(أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وآله والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه بالطلاق والعتاق والمشي إلى بيت الله الحرام وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طعماً حتى يبتدئكم به ولاتكم) ابن

ظفرت بالمخلوع وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل؟ مقاتل الطالبيين/ ٥٦٣ وأضاف ابن الأثير (كان المأمون شديد الميل إلى العلويين والإحسان إليهم وخبره مشهور معهم وكان يفعل ذلك طبعاً لا تكلفاً).

والمهم أن الإمام رفض الاقتراح فقال المأمون: (إن عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدك وقال: من خالف فاضربوا عنقه) المقاتل/ ٥٦٣.

وهذا واضح في التهديد وعدم تشيع المأمون فإنه يستدل بكلام من لا يستدل به الشيعة، فإذا كان عمر قال ما قال باعتباره خليفة فليس للمأمون الذي يظهر التنازل بمثل ذلك بل يلزمه أن يرى رأي الإمام فهذه الكلمة تكشف عن كل الحقائق. وما زال به حتى أجاب الإمام عليه السلام وجلس المأمون في يوم الخميس وأعلن أنه (ولي عهده) وقد سماه الرضا وأمر بلبس الخضرة والعود للبيعة الخميس المقبل.

وقال أبو الفرج: (ولما كان ذلك اليوم ركب الناس من القواد والقضاة وغيرهم من الناس في الحضرة وجلس المأمون ووضع للرضا وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه، وأجلس الرضا عليها في الحضرة وعليه عمامة وسيف ثم أمر ابنه العباس بن المأمون فبايع له أول الناس ورفع الرضا يده فتلقى بظهرها وجه نفسه وبطنها وجوههم.

فقال المأمون: مدّ يدك للبيعة فقال الرضا عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع فبايعه الناس ووضعت البدر وقامت الخطباء والشعراء فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى، وما كان من المأمون في أمره، ثم قال المأمون للرضا قم فاخطب الناس وتكلم فيهم.

فقال الرضا عليه السلام بعد حمد الله والثناء عليه: «إن عليكم حقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولكن علينا حق به، فإذا أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم»، وأمر المأمون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسم الرضا وجعل له من الولاية للعهد في كل بلد.

الأثير ٥/ ٣٨٠.

وبويع أبو العباس السفاح سنة ١٣٢ هـ في الكوفة أول خليفة للعباسيين وأعلن: (يا أهل الكوفة إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا وأبلج منهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا وأراكم الله بهم ما لستم تنظرون).

ولما اشتد ساعد العباسيين ساروا على نهج الأُمويين في استغلال البلاد وتضييع الحقوق وإرساء قواعد الحكم ضد الإسلام حتى خرج شريك بن شيخ المهدي ببخارى قائلاً: (وما على هذا اتبعنا آل محمد العباسيين أن يسفك الدماء وإن يعمل بغير الحق).

وكان جزاء العباسيين لأبي مسلم أن دعا المنصور أربعة من خاصته ولما صفق المنصور قتلوه بعلامة مسبقة بينهم.

وكان تلاعبهم ببيت المال لا يقل عن الأمويين فهذا علي بن عيسى الذي تولى خراسان سنة ١٨٣ هـ لما استولى على خزانة كان عليها ألف وخمسمائة بعير واستصفى ماله فإذا به ثمانون ألف ألف ألف (ثمانون مليوناً).

هذا عدا ثلاثين ألف ألف كان قد خبأه ابنه عيسى قبل أن يقتل في أحد البساتين، وفي سنة ١٩٣ هـ قدم الرشيد إلى خراسان لما ثار رافع بن الليث في خراسان وجه الخلافة العباسية واستفحل أمره فأرسل هرثمة لمحاربته ضد رافع بن الليث، فطلب الرشيد قصاباً وقال له: لا تشحذ مداك بل ابقها على حالها غير مسنونة وقطع هذا الفاسق وعجل به ولا تبقِ عضواً من أعضائه في جسمه وأنا حي وقد قطعه حتى جعله أشلاء وعدت الأعضاء المقطعة فإذا هي أربعة عشر. تاريخ الطبري ٦ ـ ٥٢٥.

ولما نزل الرشيد في منزل الجنيد بن عبد الرحمٰن في ضيعة له تعرف بـ (سناباد) مات ودفن فيها في جمادى الأولى سنة ١٩٣ هـ.

وفي سنة ١٨٣ هـ وهي سنة وفاة الكاظم عليه السلام أعلن هارون كون الأمين خليفة له وخاصة في بغداد لأن أُمه عربية ومعه هوى العرب.

وبما أن المأمون أُمه فارسية (مراجل) فخلفه على إيران وعاصمتها (مرو).

وبموته دب الخلاف بين الأمين والمأمون وكان قد ابتدأ الأمين بمطالبة خراج خراسان لنفسه وانتهى الأمر إلى سنة ١٩٦ هـ فاحتل المأمون بغداد وقتل أخاه الأمين، ولما جيء برأسه قال ذو الرياستين يؤلب على طاهر بن الحسين (أمرناه بأن يأتي به أسيراً فأرسل به إلينا عقيراً) فقال المأمون: (مضى ما مضى) البداية والنهاية ١٠/ ٢٤٣.

وكان للأمين مكانته النافذة لدى العباسيين لعروبته وشدة موقعه مع مكانة المأمون لأن أُمه (أُم ولد) أعجمية وكان كافياً في إبعاده وكره العباسية له، ومن جانب آخر تواجدت ثورات العلويين في عصر المأمون أمثال:

١ ـ ابن طباطبا العلوي بالكوفة.

٢ ـ زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي المعروف بزيد النار بالبصرة.

٣ ـ الحسين بن الحسن الأفطس تغلب في مكة.

٤ ـ محمد بن سلمان بن داود بن الحسن بن علي في المدينة.

٥ ـ إبراهيم بن موسى بن جعفر في اليمن وغيرهم.

والمأمون اتبع سياسة أُخرى ونتيجة لمواقف العباسيين المخاذل وموقف العلويين المعادي أخذ يتقرب إلى العلويين ليأمن من غدر العباسيين واقترح ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام.

ولاية العهد:

وأعلن ولاية العهد رسمياً في ٢٧/ رمضان/ ٢٠١ هـ وأمر بسبك اسم الإمام، وترك السواد واستعمال الخضرة مكانه، قال ابن الأثير (إن المأمون قد أنفذ إلى الإمام بأني أُريد أن أخلع نفسي من الخلافة وأُقلدك إياها فما رأيك في ذلك؟ فأنكر الإمام هذا الأمر). البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٠.

وقال المأمون (إني عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن